

ليون تولستوي
الأعمال الأدبية الكاملة

١٤

الأعمال المسرحية الكاملة
الجزء الأول

ترجمة
صباح الجهميم

علي مولا

الأشرف الفتي : زهير الكمو

٢٠١
١٥٢٥٧٤

الأعمال المسرحية الكاملة

الجزء الأول

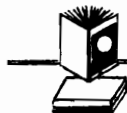
كل ما كتب بخط اسود فقد ورد في النص الروسي
باللغة الفرنسية

ليون تولستوي
الأعمال الأدبية الكاملة
١٤

الأعمال المسرحية الكاملة

أجزاء الأول

ترجمته:
صباح الجهم



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٨٩

العنوان الأصلي للكتاب :

LÉON TOLSTOÏ

Théâtre complet

Préface et notes
d'Alexandre V Soloviev

الاعمال المسرحية الكاملة = THEATRE COMPLET / تأليف :
ليون تولستوي ؛ ترجمة صباح الجهميم . - ط. ١ . - دمشق
: وزارة الثقافة ، ١٩٨٩ . - ٢ ج. (٨٤٣ ص.) ؛ ٢٥ سم
١ . - (الأعمال الأدبية الكاملة ؛ ١٤) ..

١ - ٨٩١٧٢ ر ت و ل ١ - ٢ - العنوان ٣ - تولستوي
٤ - الجهميم ٥ - السلسلة
٦ - مكتبة الاسد .

الإيداع القانوني : ع - ١٣٧ / ٢ / ١٦٨٦

مقدمة

نُقدّم هنا عشرة أعمال مسرحية لليون تولستوي ، تُجمَعُ لأول مرةٍ في مجلّدٍ واحدٍ لتكوّن الأعمالَ المسرحيةَ الكاملةَ للكاتب الكبير . ولا يَجهلُ أحدٌ أن أفضل ما في موهبة تولستوي إنما نجدُه في رواياته الكبرى وفي بعض قصصه . بيد أن مؤلّف أنا كارينين كان يُبدي اهتماماً شديداً بالمسرح ، فقد قرأ عدداً كبيراً من الأعمال المسرحية القديمة والمعاصرة ، ولم يكن ينكّرُه أن يُجربَ أحياناً موهبته في هذا الميدان . إلا أن من المؤكّد ، مع ذلك ، أن الأعمالَ التي أنتجها شديدةُ التباين ، وأن معظمها تنقصُه النبرةُ ، النكهةُ . ونحن نجد بينها مسرحياتٍ تهذيبيةً ، وملهاةً كُتِبَتْ على عجلٍ : « العَدَمي » — — ويسرّنا أن نقدّم لها ترجمةً فرنسيةً لم تُنشرَ من قبل — وأيضاً بعض المسرحيات التي لا تخلو من عمقٍ ، والتي يُعاودُ فيها تولستوي ، على كل حال ، نقدَه للمجتمع الراقي بلهجةٍ لاذعة . وأخيراً فإن هذه المسرحيات تعكسُ ، بدرجات شتّى ، بعضَ اللحظات من حياة تولستوي ، تعكسُ أهواءَه ، وعذاباتِه ، ووساوسَه ، وبكامةٍ واحدة : كلّ ما كان يَبْتَعثُ فيه البحثُ العنيدَ عن الحقيقة والحب .

العدمي ١٨٦٣ أول محاولة مسرحية لتولستوي . وهي عملٌ
كُتِبَ على عجلٍ ، كما قلنا ؛ هي هزليةٌ قصيرةٌ كتبها
تولستوي في « إياسنايا بوليانا » ، أثناءَ السنة الأولى من
حياته الزوجية ، السنة السعيدة جداً عنده . وفي هذه الهزلية
نرى نموذجاً جديداً بِمُثَلٍّ — على نحوٍ شديد السطحية —
نموذجاً ظهر منذ أمدٍ قريبٍ في الحياة الروسية : **العدمي** .
ولنذكرُ أن هذه الكلمة قد أرسلها إيفان تورغنيف سنة ١٨٦١ في
روايته الشهيرة المسماة : الأب والابن . وفيها يبدو التباينُ بين جيل
قديمٍ من الملاكين المتجمدين في تقاليدهم وفي ضَرْبٍ من المثالية
المجردة ، وبين الجيل الجديد الذي ينحاز إلى التيار المادي والذي
يَنسِفُ البنى القائمة باسم العقل والاستقلال الأخلاقي . ويتمجلى
تورغنيف موضوعياً : فهو يصوّر مزايا الجيلين المتنازعين ونقائصهما ؛
يبد أنه صرّح في إحدى رسائله : « إن الرواية بأسرها مُسدّدةٌ إلى
الطبقة النبيلة باعتبارها الطبقة القائمة للمجتمع ، وأن **العدمي** «بازاروف»
شريفٌ ، فاضلٌ وديموقراطيٌّ حتى مخِ العظم . وإذن فإن تعاطفه كان
يتّجه إلى الجيل الصاعد . أما تولستوي ، وهو أصغرُ من تورغنيف
بعشر سنوات ، فهو يتّخذ مواقفَ مختلفةً كل الاختلاف . لقد غمرته
السعادة الزوجية ، وسحرنه جدّةُ الحياة العائلية ، فلم يُبدِ تعاطفاً
زائداً لإزاء **العدميين** ؛ بل إن أفكارهم عن تحرير المرأة لقيتُ منه
نفوراً . لقد تذكّر الطلابُ الكثيرين الذين صادفهم والذين علّموا في
المدارس التي أنشأها في الريف عام ١٨٦٠ ، فلم يرَ ، على العموم ،
سوى الجانب السلبي من عدميّتهم الذي يستهزى به قليلاً .

لكنَّ يَبْ أَلَا نَنسَى أَنَّ « الْعَدَمِيَّ » لَمْ تُؤَلَّفْ إِلَّا مِنْ أَجْلِ
 الْفُرْجَةِ الْعَائِلِيَّةِ . فَاَلْمَوْضُوعُ الْخَفِيفُ الْهَزْلِيُّ تَأَنَّهُ كَلِمًا : لَقَدْ تَزَوَّجَ
 أَحَدُ مَلَائِكَةِ الْأَرَاضِي ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ عَامًا ، امْرَأَةً كَانَ يُحِبُّهَا
 وَيَغَارُ عَلَيْهَا . وَزَارَهُ ابْنُ أُخِيهِ بِصَحْبَةِ مَرْبِيَةِ الْعَدَمِيِّ الَّذِي يُشِيدُ بِتَحَرُّرِ
 الْمَرْأَةِ وَالَّذِي يَبْدُو سَاخِرًا مِنَ التَّقَالِيدِ وَالْعَادَاتِ ! لَكِنَّهُ فِي أَعْمَاقِهِ طَيِّبُ
 الْخَلْقِ ، وَهُوَ يَتَسَاقُ مَعَ شَبِيهِ الْمَنْزِلِ الَّتِي تُعَدُّ مَفْاجَأَةً سَارَةً بِمُنَاسَبَةِ
 عِيدِ مِيلَادِ سَيْمُونِ ، الْمَلَّاكِ . وَإِذْ رَأَى هَذَا الْأَخِيرُ أَنَّ زَوْجَتَهُ تُبَادِلُ
 الطَّالِبِ الْأَحَادِيثَ السَّرِّيَّةَ وَالْغَمَزَاتِ ، شَكَّ بِأَنَّهَا مَالَتْ لِلشَّابِّ . بَلْ لَقَدْ
 أَصَابَهُ غَضَبٌ وَاضِحٌ وَأَنْزَلَ عَصَاهُ ! لَكِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَنْتَهِي أَحْسَنَ
 نَهَايَةٍ . . . فَالزَّوْجَةُ الْمَخْلُصَةُ تُنْشِدُ ، سَاعَةَ الْإِحْتِفَالِ ، أَيْبَاتًا مِنْ
 الشَّعْرِ تَقُولُ : إِنَّهُ لَا هِمَّ لَهَا سِوَى سَعَادَةِ الَّذِي تَحِبُّهُ ! إِنْ هَذِهِ الْمُلْهَمَةُ
 الصَّغِيرَةُ بِمَا فِيهَا مِنْ بَلَاهَةٍ سَاحِرَةٍ ، مُثِّلَتْ بَيْنَ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ ، وَأَعْجَبَتْ
 الْمَشَاهِدِينَ كَثِيرًا . وَقَدْ لَعِبَتْ زَوْجَتُهُ تَوَلَّسْتُوِي دَوْرَ الزَّوْجِ الشَّدِيدِ
 التَّأَثُّرِ ، وَمُثِّلَتْ أُخْتُهَا دَوْرَ مَارِي ، الزَّوْجَةِ ، وَلَعِبَتْ أُخْتُ تَوَلَّسْتُوِي
 دَوْرَ الْعَجُوزِ فَيُونَا أَنْدْرِيفِنَا الَّتِي لَمْ يَفْتُتْهَا أَنْ تَرْتَبِلَ مَقَاطِعَ كَامِلَةٍ
 أَثْنَاءَ التَّمثِيلِ .

لَمْ يُؤَلَّفْ تَوَلَّسْتُوِي هَذِهِ الْمَسْرُوحِيَّةُ أَيْتَةً أَهْمِيَّةً ، وَذَلَّلَتْ فِي أَدْرَاجِهِ
 حَتَّى مَوْتِهِ . وَهِيَ شَاهِدٌ عَلَى سَعَادَتِهِ الزَّوْجِيَّةِ — « السَّعَادَةُ الْعَائِلِيَّةُ
 تَسْتَغْرِقُنِي كَاتِمًا » — وَحَدَّةَ غَيْرَتِهِ ، أَحْيَانًا ، عَلَى زَوْجَتِهِ .

أُسْرَةُ مَوْبُوعَةٍ : فِي آخِرِ السَّنَةِ نَفْسَهَا ، اشْتَغَلَ تَوَلَّسْتُوِي بِعَمَلٍ
 ١٨٦٣ أَعْظَمَ أَهْمِيَّةٍ . وَتَشْهَدُ بِانْكِبَابِهِ عَلَيْهِ لِحَدَثِ عَشْرَةِ
 مَسُودَةٍ وَمَخْطُوطَتَانِ كَامِلَتَانِ . لَقَدْ أَرَادَ أَنْ يُنْذِرَ

عن طريق السخرية ، « بتحرير المرأة وبمن يدعو
عَدَمِيَّين » (رسالة إلى أخته) ، وهو يعلّق أهمية
كبيرة على ما كَتَبَ . فما يكاد هذا العمل ينتهي في
كان الثاني سنة ١٨٦٤ حتى يمضي إلى موسكو ليقدمه « للمسرح الدرامي » .
وهو يُقرؤه أولاً في حلقة أدبية ثم يقرؤه على الكاتب المسرحي الشهير
١ - ن - اوستروفسكي . ولذا لم يشأ اوستروفسكي أن يُشبّط همّة
تولستوي المُبتدئ في الفن المسرحي ، فقد نبّهه فقط إلى أن مسرحيته
تحتوي على القليل من العمل المسرحي ، وأنها ستزدادُ جَوْدَةً إذا
ما نُقِّحت . لكن اوستروفسكي يكتب إلى نيكرا سوف ، في ٧ آذار
١٨٦٤ : « جرّني تولستوي إلى منزله ليقراً عليّ ملهاته الجديدة . وهي
ملهاة متدنية جداً حتى إن أذنيّ تأذّتا حقاً » . إن السخرية من الجيل
الجديد كانت تبدو بغیضةً على الكتّاب التقدّميّين آنذاك ؛ وهذا ما
فعله بالضبط تولستوي الذي كان محافظاً تماماً في هذه المرحلة من حياته .
والذي تعاطف بوضوح مع الجيل القديم ، على الرغم من الأخطاء التي
يعرفها جيداً . وبهذه الروح صوّر ملاكاً عجوزاً ، برييشيف بلبله
إلغاءُ القنانة ، ملاكاً غضوباً ومستحقّاً للقب الذي أُطلقَ عليه
« المضطهد الصفّاح » ، لكنه مستقيم الطبع ، وفي غاية الطيب . وهو
يحاول أن يتكيّف مع ظروف العمل الحر الجديدة ، ويبدو كريماً مع
الفلاحين ، ويُثني على مَنْ حوله ، ويَبْدُل وسعه لكي يفهم الجيل
الجديد ولكي ينصفه . فمنْ هم مثّلوا الموجة الجديدة ؟ هناك أولاً
نموذج الطالب العلمي الذي يُفسّر كلّ شيء بالعلوم الطبيعية ،
بفلسفة آليّة ، والذي يريد أن « يُطوّر » الفتيات ، أن يحرّرهن ،
بتخليصهنّ من السلطة العائلية . لكنه هو نفسه ليس سوى وصولي

سوقيّ : فهو شره إلى المال ، يطمع في الفتاة الغنيّة ، ويُعلن أنها بحاجة « إلى دليلٍ شاب ونزيه » . ولما استبعده طالبُ زواجٍ آخر أكثر جديةً اتّجه إلى كاترين وغازلها غزلاً خشناً ، واقترح عليها شكلاً من الحياة الجديدة في « مشاعية » ، مع شيء من التفكير في الإرث الصغير الذي ستصرف به . وكانت كاترين المسكينة هذه كاليغاء ، تردّد المشاعر التصادمية . لكنها كانت تلتهبُ ، في أعماقها ، رغبةً في الزواج . لقد أُغرمَتُ بفينيروفسكي الذي ازدهراها ، فاتّجهت إلى العدميّ . أما فينيروفسكي فيبدو كشخصيّة لها وجهان : فهو من جهة رائدٌ للتقدّم يُلقّي المحاضرات ، ويكتب المقالات ، بل إنه يُنشئ مدرسةً ، ولا يخلو من بعض النزاهة - لقد رفض الرشوة - لكنه من جهة أخرى يخطب وارثةً غنيّةً ، وهو ما سيُتيح له أن يترك خدمته . وبقربه يعمل الحاكم بالصلح بيلكيشوف الذي يستمتع بعقاب الملاكين المستبدين والموظفين السيئين والذي يُساعد فينيروفسكي في مناوئاته من أجل هدف واحد وهو أن « يجمع أهل الفتاة » .

إن هذه اللوحة التي تتحوّل إلى لوحة كاريكاتورية ، كاشفةٌ عن آراء تولستوي في هذه الفترة . لقد كان راسخ الجنود في حياته : حياة الإقطاعي الريفي ، في الحياة العائلية ، وكان يكره أنصار الفكرة القائلة إن الأسرة هي العقبة الوحيدة في وجه تطوّر الفرد . ولقد ظلّ طوال حياته ، على كلى حال ، عدواً لتحرير المرأة ، ولوصولها إلى التعليم العالي وإلى الثقافة . وتذكّرنا أختُ زوجته ، تاتيانا كوزفسكي ، في مذكراتها أن تولستوي كان يستحسن ، في أواخر القرن ، عبارة غليوم الثاني التي تقول : إن المرأة يجب أن تقتصر على الكنيسة والمطبخ والأولاد . وكان يقول : « لقد عدّ غليوم أهم ما في حياة المرأة » .

أَلَحَّ صاحب إياسنايا بوليانا كثيراً لكي تُدرَجَ مسرحيته في قائمة « المسرح الدرامي » . لكن الإدارة أجابته جواباً مراوِغاً . وأرجىء الأمر إلى الخريف . وفهمَ تولستوي ، من توسَّط أوستروفسكي ، أن ملهاته لم تكدُ تَلَقَّى استحساناً . فعاد إلى بيته ووضعها جانباً ولم يسعَ بعد ذلك إلى طبعها . وأكبَّ على « الحرب والسلام » ، حتى إذا انتهى من رسم لوحته العريضة نحو ١٨٧٠ ، خطر له أن يؤلِّفَ مسرحية عن عهد بطرس الأكبر ، ثم أهملَ هذا المشروع ولم يعد إلى المسرح إلا بعد ذلك بكثير ، وذلك ليقدم أعمالاً في تناول الشعب ، وفرضتْ نفسها عليه فكرةُ المسرح الشعبي .

المقطر الأول : في الثمانينات استحوذتْ على تولستوي تلك

الأزمةُ الدينيةُ والأخلاقيةُ المعروفة . فانصرف عن

الفن ، ولم يعدَ يَهْدَفُ إلا إلى التعليم ، إلى تثقيف

الشعب ، وفي الحكايات التي يؤلِّفها ، يتجسّدُ

الشر الذي يصارعُ الخير ، في الشيطان أو في العفاريث التي نجدها في

المعتقدات الشعبية . وقد كتب ، في مطلع ١٨٨٦ ، قصة قصيرة عنوانها ،

« كيف استحقَّ العفريتُ رغيته » . وفي شهر شباط من السنة نفسها

قدّمَ اقتباساً مسرحياً لها خصصه للمسارح الشعبية : هو « المقطّر

الأول » التي نُشرتْ مُستقلةً في شهر أيار في مطبوعات «الوسيط» . لقد

نسج مسرحيته هذه ، بصورة مقبولة ، على منوال القصة الأسبالية .

يلوِّبُ موضوع المسرحيّة على الشيطان الذي أراد أن يُغوي فلاحاً

عادياً ليستوليَ على روحه . لكن الفلاحين الاتقياء الذين يتفهمون إلى

الله دائماً قلّما يذهبون إلى الجحيم . وخلال مشهدٍ ممتع ، تُعدّدُ

الشباطينُ أمام إبليس فتوحاتها : إن جمهوراً من الإقطاعيين والتجار والموظفين والنساء يَفْعَون في الخطيئة المميتة . الشيطان المكلف بالفلاحين هو وحده الذي لم يَنجَح في مهمته . حينئذ يشتغل الشيطان عاملاً عند الفلاح ، ويُنْتِج له غلة وفيرة ، وينصحه بأن يصنع من فائض الغلة « ماء الحياة » ، « الشراب اللذيذ » الذي لا يَلَبِّثُ أن يثير المشاجرات ، ويحوّل البشر إلى حيوانات متوحشة أو إلى خنازير . والعبرة الأخلاقية التي أرادها تولستوي بسيطة : إن الكحول اختراع شيطاني ، والفلاحون الذين يُفَرطون فيه يَفْعَون حتماً في قبضة الشيطان . ومن المعلوم أن شيخ إياسايا بوليانا قد أفلح شخصياً عن الخمر والتبغ .

إن اللغة التي يستخدمها تولستوي في هذه المسرحية ، تُحْمَلُ مسبقاً ، بغناها ونكهتها ، لغةً سلطان الظلمات .

وليس يَخْلُو من الفائدة أن نُذَكِّرَ مع سترخوف أن تولستوي كان يَقْصِدُ التزلّ التي يتوقّف فيها الحجاجُ الذاهبون إلى كييف : « كانت لغتهم هي التي تسرعني اهتمامه ، فضلاً عن عاطفتهم الدينية . لقد أخذَ يَسْتَشعر جمال اللغة الشعبية ، وكان يقعُ في كل يوم على كلمات جديدة وتراكيب جديدة . وكان في كل يوم يزدادُ عنفاً في حمّله على اللغة الأدبية التي كان يتهمها بأنها غيرُ روسية ، وإنما هي « اسبانية » . وأضاف سترخوف : « كل ذلك سيُعطي نتائج ثمينة ، وأنا واثق من ذلك » . هذه النتائج ، من جُمَلتها ، المسرحيات والقصص التي كتبها بدءاً من ١٨٨٦ .

قلنا إن المسرحية نُشرت في أيار ١٨٨٦ ، في « الوسيط » . ومنذ شهر تموز من السنة نفسها . مُثِّلَتْ بنجاح كبير على مسرح شعبي ،

في حيّ من أحياء بطرسبرج وعلى مسارح أخرى . لكن الرقابة .
في نيسان ١٨٨٨ ، منعتْ عُرُوضَهَا العامة بسبب المهجمات المسرفة
الحدّة التي تحتوي عليها ضد الموظفين والإقطاعيين ولم تُحسّل منذ
ذلك الحين إلا على أيدي الهواة . ومن الجدير بالملاحظة - وهو شيء
جداً غريب - أنها لم تُعَد طباعتُها في الطبعات السوفيتية ما عدا طبعة
١٩٢٦، المسماة طبعة اليوبيل . وهي ليست في متناول الجمهور الأعظم .

الإقطاعي الذي القصر : هذه المسرحية تلت مباشرةً المقطّر

١٨٨٦ الأول . وتجري أحداثُها في الأزمنة الغابرة

عندما كان الناس يعتقدون بالمعجزات .

وفيها يتلذذ بمزاعم الشب وبزُري بعجرفة النبلاء . والموضوع بسيط :
إقطاعي بواوني فظ وممتلئ بالغطرسة ، معادٍ لتعاليم الإنجيل ، يحذمن
الطبيعي تماماً أن يعيش في الرخاء وأن يملك ما لا يقلّ عن مئات القرى .

وبينما كان يطارِد ، ذات يوم ، أَيْلاً ليصطاده ، خَلَعَ ثيابه
ليُغْرِى مجرى ماء ، فلم يعرفه الفلاحون ، وجلده قطّاع الطرق ، ولم
يُصدّق الرعاة ما يقول . . وعدّه الناسُ غشاشاً ولا سيّما أن إقطاعياً
آخر يشبهه شَبهاً تاماً قد اغتصب مكانه في القصر . وهو يبذل وسعه
ليعمل بين الفلاحين ، لكنه لا يُحسن مَسَلِك المُنْزاة . ولا يلبث أن
يخالط المسؤولين الهائمين على وجوههم ، ويتبدّل ، ويثوب عن حياته
الماضية : حينئذ تغفر له السماء . ويعود إلى قصره ، لكنه سيُظهر منذ
الآن رعايةً أكبر للفقراء . . .

هذه العبارة الأخلاقية المبسّطة كاشفةٌ عن تولستوي الجديد ، عن
عذاباته ، ووساوسه ، وجهوده ليُقلع عن حياة الإقطاعي ، ليُعتنق

الحياة الهائلة ، الفقر الإنجيلي ، لكي لا يعيش كما كان يعيش من قبل .

سلطان الظلمات : كتب تولستوي هذا العمل التهذيبي الثالث ،

١٨٨٦ الموجه للشعب هو أيضاً ، في تشرين ١٨٨٦ ،
دفعاً واحدة ، في أسبوعين ، بعد أن زاره ، وهو مريض ، صديق
له - آ . آ . ستاخوفتش - وكان قارئاً ممتازاً ،

فعرّفه ببعض مسرحيات أوستروفسكي . أما موضوع
المرحّية فقد زوّده به حدثٌ واقعي : قضية جنائية رواها له صديق
آخر هو دافيدوف رئيس محكمة تولا . لقد قتل أحد الفلاحين ، ويدعى
كولوسكوف ، ولبده الذي جاءه من ابنة زوجته هيلين ، وعمرها
سنة عشر عاماً ، ودفنه في فناء بيته . وفي يوم زواج هيلين ، اعترف
بجريمته أمام جميع المدعّوين ، وحاول في الوقت نفسه أن يقتل ابنته
الشرعية التي تبلغ السادسة ، « شفقةً عليها » ، على حدّ تعبيره ، ولكي
لا يتركها وحدها . وأثارت القضية ضجةً كبيرة في وقتها ، كما
أثارت مشاعر تولستوي إلى حد كبير حتى إنه زار كولوسكوف مرتين
في سجنه . بيد أنه أدخل على المسرحية تعديلاً ملطفاً للواقعة الأصلية :
فقد ألغى محاولة قتل الطفلة ، واستبدل بها التسميم البطيء للزوج . على
أن ذلك لا يمنع أن تكون الشخصيات الرئيسية مُستلهمة من
ذلك الحدث الحقيقي . كما قال في إحدى رسائله .

ويشبغي أن نعرف بأن لهذه الشخصيات بروزاً أخذاً : الشاب
نيكيثا الذي يُغوي ثلاث نساء الواحدة بعد الأخرى ؛ الشهوانية آنيسيا ؛
الوقحة ماريونا التي تدفع ابنها ذاته إلى الجريمة ؛ العجوز آسكيم اللجلج ،

ذو النفس الثمينة الذي يجعل الغلبة ، في تيه الجرائم المظلم ، لروح المغفرة . أما نيكيتا ، فليس كائناتاً شريراً بطبيعته . وإنما هو عالقٌ في خطيئة الجسد . وهو يغرقُ في الجريمة دون قصدٍ . وعلى كل حال فإن أمّه والتي يحبّها تدفعانه إلى ذلك . ويحسّ المجرمُ هنا ، كما في الجريمة والعقاب ، بحاجة لا تُقهر إلى الاعتراف العام . إنه يريد أن يكفّر عن خطيئته . فهذا الندم والحاجة إلى التكفير التي ترافقه يكونان العقاب الحقيقي ، لا العقوبات الاجتماعية . التجدّد لا القصاص ، هذه هي فكرة تولستوي .

هذه الدراما الكالحة حقاً ، والمرعبة أحياناً ، لم ترّضَ عنها الرقابة التي وجدت فيها « وقاحةً في التعبير لا تُطيقُها أعصابُ المسرح » (هكذا) . وفي ٢٧ كانون الثاني ١٨٨٧ قرأ حاجبُ الأمبراطور ستاخوفش - الذي ذكرناه آنفاً - هذه المسرحية ، في مخطوطتها ، على الامبراطور الإسكندر الثالث وعلى كبار الدوقات المجتمعين في القصر . وكان الانطباع الذي أحدثته عميقاً . وقد هتف القيصر في النهاية : « هذه مسرحية رائعة » وأعطى ، في الحال ، الأمرُ بتمثيلها على المسرح الامبراطوري في بطرسبرج ، وعملت الإدارة المستحيل لإخراجها . ولم يحسب أحدٌ حساباً لمكائد المشؤوم الطالع بوبيدونوتسيف الذي عرف كيف يقنع الأمبراطور بالطابع اللا أخلاقي الشديد لهذا العمل . فقد ألقى في خلدّه أن الاتجاه المشؤوم لهذا العمل لن يؤدي إلا إلى زيادة تأثير أفكار تولستوي المشؤومة في المجتمع الروسي . كانت الأدوار قد حُفِظَتْ والثيابُ قد جُهِّزَتْ عندما تلقتُ المسارحُ الامبراطورية ، في ٢٤ آذار ، أمراً بشطب سلطان الظلمات من برنامجها . وكانت المسارحُ الخاصة هدفاً للخطر نفسه . وعبر الاسكندر الثالث

في إحدى رسائله ، عن رأي مناقض تماماً للرأي الذي أبداه عند قراءتها .
صرّح : « إن المسرحية مسرفة في واقعيتها وموضوعها مرعب . ومن
المهم أن يوضع حدٌ للفضيحة التي أثارها ليون تولستوي . فهو لا يعدو
أن يكون عدّاماً ومُلحدًا . بل قد يكون من المرغوب فيه خطر بيع
مسرحياته » . ومن السهل أن نبيّن ، تحت هذا الكلام ، فكرة وكيل
المجمع المقدّس ، ومع ذلك فإن نشر « سلطان الظلمات » سُمح
به في المجلد الثاني عشر من أعمال تولستوي الكاملة ، لكن لم يُسمح
للمؤلف بنشر المسرحية في كتاب منفصل . ومع ذلك فلا ريب أن
النجاح الذي لقيته عند ظهورها كان هائلاً : بيع مئتان وخمسون ألف
نسخة في ثلاثة أيام .

تُرجمت المسرحية فوراً إلى الفرنسية في ١٨٨٧ ، وفي ١٨٨٨ ،
ومثلها أنطوان في ١٠ شباط ١٨٨٨ على خشبة المسرح الحر ، مسرح
مونبارناس إذ ذاك ، بنجاح كبير أيضاً . والجدير بالملاحظة أن العرض
سبّقه جدلٌ حار بين مختلف الكتّاب الفرنسيين . فبعضهم مثل
الكسندر دوماس الابن ، وفيكتوريان ساردو ، وأميل أوجيه اعتبروا
هذه الدراما ، مثل الاسكندر الثالث ، دراما من وحي الواقعية المفرطة ،
وأنها ، بهذه الصفة ، لا تصلح إلا للقراءة . وبعضهم الآخر — ومنهم
زولا والفيكونت دي فوغي — انحازوا إلى تولستوي وسندوا أنطوان
في مشروعه . وكانوا على حق في ذلك .

لم يُسمح بتمثيل سلطان الظلمات في روسيا إلا في سنة ١٨٩٥ ،
بعد موت الاسكندر الثالث . وكان تولستوي ، على كل حال ، أول
المدهوشين من نجاح عمله ، ولم يكن يتوقع ، كما باح لصديقه بول

بيريوكوف ، بمثل هذا الترحيب من جانب الجمهور . وكان يعتقد أن هذا العمل لا يصلح إلا للعروض الشعبية ، ويضيف مازحاً : « لو كنتُ أعلم أنها ستُعجب الناسَ إلى هذا الحد لكتبتُ نفسي أن أكتبها كتابةً أفضل » . وفي الحقيقة ، إن لغة تولستوي في هذه الدراما ممتازة ، إنها لغة شعبية حقيقية ، مناسبة للمقام ، قد أحسنَ الكاتبُ استخدامها ، وهي مملوءة بالعبارات اللذيذة النكهة التي لا تكاد تُترجم أو التي لا تُترجم على الإطلاق . ولبعض المشاهد قوة حقيقية قد تُذكر بقوة الملك لير . لكن شكسبير لم يصل ، بطبيعة الحال ، إلى ما كان يحلمُ به : أن يخلع شكسبير عن عرشه . . .

ثمار الحضارة : كلنا يذكر رواج استحضار الأرواح في ١٨٨٩ . آخر القرن الماضي . (ألم يَبْقَ كونان دويل حتى موته مقتنعاً باستحضار الأرواح ؟) وقد بلغ هذا الرواج طبقات المجتمع الراقى في مدن روسيا الكبرى حيث لم يكن يدور الكلام إلا على الوسطاء . وقد حضر تولستوي بعض جلسات استحضار الأرواح وتسلّى بها كثيراً . ولم يكن يرى في ذلك سوى التفرير ، وهو الناس السذج الذين قرفوا من كل شيء . وبدأ كتابة مسرحيته في ١٨٨٦ ، لكنه تركها جانباً فلم يستأنفها إلا في سنة ١٨٨٩ بناءً على طلب ابنته البكر تاتيانا ، التي خطر لها إخراج عرض مسرحي يقوم به الهواة في إياسنايا بوليانا . وأثناء التجارب المسرحية أجرى بعض التنقيحات على النص . وعندما مُثِلت المسرحية في ٣٠ كانون الأول ١٨٨٩ نالت نجاحاً عظيماً ، وبعد سنتين نُشرت ، وانتقلت إلى قوائم المسارح القومية والأجنبية ، لأنها تُرجمت إلى عدة لغات .

هذا العمل الذي تدفقت به قريحته تولستوي من أفضل أعماله المسرحية . والنقد فيه لاذع : نقد العلاقات الشاذة بين الفلاحين وكبار الملاك العقاريين ، نقد التباين بين فقدان الشعور ، والتفاهة لدى الأغنياء النبلاء وبين الحياة البائسة ، المهانة ، المشيئة التي يعيشها الفلاحون الفقراء. مَنْ هم أبطال الصراع ؟ ملاك كبير — يملك ثمانين ألف هكتار — لا يهتم إلا باستحضار الأرواح في حين أن امرأته لا تفكر بغير زيتها ويستحوذ عليها خوف واحد هو خوفها من الجراثيم. وابنها وله هوى واحد: الكلاب السلوقية؛ وابنتها، وهي ليست سيئة في أعماقها، لكن عصفت بها أعاصير التفاهة التي تكتنفها؛ والبارون كوكو الذي لا يُعنى بغير الألبان؛ والمدعوبتيريشتييف الذي يستفيض بنكات بعضها أبله من بعض؛ والأستاذ، أخيراً، وهو مولع باستحضار الأرواح أيضاً، وهو يلقي خطباً علمية كاذبة لا نهاية لها . . . وفي مواجهة هذا « العالم » ، هناك عالم الخدم المضطربين ، لكي يكسبوا قوتهم ، إلى أن يخدموا هؤلاء الطفيليين وأن يكابدوا منهم ضروب الإذلال . ولا يخفي تولستوي العطف الذي يحمله لهم : من تانيا الشبيطة الخفية الشاطرة إلى ذلك الطاهي العجوز السكير . ونحن نرى في المسرحية فلاحين بذلوا غاية جهدهم ليجمعوا أربعة آلاف روبل ليشتروا من الإقطاعي قليلاً من الأرض . (يستدينون من مصرف الفلاحين) وهم لا يلقون ، بالطبع ، سوى عدم الفهم من المعلم ، بل إنهم يتعرضون للطرد من زوجة الملاك التي تخافهم كما تخاف الطاعون : ذلك لأنهم حاملة الجراثيم ! إن المرارة التي يحسون بها كبيرة : فهم يشكون أنهم لا يملكون من الأرض ما يكفي « لإطلاق دجاجة فيها » — وقد لقي هذا التعبير نجاحاً . ومع ذلك فهم يبذلون ، من تحت هذا الخجل كائنات خيرة للغاية ، تتحلى بكرامة أخلاقية عظيمة ، كائنات .

هي بالاختصار ، أعلى من الكائنات التي تُسيء معاملتها وتستخفّ بها ، من كل النواحي .

بطرس العشار : هذه المسرحية التي استوحاها تولستوي من الكتاب المقدس والتي خصّصها للجدهور الشعبي ، ١٨٩٤

لا تخلو من الأهمية . فهي توسّع موضوع موشحة نيكراسوف الشهيرة ، لكن الأحداث تجري في

سورية ، في القرن الثالث ، في عهد الحماسة المسيحية الكبيرة . وهي تروي قصة تحوّل تاجر غنيّ عذّبه تبكيّت الضمير . إن بطرس ، العظيم الثراء ، أبى ، خلال ثلاثين عاماً ، أن يعطي أحداً كسرة خبز . مرة واحدة رمى بكسرة خبز لحاج مسكين ، — وبشيء من الغضب والحق — . وإذا بالمرض يصّرعه : حينئذ فكّر في الموت وبالكلمة القائلة : « إن الأغنياء لا يمكن أن يدخلوا ملكوت السموات » . ثم تخيل يوم الحساب وأدرك أن عملاً واحداً خيراً قد يوازن سنين من الآثام . فاعتنق العقيدة المسيحية ونذّر أن يوزع أمواله على الفقراء . لكن أسرته تعارضه : فينفصل عن زوجته ويقرّر أن يتصرّف بشخصه لأن ذويه يرفضون مشاطرة الفقراء أموالهم ، ويأمر خادمه أن يبيعه كعبد وأن يعطي الفقراء الثمن الذي يأتيه . وهذا ما جرى فعلاً في مصر . وبعد ثماني سنوات ، تعرّف إليه طبيبٌ آتٍ من سورية . لكن بطرس يتوارى . إنه لا يريد أن يكرّمه أحد .

كيف لا نتبيّن هنا عذاب تولستوي الأساسي : وسواسه لتوزيع أملاكه ، نزاعه مع أسرته ، عجزه الشديد عن التضحية بذاته ، عن عطاء كل شيء ، عن الهرب من عبادة الجماهير لكي لا تبسّجله أبداً .

الجنة الحية : هذه الدراما المؤلفة من اثنتي عشرة لوحة ،
١٩٠٠-١٩٠٤ والتي هي ، بلا شك ، أكثر مسرحيات تولستوي
شهرةً ، استوحاها تولستوي ، مثلها مثل سلطان
الظلمات ، من واقعة حقيقية داخلية في الوقائع
القضائية . ففي سنة ١٨٩٧ عَرَضَ عليه صديقه القانوني دافيدوف
حالة الزوجين هيمر : فقد الزوجُ عمله وتمرَّغ في قاع المدينة بعد أن
أمعن في السكر على إثر صدامه الفاجع مع امرأته . لقد هجر امرأته ،
وتظاهر بالانتحار بناءً على طلبها ، واستطاعت أن تتزوج مرةً ثانية .
ثم انكشفت الخدعةُ مصادفةً ذات يوم ، وأحيلَ الزوجان إلى القضاء .
أكبَّ تولستوي على العمل في كانون الثاني ١٩٠٠ واشتغل بمسرحيته
حتى تشرين الثاني . وفي عام ١٩٠٤ أدخل عليها بعض اللمسات لكنه
لم يُسلمها للنشر : ذلك ان هيمر الابن زاره بالفعل ورجاه ألا يُذيع
الفاجعة بنشْره لمسرحيته . على أن القضية لم تنتهِ نهايةً بالغة السوء :
ذلك أن الزوجين بُرِّئا وحُكِّما بعقوبة كنسية فقط . وكان أمراً مُحرجاً
إثارةُ المسألة من جديد .

لم تُنشر المسرحيةُ إذن إلا بعد موت تولستوي . ولقيت رأساً
نجاحاً عظيماً . ومثَّلت لأول مرة في أيلول ١٩١١ في مسرح ستانيسلافسكي
الفنّي في موسكو . وتجلّى فوزُ « موسكفين » الباهر في دور بروتاسوف .
وقد مثَّلت المسرحية في الأشهر التسعة وحدها من السنة التالية تسعة
آلاف مرة على أكثر من مئتي مسرح روسي . ولم يكن استقبالها أقل
توفيقاً على مسارح أوروبا الغربية .

ويُلاحَظ أن شخصية بروتاسوف ، بالرغم من إدمانها السكر ،
تَحْظَى بعطف المؤلف : ذلك أنه رفض مصالحة النظام القائم ، وتخلّى

عن الحياة البرجوازية ، ونزل إلى الفقر ، وأراد أن يكون مغموراً ،
وذلك هو مثل تولستوي الأعلى الذي لا يُنال .

النور يَسْتَطِع في الظلام : كُتِبَتْ هذه المسرحية من ١٩٠٠ إلى

١٩٠٠ - ١٩٠٢ ١٩٠٢ ولم تتم بسبب طابعها الشخصي ، من غير

شك . فالفصل الخامس غائب . ولم ير النص

النور إلا في سنة ١٩٢٦ ، استناداً إلى نسخة عنه

مرسلة من موسكو . فهل مُثِلَتْ هذه المسرحية ؟

هنا مع أنها أكثر أعمال المؤلف تأثيراً وعمقاً ،

إن لم نقل أكثرها نجاحاً . ففيها يصوّر تولستوي نفسه على المكشوف :

إن نيكولا سارنتسيف ، بطل المسرحية الرئيسي هو تولستوي نفسه .

وهو ، مثل تولستوي ، رجلٌ دَبَّتْ إليه الشيخوخة ، مشغوف بالإنجيل ،

ولا سيما بالموعظة على الجبل ، مُنْكَرٌ لشعائر الكنيسة وحتى للعقيدة .

وهو لا يهتم كثيراً بأولاده الذين يعيشون حياةً أقرب إلى الحياة

الاجتماعية المنحلّة . وهو يجد نسيباً لأفكاره في شخص كاهن شاب

يُعْطيه « رينان » لكي يقرأه ، وفي شخص خطيب ابنته البكر ، على

الخصوص : الأمير الغني بوريس تشيريمشانوف الذي يعتقد ، كمعلمه ،

الفوضويّة مثلاً أعلى ، ويعتقد الهكرة القائلة بأن الخدمة العسكرية

ظلمٌ لأنها تناقض التعليم : « لا تَقْتُلْ » . إن بوريس يرفض أن

يؤدي القسم العسكري ويغدو شهيداً استنكافاً الضمير . وسيتذكر

الناس ، بهذه المناسبة ، الحادثة الغريبة التي حدثت لابن تولستوي الثالث

سنة ١٨٩٢ ؛ لقد تطوّع ابن الكاتب في كتيبة من رماة الحرس ،

وأراد أن يرفض أداء القسم الرسمي ، حفاظاً على مثله الأعلى . لكن

القائد - الحليم - دعا ، تحاشياً للفضيحة ، مجاسم الأطباء الذي أقرّ

بأن ابن تولستوي « غير لائق للخدمة العسكرية بسبب وضعه الصحي » .
وعاد الابن إلى اياسانيا بوليانا يغمره الخجل ، كما روى هو نفسه في
مذكراته . إن انكارثة الممكنة تحولت إلى مهزلة . لكن الأمر لم يكن
كذلك دائماً مع سائر أتباع تولستوي : فمعظم المستنكرين ضميراً
كابدوا عقوبات صارمة في روسيا ، مثل « الناصريين » في النمسا
وهنغارياً الذين حدث تولستوي عنهم الطبيب السلافي دوشان ،
ماكوفيتسكي .

لقد نقل تولستوي بقوة ، في مسرحيته ، الجدل الوجداني لدى
الشباب بوريس ، وهو الوحيد الذي ظل أميناً لفكر سارنتسيف
الكاهن الشاب الذي نُفي إلى سولوفكي . تنكّر لتعاليم معلمه وعاد
إلى طاعة الكنيسة الرسمية . ولم تفهم زوجته سارنتسيف ، بوريس ؛
أما البنت المتقلبة فقد عثرت بسرعة على عاشق جديد ، وأما الأولاد
الآخرون فهم لا يفكرون إلا في الموسيقى وفي الحفلات الراقصة . وظل
الرجل العجوز وحده يحرث أفكاره المربرة ، ويدور في القلق ، قائلاً
في نفسه أبداً : « يجب أن نتخلص من هذا الترف المفسد » . لكنه
لا يقوى على ذلك . ومن السهل التعرف من خلال ذلك على ملاحظات
تولستوي نفسه . وفي الخطوط العريضة للفصل الأخير - وهو لم
يُكتب إذن - تأتي أم بوريس لتقتل برصاصة مسدس هذا الذي
أغرق تلميذه في الشتاء . ويموت سارنتسيف في حالة من السكينة
النفسية ، ذلك أنه وجد أتباعاً جدداً : الدكهوبور . . .

كل الفضائل تأتي منها : وهذه المسرحية من آخر أعمال
تولستوي ، إذ أنها كتبت قبل موته بقليل . ١٩١٠
وهي أيضاً مسرحية تهذيبية تعالج مساوئ

الكحول وتُعيدنا إلى « المقتدر الأول » . لكننا لا نجد هنا ابليس والشياطين :
 فاللهجة واقعية . إنها لوحة تقلد الواقع بكثير من الدقة ، وخلفتها
 هي حياة الفلاحين التي يَهرُفها المؤلف جيداً . ونحن نرى فيها أسرة
 فقيرة تَنتظرُ فيها النساء - الأمُ والزوجةُ والبنتُ - بكثير من القلق
 عودةَ ربِّ الأسرة . (لقد ذهب إلى المدينة لبيع العلف) . وهو ، على
 العموم ، يسكر برفقة إينياس ، رفيقه الغبي . هل سيَحْمِلُ معه قليلاً
 من المال أم سيُنفق كل شيء في السُّكر ؟ وفي هذه الأثناء ، يأتي جابي
 القرية بعابر سبيل لإيوائه ليلة واحدة . ويُسْتضاف ثم لا يَلْبِثُ أن
 يدور الحديث على مساوئ الكحول . فيؤكد الضيفُ أن الجميع
 الكوارث سبباً واحداً : ماء الحياة . ويروي كيف أن الشرابَ أفسد
 حياته . لقد كان ميكانيكياً ، وكان ، لبعض الوقت ، عضواً في حزب
 ثوري ، وعرف السجن . وهو الآن يبحث عن عمل . عند ذلك ،
 يصل ميشيل وإينياس ، وهما يترنحان . لقد ذَهَبَ مألُهما ، ولم
 يَحْمِلا معها سوى شيء من السكر والشاي . ويشربون . فيروي
 عابرُ السبيل أيضاً أنه عرف السجن على إثر حادثة سطو ، وهو شيء
 كان معهوداً إذ ذاك في روسيا . وفي اليوم التالي ، يلاحظُ غيابُ السكر
 والشاي مع غياب عابر السبيل . ويوقفُ هذا ويُفتاد إلى المنزل الذي
 استضافه ، فيَغْفِرُ له الزوجان ، بل ويُهَيِّانه السكر والشاي . فيطلب
 المسكينُ المغفرةَ ، ويبكي معترفاً بحرقته . لقد حولتهُ الخمرةُ إلى
 شقي ليس غير .

يُلاحظُ إلى أي حد كان تولستوي متحيّزاً عندما قدّم عابر
 السبيل على أنه ثوري . والواقع أنه ليس سوى حكاية ، كذاب ،
 غشّاش . (والسطو أفاده هو ولم يفد الحزب) . وهو ، بالاختصار

« ابن الدعارة » الذي تقاذفته أمواجُ القدر ، ودمّرتَه الكحولُ ، وهو يكونُ مع النزاهة الفلاحية تبايناً جاداً - سهلاً . وهذه الطريقة الكاريكاتورية في تصوير الشخصية الثورية تُذكّرُ بأشباح العدميين البادئة المختلقة برمتها . إن نبيّ لا مقاومة الشر ، ورسول المحبة والغفران لم يكن يتعاطف مع الثوريين إلا بمقدار ما يكونون شهداء لقضيتهم . لكنّ ما لم يتوصّل إلى فهمه هو العنف : « في هذه الثورة ، أؤدّي ، بكامل رضائي ، مهمّ ممّامي الشعب المكوّن من مئة مليون فلاح . وأنا أبتهجُ بكل ما يمكن أن يُسّهم في سعادته . . . لكنني أنظرُ برعبٍ إلى العنفِ والقَتْلِ مِنْ أَيْةِ جَهَةِ جَاءَا » .

الكسندر . ف . سولوفيف

* * *

العربي
ملهاة في ثلاث فصول
١٨٦٣

.

•

-

الشخصيات

غلافير فيدوروفنا	: سيدة عجوز .
فيونا (١) اندريفنا	: متطفلة (٢) على المنزل .
سيمون ايفانيتش	: ابن غلافير وملاك عمره أربعون عاماً .
ماري دميتريفنا	: زوجته .
ليوبا	: أختها .
ناتالي بافلوفنا	: صديقة ليوبا .
نيكولنكا	: تلميذ ثانوي ، ابن أخ سيمون ايفانيتش .
كريزانت (٣) فاسيليفتش	: طالب ، عديمي ، مربّي نيكولنكا .
تجري الأحداث في أملاك سيمون ايفانيتش	

-
- (١) فيونا : شكل روسي لاسم يوناني نادر جداً هو : شيونيا .
- (٢) « متطفلة » : كان الكثير من البيوتات النبيلة في هذا الزمن تؤوي « المتطفلين » الذين يعيشون فيها على حساب النبيل ؛ وكانوا في الغالب من الأقارب البعيدين والفقراء .
- (٣) كريسزانت : اسم يوناني مستعمل فقط بين رجال الكهنوت الروسي ؛ وفيه إشارة إلى أصل الطالب .

الفصل الأول

المشهد - ١ -

« غلافير فيدوروفنا ، فيونا اندريفنا ، سيمون ايفانيتش ، حول
فنجان شاي » .

غلافير فيدوروفنا : دعوت الناس ، يا سيمون ، لكنني لا أفهم :
ليتهم كانوا ، على الأقل ، في مستوى لائق . الله أعلم من
أين يجيئون ! لقد دخلوا أمس غرفة المهملات ، وفتشوا
كل شيء فيها ، وقلبوه رأساً على عقب . ما أسخف
طريقة التسلية هذه ! آه ! من هذا الجيل الجديد . . .

فيونا اندريفنا : الأفضل ألا تدعو أحداً ، في مثل هذه الأيام ، يا
صديقي . أتعلم أن حوذيّاً لدى آل جيفوتوفسكي دخل
المنزل من النافذة .

سيمون ايفانيتش : مالنا وللحوذي . فللشباب ملء الحق في أن
يكنّوا . أليس كذلك ؟ لكن ، أين ذهب ضيوفنا ؟

غلافير فيدوروفنا : يا عزيزي ، أنت توافقه على لهوم ، لكنك لا
ترى أنهم فقدوا كل احترام لمن يكبرهم سنّاً . فاليوم هو
عيد ميلادك ، ولم يأت أحد منهم بعد لتهنّتك .

فيونا اندريفنا : هذا هو الوضع الجديد . فهناك الآن هؤلاء الجهنميون(١)
وينبغي تقديم الطعام والشراب لهم .

سيمون ايفانيتش : آهمُ بهذه الكثرة ؟ لكن ، لم تُزعجين نفسك ،
يا أمي ؟ كان لا بدّ لي من دعوة ابن أخي لقضاء العطلة ،
ومعه هذا الطالب الذي يرافقه والذي هو مربّيه . . .

غلافير فيدوروفنا : لكننا لا نستطيع دائماً أن . . .

فيونا اندريفنا : يا إلهي !

سيمون ايفانيتش : ثم إن أخت زوجتي قد تركتها المدرسة الداخلية(٢)
تخرج ، وهي مع صديقة لها ، فتاة فاتنة . . .

فيونا اندريفنا : طيّب ! أنا أقول : إن هؤلاء « الصديقات » ،
سُيّد قَتْنَكَ مر العذاب .

سيمون ايفانيتش : كيف ؟

غلافير فيدوروفنا : لا شيء .

فيونا اندريفنا : أتريد شيئاً من السكر ، يا صديقتي ؟

المشهد - ٢ -

« الأشخاصُ أنفُسهم وماري دميتريفنا التي تقف على عتبة الباب » .

سيمون ايفانيتش : آه ! ها هي ذي !

(١) الجهنميون : فيونا تحرف كلمة « علمي » وتشتقها من « جهنمي » عن طريق الخلط بينهما .

(٢) تركتها المدرسة الداخلية : كانت الفتيات قديماً تستبقين ، أثناء العطلة المدرسية ،
في المدرسة الداخلية .

ماري دميتريفنا ، على الباب : ليّاكم أن تنسوا شيئاً . (تقترب من زوجها وتقبّله) . صباح الخير ، يا عزيزي ، أتمنّى لك عيداً سعيداً . صباح الخير ، يا ماما ، أهنتك بعيد ميلاد ابنك . احتراماتي ، يا فيونا اندريفنا .

غلافير فيدوروفنا : يبدو لي ، يا عزيزتي ، أن هذا اليوم يومٌ سعيد بالنسبة إلى الجميع .

ماري دميتريفنا : أعلم ذلك ولن أنساه .
(تعانق زوجها)

سيمون إيفانيتش : أتعلم إلى أين ذهبت ليوبا والجماعة ؟

ماري دميتريفنا : رأيتهم . . . لا لم أرهم .

غلافير فيدوروفنا : كلُّ شيء كان مختلفاً ، في زماني . فعندما كان زوجي يحتفل بعيد ميلاده ، كنتُ أنهضُ مبكرةً — أذكر ذلك — وكنتُ أشرفُ على كل شيء في المنزل ، فأُعدّ المناجات ، وأصنع باقات الزهور . وكان كلُّ واحد يلقي شيئاً من الشعر الخفيف ، بل إن أختي عزفتُ ، ذات مرة ، قطعة موسيقية على البيان القيثاري . . .

فيونا اندريفنا : هل تذكرين ، يا صديقتي ، أنه قد مُثِّلَتْ ملهاةٌ تُدعى : « الحبل » ؟

غلافير فيدوروفنا : أيّ حبل ؟

فيونا اندريفنا : قلتُ : إن هذا هو عنوان الملهاة .

غلافير فيدوروفنا : وعندما كان زوجي العزيز يدخل ، كانت التهانى

تنطلق إليه من كل مكان . كان ذلك مؤثراً ، أؤكد لكم .
لا نستطيع أن نقول أن الأشياء هي نفسها هنا .

فيونا اندريفنا : لا يمكنني أن أتذكر ذلك دون أن أبكي . لقد كانت
تلك الأعياد أعياداً حقيقية ، لا كما هي اليوم . . . وعندما
أرى ، لدى الشباب ، مثل هذا النقص في الحب ، فاني لا
أستطيع أن أمتنع عن البكاء .
(تلدف دمة)

ماري دميريفنا : أحياناً كان الأمر كذلك ، يا أمي العزيزة ، في زمانك ؟
وهل هو اليوم أقل حسناً ؟
غلافير فيدوروفنا : أقل حسناً بكثير .

المشهد - ٣ -

« الأشخاص أنفسهم . تصل ليوبا وناتالي وكريزانت وهم يركضون »
ليوبا : صباح الخير ، يا غلافير فيدوروفنا أقدم لك تهاني .
تمنياتي لك ، يا سيمون .

ناتالي : متعجبة ، ومنحنية الخنقاء الاحترام : **صباح الخير ،**
يا سيدتي ، اهتاك ، وأنت أيضاً ، يا سيدي ، اهتاك .

ليوبا : بمرح : لم تبكين ، يا فيونا اندريفنا ؟

كريزانت : لماري ، بهدوء : وجدت . . .

ماري دميريفنا : بصوت خافت : ممتاز .

سيمون إيفانيتش : عمّ تتحدثان .

كريزانت ، لسيمون ايفانيتش : بما أن العادة تقضي بأن يقدم الناس تمنياتهم ، فأنا أقدم لك تمنياتي ، يا سيدي .

سيمون ايفانيتش ، لماري : ألم تتعري بعدُ على كريزانت فاسيلييتش ؟
ماري دميريافنا ، مرتبكة : يعنني ، بلى . . . لا لم نتلاقَ . صباح الخير .

كريزانت ، محيياً : بلى ، تلاقينا قبل الآن . (لفيونا) ولم تبكين ، يا فيونا اندريافنا ؟ ألم يُررنا التقدمُ أن الدموع ليست سوى وظيفة من وظائف العضوية .

فيونا اندريافنا : اذهب عنا أنت « وعزوتيك » (١) . أنا أيضاً أستطيع أن أبتكر منها الشنائم . رأيتُ كثيرين غيرك ، يا صغيري ...

غلافير فيدورفنا : أنا سعيدة ، يا أصدقائي ، أنكم جئتم لزيارة ابني .
أخشى فقط ألا تستمتعوا جيداً معنا ، نحن السيدات المسنات .
تغير الزمن كثيراً . وأنتِ ، يا عزيزتي ، هل أنهيتِ دراستك ؟

ناتالي : لا ، يا سيدي ، لم أنها بعد .
ليوبا ، تشدها من ثوبها : لا داعي لأن تقولي ذلك . فسوف يكتشفونه بسهولة .

ماري دميريافنا : الجو شديد الحرارة هنا . (مقتربة من الشبان)
عسى ألا يتبين شيئاً .

(صمت)

(١) عزوتيك : فيونا تحرف كلمة عضوية لا عنقادها أنها شتية .

غلافير فيدوروفنا : ما أسرعَ ما ارتبطتُ امرأتكَ بصداقةٍ مع هؤلاء
الشبان .

سيمون ايفانيتش : كيف ؟

فيونا اندريفنا : إنها شديدةُ الاحتفاء بالضيوف ، امرأتك .

المشهد - ٤ -

« الأشخاص أنفسهم ، نيكولنكا »

نيكولنكا : يدخل وهو يركض : تهانّي ، يا غلافير فيدوروفنا ،
وتهانّي لك أيضاً ، يا عمّي .

(يُحيّي فيونا تحيةً مضحكة ، ثم يلتفت إلى الفتیان . يتهامسون
جميعاً ويهربون) .

سيمون ايفانيتش ، منادياً : ماشا ! ماشا !

المشهد ٥

« غلافير فيدوروفنا ، فيونا اندريفنا ، سيمون ايفانيتش »

غلافير فيدوروفنا : نعم ، يا عزيزي ، الشبيبةُ لها اليوم وجهةٌ نظرها
في الأشياء . لا أقول أن فرق السن كبيرٌ . بينك وبينهم ،
لكنّ كان بإمكانهم مع ذلك أن يُظهروا لنا قدراً أكبر من
الاحترام . كل ذلك محزنٌ ، محزنٌ جداً .

فيونا اندريفنا : كأنهم انطلقوا ليشهدوا حريقاً .

سيمون ايفانيتش ، مُغضباً : هلاّ سكتَ !

(فيونا تنهض ، من الخوف)

غلافير فيدوروفنا : لا ترفع صوتك إلى هذا الحد ، يا صاحبي !
الآن زوجتك ذهبت مع هذا الطالب ، بدلاً من أن تبقى
مع زوجها ، تريد أن تتحامل عليها ؟ لأنك تغار من هذا
المتطرف .

سيمون ايفانيتش ، ناهضاً : ماذا تقولين ، يا ماما ؟ أنا أغار ؟ أنا
أنزل إلى هذا المستوى ؟ اللفظة وحدها تثير اشمزازي .
(يضرب الطاولة بقبضته) . واسمحي لي أن أقول لك :
إنك إذا شئت أن تُفسدي ما بيني وبين امرأتي . . .

غلافير فيدوروفنا : بالله عليك ، يابني ، لا تُلقي باللوم عليّ . أنت
تدعو إلى منزلك أياً كان من الناس . وتكون الغلظة بعد
ذلك غلطتي . هيا ، يا فيونا ، أرى أننا لا مكان لنا هنا .
فيونا اندريفنا : من المؤكد أننا لا مكان لنا هنا ، يا صديقتي .

المشهد — ٦ —

« سيمون ايفانيتش ، وحده »

أغار أم لا أغار ! هراء كل ذلك ! وإن كانت غريبة ، غاية
الغربة ، تلك الغمزات والتهامسات . ثم إنها ذهبت معهم . وكل
هؤلاء الفتيات اللواتي يُفسرفرن حول هذا الشاب الهزيل كريزانت !
تلك قدوة سيئة . الفتيات يُفسرفرن وهي تفعل مثلهن . لا ، لست أفهم ،
في الحقيقة ، هذه الابتسامات الغامضة ، وتلك الغمزات . إن هذا
ليُغيظ ، في النهاية . بل وأكثر ، إنه يُقلق ، يُقلق كثيراً . . . آه !
النساء ، النساء .

ستار

الفصل الثاني

المشهد - ١ -

« ماري دميريفنا ، ليوبا ، ناتالي ، نيكولنكا ، يفحصون ورقة شفافة . ملونة ، فوضى في الغرفة : أوراق ، غراء النشاء ، ملابس ... »
ماري دميريفنا : لقد رتبّ كريزانت كل شيء أحسن ترتيب .
اللهُ هو الذي أرسله إلينا !

ناتالي ، ضاحكة : لو تعلمين ، يا ماري ، إلى أيّ حد يضايقني .
تصوّري أنه يحاول أن يغازلني ، وهو يحدثني طوال الوقت
عن « الحبّ المعقول » . يا للفظاعة !

ليوبا : هذا غير صحيح ، يا ماشا . فناتالي مسرورة جداً . وهي
التي تتغنّج أمامه .

ناتالي : أنا ؟ يا للغباء ! لا ، يا ماري ، هي التي تتغنّج . حتى
إنها حدثته عن تحرير المرأة .

ليوبا : بل أنتِ .

ناتالي ، مغتاضة : بالغتِ كثيراً ! أكرّر أن غيري هو الذي يفعل
ذلك .

ليوبا : بل أنتِ .

ناتالي ، باللهجة نفسها : عفواً ، قلت لكِ كلاماً .

ليوبا : بل أنتِ .

ماري دميتريفا : كفى نقاشاً . آن وقتُ العمل . لم ينتهِ الحرف « س »
بعد .

ليوبا : ماشا ، لستُ أحسنُ ذلك . لا بدّ من دعوة كريزانت ،
على الفور .

ماري دميتريفا : اذهبْ وآتِ به ، يا نيكولا .

(يذهب نيكولنكا راجعاً)

المشهد - ٢ -

« نفس الأشخاص ، ما عدا نيكولنكا » .

ناتالي ، تقرب من ماري بحوية : إنه يتخلع سترته أثناء العمل .
اسمحي له بأن يخلعها ، وانظري إلى قميصه .

المشهد - ٣ -

نفس الأشخاص ، كريزانت مع نيكولنكا

ماري دميتريفا : هل الشعرُ جاهزٌ ؟

ليوبا : ادهنْ الورقَ الشفّاف بالسّناج . لا أريد أن أوسخ يديّ

ناتالي : وأين الفوانيس ؟

كريزانت ، على عتبة الباب : هذه هي مساواة النساء ! الله وحده هو
الكليّ الوجود ، أما أنا فلا أستطيع أن أكون موجوداً في

كل مكان . لقد قلتُ لك ذلك يا ناتالي بافلوفنا : في الحقيقة ،
ما تزال النساء بعيدات عن تصوّر الحب المعقول .

ليوبا : ليس الموضوعُ موضوعَ الحب الآن ، ادهنْ بالسناج
الورقَ الشفاف .

ماري دميتريفنا : ألا تُريدُ أن تخلع سترتك ؟

ناتالي : أَلصق الفوانيس .

كريزانت : حسناً ! بما أنكِ تسمحين بذلك . . .
(يخلع سترته)

ماري دميتريفنا هيّا ، اعملْ . نيكولنكا ، قفْ عند المدخل ، وإذا
اقترب أحدٌ فنبهنا .

نيكولنكا : اطمئني ، لن أَدع مخلوقاً يقترب .

(يخرج)

المشهد - ٤ -

« الأشخاصُ أنفسهم ما عدا نيكولنكا ، الانظارُ شاخصة إلى
قميص كيريزانت » .

ناتالي : هو ليلكي .

ماري دميتريفنا : هو وسخ .

ليوبا : هو موشى بأزهار زرقاء .

كريزانت : ماذا تقلن .

ليوبا : لا شيء . كنت أقول إن الأزهار الزرقاء تنسجم مع الفوانيس .

كريزانت : هل بإمكانك مساعدتي ، يا سيداتي ؟

ناتالي : بالتأكيد ، سأبدأ بالإلصاق أنا أيضاً .

(تُلصقُ نجمةً على قميص الطالب) .

ماري دميريفنا : ماذا تفعلين ؟

ليوبا : من أين جئت ؟

نيكولنكا : ضاعَ كل شيء .

كريزانت : أيها الخادمُ الخائن ، لقد أمرتكَ أن تحرسَ كرمي
فنمتَ (١) !

(يضايقون نيكولنكا)

ليوبا : سأدغدغه حتى الموت .

ناتالي : سألطّخهُ بالسناج .

نيكولنكا ، متخبطاً : دَعُونِي ، دَعُونِي !

المشهد - ٥ -

« الأشخاص أنفسهم وفيونا اندريفنا » .

فيونا اندريفنا ، مرتبةً : يا إلهي ، خنقوا الفتى . أسرعْ ،
تعالوا جميعاً .

كريزانت : سيدتي ، مع أن صحبتك تسرّ قلوبنا ، إلا أننا مضطرون
إلى الاستغناء عنها الآن .

(١) كيريزانت : يتكلم بأسلوب التوراة مازحاً .

فيونا اندريفنا : أفّ !

ليوبا : اخرجي من هنا .

(تصفّق الباب)

فيونا اندريفنا : تُري فستائِها الذي تمزّق عند الباب ، وبالهجة

شاكية : هذا من حرير راشيل . والمؤلمُ أن ووليّة نعمتي

هي التي أهدتني إياه . . .

ماري دميتريفنا : أغربني أنتِ ووليّة نعمتك !

فيونا اندريفنا : وقد عادت إلى الظهور عند الباب : باللفظاعة

تنكّر الطالبُ في ثياب الشيطان . ثِقُوا أنني سأروي كل

شيء .

(تخرج)

ماري دميتريفنا : ، امض يا نيكولشكا ! قُسم بالرّصدِ ، مرة أخرى .

ولنَعُدْ نحن إلى العمل .

كريزانت : ماذا قالت ؟ الطالب تنكّر في ثياب الشيطان ؟ دَعْنَا نَر .

(ينظر في المرأة ويتزعّجُ النجمة ، مغتاظاً) ليس في هذا

شطارةٌ ذكية ولا دعايةٌ مسلّية . أشكركِ . إني اعرّف

عقليّتكِ ، في هذه الفعالة ، يا ناتالي بافلوفنا .

(يرتدي سترته)

ليوبا : ليست ناتالي هي التي فعلت ذلك . النجمةُ التصقتُ من

ذاتها .

ناتالي وماري معاً : مِن ذاتها .

كريزانت : عقلية رجعية .

ماري دميتريفنا : مهلاً ، يا كيريزانت ، أأست تفهم المزاح ؟ ويحب
أن أنصرف أنا حتى يشرعوا بالبحث عني .

نيكولنكا ، راكضاً : ها هي ذي تعود .

(يركضون جميعاً ليقفوا حول الطاولة وهم يصيحون : يا إلهي !)

ماري دميتريفنا : أسرعوا ، ارفعوا كل شيء واخفوه .

ليوبا : أنا سألونه .

(تدهن قبّة قميص الطالب) .

ماري دميتريفنا : أين الأشعار ؟

كريزانت : امنحيني لحظةً أستنزل فيها الإلهام ، يا ماري دميتريفنا .

(يُمِرُّ يدهُ على جبهته فيلطّخ وجهه بالسناج)

ناتالي وليوبا : الإلهام الإلهام ، المزيد من الإلهام !

كريزانت : الذي يستمرّ في تلطّيح وجهه دون أن يلاحظ شيئاً :
فلنكنّ !

(يقف جانبياً ويتخذ وضعاً متصنعاً)

لكي أوجه إليكم تهانيّ . . . لا ليس هذا حسناً .

نيكولنكا ، مسرعاً : ها هو ذا ، ها هو ذا !

ماري دميتريفنا : مَنْ تعني ؟

نيكولنكا : الطاهي نيقولا !

ماري دميريفنا : لا قيمة للطاهي ، لكن إذا مرّ أحدٌ من الأسرة
كريزانت : العفو ، يا سيداتي ، العفو . لقد لطّختني وأنصقتِ
بي المصصقات هازئةً ، مرتين ، يا ناتالي . وفي هذه الأثناء ،
لم تتمّ القصيدةُ بعد .

ماريا دميريفنا : بالنسبة إلى الإلهام ، إن كان يلزمك شيءٌ منه فنحن
في خدمتك ، ستتابع الإلصاق .
كريزانت ، وكأنه يخاطب شخصاً : لكي أوجّه تهانيّ . . . لا ليس
هذا حسناً .

لكي أقدم مباركاتي . . . (بعد تفكير) .
في الواقع ، سأُشيد قصيدة لغيري ، قصيدةٌ جاهزة .
ها هي ذي ، يا ماري دميريفنا ، اصغي :
« مع أن التهاني لم تعد موضعاً للتقدير ،
إلا أنني لا همّ لي سوى سعادتك ،
أنا اللابس ثيابَ نعمتك المزدانة بالزهور
أنا ذو الفكر المحافظ . . . »
اسمحي لي أيضاً . . .

ماري دميريفنا : ممتاز . نحن الثلاث سنرتدي ثياب نعمته ، وسنحملُ
إليه اسمه المنقوش .

وسأُشيد الأشعار . أشكرك أعظم الشكر ، يا كريزانت .

(تشدّ على يده . تُفْتَحُ النافذة ويُطلّ منها رأس سيمون
ايفانيتش) .

ماري دميتريفنا : مرتعبة بينما أخفت الفتاتان الفوانيس الورقية :
سيمون أياك أن تدّخل !

سيمون ايفانيتش : ناظراً إلى امرأته بغضب شديد : آه ! أنتم هنا .
يُسعدني أن أراكم جميعاً فرحين إلى هذا الحد . .
جيد جداً ، جيد جداً . سأنصرف .

ناتالي : يا إلهي ، لقد رأى كل شيء .

ليوبا : إله لم ير شيئاً .

ماري دميتريفنا : وأين ذهب هذا اللعين نيكولينكا ؟ « ليوباً » ، اذهبي
وأحضريه .

« تذهب ليوبا راكضةً وتصطدم بنيكولنكا »

نيكولنكا ، راكضاً : ها هو ذا يأتي بذاته .

المشهد - ٦ -

« ماري دميتريفنا ، سيمون ايفانيتش ، كيريزانت ، غلافير
فيلدوروفنا »

غلافير فيلدوروفنا : شيءٌ لطيفٌ حقاً . سيمون ، يا بني المسكين !
وأنت التي لم ترّحمي شيبتي . وكل ذلك من أجل مَنْ ؟
من أجل هذا الغبيّ ؟

ماري دميريڤنا : فيما بعد ، سأقصّ عليكِ كلّ شيء ، يا ماما . هيّا ،
يا كريزانت ، تعال .

(تقوده)

المشهد - ٧ -

« غلافير فيلدوروفنا ثم فيونا اندريڤنا » .

غلافير فيلدوروفنا ، وحدها : بلا حياء ولا ضمير ، أخذتُ معها تابعيها
المطيعَ وانصرفتُ . حسناً ! لن أتحمّله بعد الآن .

فيونا اندريڤنا ، راكضةً : يا وليّة نعمتي . . .

ستار

* * *

الفصل الثالث

المشهد - ١ -

« غلافير فيدوروفنا وفيونا اندريفنا تلعبان بورق اللعب لعبة الصبر »
فيونا اندريفنا : إنها تسمع صخباً غريباً ، فتتظر ، وترى تحت
ايقوناتها دوائر ، ثم دوائر . . .
غلافير فيدوروفنا : لكن أية دوائر ؟
فيونا اندريفنا : الربُّ الرحيم هو الذي أرسل إليها النبوءة . . . فتذهبُ
إلى الناسك، وتدخل حجرتَه، فتجد خنزيراً جالساً . . .
لقد هزىء الشيطان منها . . . فيُغمىَ عليها . ولحسن الحظِّ
أن راحها مبتدئاً دخل ورشَّها بالماء ، وقال لها : الأمر
تافهٌ . فهذا أحدُ الأبرار الذين قد يظهرون في أول صورة
تعرَّض لهم .

غلافير فيدوروفنا : تعطيها ورق اللعب : اخاطي .
فيونا اندريفنا : بكل سرور ، يا صديقتي . حينئذٍ نصحبها الناسكُ
بنصيحة : « اذهبي إلى سولوفكي » .
غلافير فيدوروفنا : وأين هذه ؟

فيونا اندريفنا : إلى سولوفكي ، يا صديقتي . وذهبتُ إليها . مشتُ
ومشتُ ، وكان هو دائماً في عينيها . . .

غلافير فيدوروفنا : لكن ، مَنْ الذي كان في عينيها ؟

فيونا اندريفنا : وتحسّ بتورّم هنا ، على عرقوبها . ماذا تفعل ؟
توقفتُ عند عجز فقالت لها الناسكُ الأبُ « أمفيالوش » :
« إياك أن تنامي على الجنب الأيمن ، لأنه جالسٌ هناك . . .

غلافير فيدوروفنا : ما أسوأ قصّاكِ ، يا فيونا . وَمَنْ الجالس ؟

فيونا اندريفنا : قلتُ لكِ : إنه الشيطان ، يا صديقتي . يقول الأبُ
« أمفيالوش » : إننا نستطيع أن نعرّ في الكتاب المقدّس ،
حول ولادة كل إنسان . . .

غلافير فيدوروفنا : كفى ، لأن لي هموماً أخرى . أين سيمون ؟
باللمسكين . التفكير وحده . بسيمون يؤلّني . لكن هاهو ذا
آتٍ . لنخرج .

« تخرجان »

المشهد - ٢ -

« سيمون ايفانيتش وحده ، ثم ناتالي »

سيمون ايفانيتش ، متجهّم الوجه : لا يُمكنني أن أقبل بذلك . لقد
دعّنتني أُمّي لتقول لي . بجدّ ما بعده جدّ : إنها رأت
بنفسها زوجتي في حديث مشبوه مع هذا الشخص .
وما نقوله ، وما تفكّر فيه . . . رهيبٌ . إلا إذا كان ذلك
كأه هراءٌ . لكنّ ما العملُ لكي لا نعطي الآخرين مجالاً

للتفكير في هذا الأمر أو ذاك ؟ يجب أن أقرر . ليس بوسعي أن أدعَ الأشياء تستمرّ على هذا النحو . سأذهب إليها وسأطالبها بحساب عن سلوكها ، سأقول لها : ماشا ، يا صغيرتي ماشا ، أنت تعلمين جيداً إلى أي حدّ أحببتكِ . وهذا الشخص . . . حسناً ! هذا الشخص (يتناول هراوة) ، أقسم لك انه سيدوق طعمها على جسمه !

المشهد - ٣ -

ناتالي ، التي دخلت : ما بك ، يا سيمون ؟ إنك تبدو حزيناً .

سيمون ايفانيتش : أنا ؟ ما بي شيء .

ناتالي : ولمَ هذه الأداة المربعة ؟

سيمون ايفانيتش : لا أبتغي منها شيئاً : لكنني أسألك ، يا ناتالي : إذا كنت قد أحببت إنساناً طوال حياتك ، وإذا كان هذا الإنسان لم يتورّع عن إهانتك وإيذائك في النقطة الحساسة ، فماذا كنت ستفعلين ؟

ناتالي : لا أدري . فلم أجد نفسي في هذا الوضع قطّ .

سيمون ايفانيتش ، يتناول الهراوة : أنا أدري بما ينبغي عليّ فعله .

(يهدّد) . لا . لا شيء ! وداعاً . (تخرج ناتالي) . آه !

كلّا ! . . . أين ماشا ؟ سأذهب لأراها وسأعثر على الحلّ .

إذ لا بدّ من العثور على الحلّ .

ماري دميتريفنا ، من خلف الباب : سيمون ، أهذا أنت ؟ أرجوك أن

تخرج للحظة واحدة .

سيمون ايفانيتش : إنها لا تكلف نفسها حتى الكتمان . هذا لا يُصدّق .

كريزانت ، يدخل ويوقع الشموع ، وينقل المنبر والطاولات : نرجوك أن تتفضّل بالخروج للحظة واحدة يا سيدي .

سيمون ايفانيتش ، ممسكاً بالهراوة : ستري !

كريزانت : لا وقت لديّ ؛ فيما بعد .

« ينصرف حاملاً الشموع »

المشهد - ٤ -

ليوبا ، راكضة نحو الباب : غلافير فيدوروفنا ، تعالي بسرعة !
تعالي وانظري إلى العجائب التي صنعناها ! تعالي .

(تخرج راكضة)

المشهد - ٥ -

« غلافير فيدوروفنا ، فيونا اندريفنا ، سيمون ايفانيتش ، ثم الجميع » .

غلافير فيدوروفنا : ما هذا ؟ يوم القيامة ؟

فيونا اندريفنا : صلّي في هذه الظامة ، على الأقل ، يا صديقتي .

سيمون ايفانيتش : لا ، لن أحتمل ذلك : إما أن أكون أنا أو . . .
لكنهم مسعورون . لست أفهم شيئاً من ذلك .

المشهد - ٦ -

« الجميع بشباب العيد ومعهم الورق الشفاف المزين » .

ماري دميريفنا تنشد : « مع أن التهاني لم تعد موضعاً للتقدير ، إلا أنني
لا همّ لي سوى سعادتك ، أنا اللابس ثياب نعمتك ،
أنا ذو الفكر المحافظ » .

سيمون ايفانيتش : لست سوى أبله . أنا الذي كان يظنّ أن . . .

ماري دميريفنا : وماذا كنت تظنّ ؟

سيمون ايفانيتش : لن أقوله لك .

ماري دميريفنا : جيّد جداً !

غلافير فيلدوروفنا : رائع . هذا لطيف تماماً . قبلوني ، يا أولادي .

فيونا اندريفنا : آه ! هذا العدميُّ ، أسرّ قلبي . . .

كريزانت : حسناً ! لنعقد الصلحُ بيننا الآن ، يا فيونا اندريفنا البهيّة ،
أتريدين ؟

(فيونا اندريفنا ، وغلافير فيلدوروفنا ، وسيمون ايفانيتش يكون)

— ستار —

* * *

أسرة موبوءة
ملهاة في خمسة فصول
١٨٦٣

الشخصيات

- ايفان ميخايلوفيتش برييشيف : ٥٥ عاماً .
- ماري فاسيلييفنا : زوجته ، ٤٨ عاماً .
- ليوبوف ايفانوفنا : ابنتهما ، ١٨ عاماً .
- كاترين ماتيفينا دودكينا : ابنة أخ ايفان ، آنسة ، ٢٦ عاماً .
- بطرس ايفانوفيتش^١ : ابنهما ، ١٥ عاماً .
- ماري ايسايفنا : نيانا (١) قديمة وخادمة ، وهي الآن قيّمة على المنزل وصديقة له ، ٤٥ عاماً .
- الكسي بافلوفيتش تفيردينسكوي : شاب من أسرة كهنوتية ، شغلته آل برييشيف أستاذاً ، ٢٢ عاماً .
- آنانول دميتريفيتش فينيروفسكي : موظف في دائرة رسوم الإنتاج (٢) ، ٣٥ عاماً .

(١) نيانا : مربية أطفال .

(٢) كانت هذا الدائرة تهتم بالرسوم غير المباشرة : حل التبغ ١٨٣٨ ، وعل السكر ١٨٤٨ ، وعل المشروبات بخاصة ١٨٦١ .

سيرج بينروفيتش بيكليشوف : رفيق فينيروفسكي في الجامعة .

نيكولاييف : قريب بريبيشيف ، مارشال النبلاء .

مدير أعمال :

كبير القرية :

خادم :

فلاحون :

« ملكية آل بريبيشيف . الوقت صباح . غرفة استقبال في بيت
ريني . أمام الأريكة طاولة مستديرة يُقدّم عليها الشاي والقهوة » .

* * *

الفصل الأول

« المربية تسرد جورباً ، تنهض وتصبّ الشاي . ماري فاسيلييفنا ،
جالسة إلى الطاولة ، تتناول الفطور . »

المربية : أعطيني فنجانك ، سأصبُّ لك . ماذا تفعين . أنت لا
تشربين ، كأنك تتسليتين .
(تأخذ فنجانها) .

ماري فاسيلييفنا ، مغتاضة : انتظري ، يا نيانا ، فأنا لم أنتهِ بعد .
لماذا تصرخين عليّ كأنك تصرخين على ولد ؟ هيا ،
صبي الآن .
(تمدّ فنجانها) .

المربية : أنا أنتظر ، أنتظر ، أنتظر . مضت الساعةُ
العاشرة ، ونصفُ البيت لم يُفطر بعد . فإذا ما انتهيتِ
جاء السيدُ العجوز ، ثم الطالبُ مع بيروشا .

ماري فاسيلييفنا : أيّ طالب ؟ يُقالُ : طالب .
المربية : لست أحبه ، فهو ليس رجلاً منظماً ، وأنا ادعوه :
طالب . لأنه رجل خفيف .

ماري فاسيلييفنا : وأنا أعطفُ عليه ، يا نيانا .

المربية : هناك ما يدعو إلى ذلك ، في الحقيقة ! فمند شهرٍ حلّ فيه البيت ، هل قال لأحدٍ كلمةً لطيفةً ؟ إنه لا يفتأ يمزحُ . (تقلّده) . وأظن أنه سخر من الجميع ، بصحبة ابنة الأخ . والبناتُ لا يعرفن كيف يتجنّبنه . هو غير أنيق ومع ذلك فهو يلاحق البنات . وقد نصحتُ دونياشا أن تضربه على وجهه ، إن ضايقها ، حتى يأتي إلى المائدة وأثر اللطمة على وجهه ، وحتى يسأله الحاضرون حينئذ : من أين لك هذا ؟ ثم هل نحن مكافون بالباسه ، أو ماذا ؟ ما هذا ؟ كلُّ بياض السرير من عندنا .

ماري فاسيلييفنا : آه ! نيانا ، ما هذه الأفكار ! تصوّري أنه وحده ، وأنه شابٌ وفقير . وأنا مندهشةٌ حقاً أن يكون نحيلاً إلى هذا الحدّ .

المربية : سيسمنُ حقاً ! سيأتي مع بيتر وشا للفطور ؛ ثم تأتي كاترين ما تفيفننا ، كنزنا ، مع كتابها . . . وسيُخذَمون - وأخيراً ، والحمدُ لله ، ما إن تُخلى المائدة حتى نسمع مرة أخرى : « نيانا : قهوة ! » ، « الفطور ! » ، ويأتي ذو الساقين النحياتين .

ماري فاسيلييفنا : ما هذه الأسماء المستعارة التي تأتي بها ، نيانا ! من هو ذو الساقين النحياتين ؟

المربية : لكنه آنا تول دميتريفتش ، خطيب ليوبوتشكا . . .

ماري فاسيلييفنا : يا لحماقة هذا الكلام ! وكيف يكون خطيبها ؟ هذا الشاب يتردد على بيتنا لا غير .

المربية : تظنين أن ليس في الأرض من هو أغنى من ماري المربية ، فمئذ ثلاثين سنة وأنا أعيش مع السادة ، وقد آن لي أن أحسن فهم الأشياء . أمن أجل قهوتك يقطع كل يوم سبعة عشر فرسخاً ليأتي من المدينة ؟ لا ، يا صديقتي . لا ريب أنه حسب مهر ليوبوتشكا ؛ من أجل هذا يأتي .

ماري فاسيلييفنا : أهذا هو حكمك . قبل كل شيء : إنهما غير مخطوبين ، ومن ناحية أخرى ، إنه أحد الناس الذين لا يغريهم المال .

المربية : سواء أكنت غبية أم لا ، فاني أرى كل شيء ، اليوم لا يتزوج أحد امرأة ، يا صديقتي ، بلا مال ، مهما تكن تلك المرأة جميلة . أما الخطيب فليس فيه ما يجذب ، وهو تافه جداً بعمله في الخمر . سألت الناس عنه ، فلم يمدحوه . هو أولاً شحيح ، ثم إنه متبجح .

ماري فاسيلييفنا : ما هذه الكلمة ؟ كيف قامت ؟

المربية : متبجح . ومعنى هذا عندنا أنه يظن نفسه أجمل الناس وأذكاهم ، وأن الآخرين ، في رأيه ، حمقى يجنبه .

ماري فاسيلييفنا : غير صحيح ، على الإطلاق . هو عالم وكاتب . لكن ماذا بوسعك أن تفهمي ؟

المربية : أنا أشفق فقط على ليوبوتشكا ، لقد فتل لها رأسها تماماً .

ماري فاسيلييفنا : لعاه يُغازل كائنكا ولا يغازل ليوبوتشكا . أرايت
كم تُخطئين .

المربية : أتخسبيني إذن حمقاء ؟ كأي سَاصِدَقُك . وهناك ما
يُغري بتصديقك ! كاترين ما نفينا صالحة للتساية .
وعندما كانت مربية في بطرسبورغ كانت تذهبُ إلى بيته ،
أمّا أن يتزوجها فهو يعام مَنْ ألي سيكون لها مهرٌ ، ومَنْ
ألي لن يكون لها .

ماري فاسيلييفنا : كائنكا كانت تصادفُه في بطرسبرج . أنتِ ترين
السوء حيثما تطلعت .

المربية : الأمر كذلك ، يا صديقتي ، تبدأ الفتاة بالعمل مربيةً ،
ثم تنتهي بأن تعجز عن تربية نفسها . هذا حق . وهذه هي
حال كاترين ماتيفينا .

ماري فاسيلييفنا ، مبتسمةً : كفى حماقات .

المربية : إني أرى ، على كل حال ، أن كل شيء تغير في المنزل .

ماري فاسيلييفنا : إذن ، أنا أيضاً تغيرتُ ؟ يا لهذا الغباء !

المربية : أنتِ ، تغيرك ليس شيئاً ، هو كرم نفسٍ منك . فقط .
أمّا السيد فأمره لا يفهم . . . (تسكتُ ، وتهزّ رأسها :
وتباعد ما بين ذراعيها) . ما الذي أمكن أن يقع له ؟ لم
يعد الرجل نفسه . وأنا أتذكّر : هل كان يمرّ يومٌ
قديمًا دون أن يُجلّد فيه ساشكا الخادمُ وهو يلبسه ؟
هل من كبير قريةٍ لم يُجلّد ؟ . . .

ماري فاسيلييفنا : أنتِ تقولين أشياء غريبة . . . أنتِ ترين إذن أن تلك الحالة كانت حسنة ؟ لم تكن حسنة على الإطلاق .

المربية : لا أمدح ولا أذم . كنتم السادة ، ولا يمكن التصرف بطريقة أخرى . وما يدُهشني هو أن يستطيع إنسان في الخمسين تغيير طبعه . . . عندما صلبَ قانون القيصَر . . . كما تعلمين ، في الأسبوع الأول من الصوم الكبير .

ماري فاسيلييفنا : نعم ، البيان (١) ؛ ما أسخفك !

المربية مغتاضة : طبعاً ، قانون طرُد الخدم الأتقان من أجل خدماتهم ، كيف لا تعرفينه ! على كل حال ، دَعِينَا مِنْهُ . ماذا كنت أريد أن أقول ؟ منذ ذلك الوقت طرأ التغيير . وخاصة منذ أن أخذ أنا تول دميتريفتش يترددُ على المنزل . سمعته يتكلم مؤخراً — هو مُقَرَّف ! يجب أن تعذريني ، فأنا أقول لك الحقيقة دائماً . في الخمسين ، لا يمكن للإنسان أن يُغيّر طبعه : ولم يتوصل السيدُ إلا إلى فقدان وقاره . لقد فعل ذلك لينال إعجاب الناس ، وظلَّ طبعه كما هو . وماذا فعل ، في ذلك المساء ، أمام أنا تول دميتريفتش ؟ أخذ يُرشِدُ مَنْ ؟ الفلاح سيريل . « أنتم — لسيريل يقول أنتم — أنتم إذا شئتم أن تأتوا فتعالوا حينئذٍ » . استمعتُ إليه : ما هذا ؟ كأنه كان يكلّم أميراً . إن هذا المُقَرَّف .

(١) نعم ، البيان : بيان ١٩ شباط ١٨٦١ الذي يعلن إلغاء القنانة لم يعلن عنه إلا في أول آذار ، في الأسبوع الأول من الصوم الكبير .

المشهد - ٢ -

« المرأتان ، كاترين ماتيفينا » .

المربية : انظري كيف رتبت نفسها ، الحلوة .

كاترين ماتيفينا ، بالنظارة ، قصيرة الشعر ، ترتدي فستاناً قصيراً ،
وتحت ذراعها مجلة ، تجلس إلى الطاولة دون أن تحيي ،
وتتكئ على مرفقها ، تخرج سيجارة وتبدأ بالقراءة .
وتحاطب المربية بلطفٍ خاص : اسمحي لي أن أطلب منك
شايًا ، يا ماري ايساييفنا .

(تقدّم لها المربية فنجاناً من الشاي) .

المربية : على النور ، يا آنسة ، على الفور . (بينها وبين نفسها) .
هذا جدير بأن يدهش جميع الناس . لا تقول حتى صباح
الخير لزوجتي عمّها . كل هذا من جرّاء ذكائها الزائد .

ماري فاسيلييفنا : تحدّثنا عن آنا تول ميريفتش . نيانا تزعم انه يُغازل
ليوبوتشكا ، وانا قلتُ انه يُغازلكِ انتِ ، يا كاتنكا .
ما اعتقادك . لقد دعتهُ خطيبها .

كاترين ماتيفينا ، ترفع عينيها عن الكتاب ، وتقول بتسوّ ، مُكمّلةً
كلماتها بالإشارة : إن فينيروفسكي ، بسبب تطوّره وبسبب
مناهضه بعيداً جداً عن تنافه حيّاتنا حتى ليصعب الحكم
عليه .

ماري فاسيلييفنا : اتظنين أنه لن يستمرّ حتى الزواج ؟

كاترين ماثيفينا : عفواً . هذا السيدُ لن يتزوَّج إلا عندما يجد امرأة تفهم تماماً مقاصده ، وتكون حرةً في حياتها وفي فكرها .

ماري فاسيليفنا : لا أسألُ عن هذا ، لكن قل لي : في أيّ منكما يجد هذه المرأة : أنت أم ليوبوتشكا ؟ كنتُ أتحدّث عن ذلك قبل هنيهة مع نيانا - هي حمقاء وقد غمحتُ كثيراً ...

كاترين ماثيفينا : ماري ايسايفنا أكبر سنّاً منك وهي تخاطبك بضمير الجمع ، بينما تخاطبينها أنتِ بضمير المفرد ، وتسمّينها « حمقاء » . وأنا أعتبر هذا . « إهانة » للكرامة والحرية الإنسانيتين . وأرى من الضروري أن أعبّر لك عن رأيي . وأنا أعلم أن لك الحق في أن تكون لك قناعاتك الخاصة ، لكن ذلك يثير اشتزازي وسخطي .

المرية ، ساخرة : شكراً جزيلاً على دفاعك عني . (مخاطبة ماري فاسيليفنا) . ولا سيما أنك قادرة على سلخ الناس وهم أحياء . أنتِ مجرمةٌ معروفةٌ . . .

ماري فاسيليفنا : كلا ، يا كاتنكا ، أنا أمزح ، ماذا ، أنا أحبّها كثيراً . قل لي بالأحرى ، ما رأيك . . . فيمن يبحث عنها ؟ فيك أم في ليوبوتشكا ؟ أودّ لو أعرف رأيك .

كاترين ماثيفينا : رأيي ؟ (ترد شعرها إلى الوراء وتُشعل سيجارة) . رأيي أنه لا يجوز له أن يبحث عنها فيّ بحسب تعبيرك المجازي . فأنا أعيش كما تعيش المرأةُ الحرةُ ، وأعامله ، كما أعامل جميع المخلوقات ، دون تمييز للجنس أو الطبقة . وأجده رجلاً ذكياً وعصرياً ، وهو يُدخل ، بشكل

طبيعي جداً ، في علاقته معي ، شيئاً من التقدير والمودة ، شيئاً يصح أن نقول عنه ... وبكلمة واحدة ، إن بيننا علاقات حسنة وبسيطة قائمة على التقدير المتبادل ، وهو يبدؤُ الراحة بقربي بعد تفاهة الطغمة الأرستقراطية التي تؤلّف المجتمع النسائي في حكومتنا ، وهو المجتمع الذي يُضطرّ إلى الاختلاط به . لكن لماذا تعتقدين ، أنه يبحث عن شيء ما في ليوبوف ايفانوفنا ، بحسب تعبيرك المجازي ؟ هذا ما لم أستطع أن أتبيّنه . فليوبوف امرأة لم تتطوّر تطوّراً كافياً ، بل إنها بنتٌ صغيرةٌ لم تتطوّر على الإطلاق ، وشخصيةٌ مثل فينيروفسكي لا يمكن أن يكون بينه وبينها شيءٌ مشترك . أنا نذلّهُ بينما ليوبا ولد .

ماري فاسيلييفنا : أنتِ تريّنين جيداً ، يانايانا ، كيف تحكّم كائنكنا على الأمور .

المربية : ايه ! قولي لنا ، يا كاترين ماتفيفنا ، فنحن غبيّتان ، اشرحي لنا ، هل سيستمرّ لاذن في التردّد على المنزل ؟

كاترين ماتفيفنا : ولم يَنْقَطع عن المجيء ؟

المربية : لأن الناس الذين مثله يجب أن يُربّوا ، من أجل هذه الأشياء . كذلك كان يُفْعَلُ قديماً . إذا كثرت تردّد على منزلٍ فيه آستان صالحتان للزواج فيجب أن تقول أيّهما تَبْغِي ؛ وإلا فهناك نوادٍ تستطيع أن تردّد عليها وأن تذهب إليها كلما أردت .

كاترين ماتيفينا : لا يمكنكِ فهمي ، يا ماري إيسايفينا - قلتُ لكِ إنه يأتي إليّ ، لأنّ كلاً منا يختبر الآخر ، فاذا وجدنا ...

المرية : لن يختبر شيئاً ، يا كاترين ماتيفينا ، بحسب رأيي الأحق . إن ليوبوف ايفانوفنا آنسةٌ شابةٌ وحلوةٌ ولها مهرٌ من خمس مئة نفس (١) . بينما أنتِ أكبر سنّاً ، والثلاثون نفساً التي تملكينها لا تغري . . . أما الطالبُ ، فنعم .

كاترين ماتيفينا ، بحرلوة : اسمحي لي ، اسمحي لي ، الطالب أصغر وأقلّ تطوراً من أن يصلح لي : اسمحي لي : إن امرأةً أخرى غيري يمكن أن تشعر بالإهانة ، لكنني أنا فوق ذلك . وليوبوف ايفانوفنا مع تطلّباتها الصبيانية من الحياة ليست في مستواه ، وهو يعلم ذلك ، وقد عبّر لي عن رأيه أكثر من مرة ، ثم إنك تنظرين إلى الأمر من وجهة نظرٍ خاطئة . لن تفهميني ، لكنني سأوضح لك رأيي مع ذلك ، وبأبسط صورة ممكنة . الناس الذين من طينتنا لا يرتضون إلا وسائل العيش التي تُكتسبُ بالعمل الشخصي والمُشريف ؛ وصدّقيني أن الناس للذين من طينتنا يرون في جميع هذه الملكيات الرفيعة رابطاً ظاهراً يربطهم بأشكال الحياة البالية . ولا يهم فينيروفسكي أن أملك مليوناً أولاً أملك شيئاً إذا كانت مفاهيمنا واحدة . فاذا كانت واحدةً استطعنا بشجاعة أن نبدأ التّصال .

(١) خمس مئة نفس : أي مكلية يبلغ عدد أقدانها خمس مئة . ومع أن القناة ألغيت إلا أن المرية ما زالت تستخدم مقياس التقدير القديم .

المربية : ومع ذلك ، فلن يطلبكِ أنت للزواج ، وإنما سيطلب ليوبوف إيفافوفنا . وستكون المفاهيمُ واحدةً تماماً إن كان هناك خمسُ مئة نفس ، أما إن لم يكن هناك غيرُ ثلاثين ، فهي ليست واحدةً على الإطلاق .

كاترين ماتيفينا ، مُهتاجة : اسمحي لي ، اسمحي لي . حسنٌ جداً .
تقولين إنني أملك ثلاثين نفساً . اسمحي لي أن أقول لك :
لا أحد يملك أنفساً اليوم ، وذلك بفضل الحضارة ، وأنا لا أملك شيئاً منها . تخلّيتُ عن حقوقي ، منذ بلوغي سن الرشد ،
ولستُ أحملُ في نفسي علامةَ القنانة المخجلة .

المربية : وبالرغم من كل شيء فلن يأخذك ، بل سيطلبُ ليوبوتشكا لأنّ . . .

ماري فاسيلييفنا : مرتعبة : كنى ، نيانا ، كم أنت كريمة ! تُخرجين أياً كان عن طوره .

كاترين ماتيفينا : اسمحي لي ، اسمحي لي . حسنٌ جداً . إن ذلك كله يبلو لك صعباً ومشوشاً ، ففي رأسك أزواجٌ مُعدّون سلفاً ، وسلطنةُ الله ، وهلم جراً ، في حين أن حياة الناس الذين ارتفعوا فوق تلك الاحكام الاجتماعية المسبقة والواهيّة ، بسيطة جداً . إنني أعبرُ له عن أفكاري وأطلبُ منه ذلك الصديق الذي يوجد في أساس جميع دوافع الشخصية الشريفة .

المربية : يا كاترين ماتيفينا ، يا صديقتي ، إن ليوبوف إيفافوفنا تملك خمس مئة نفس ، ولعله سيُغرّم بها فوق ذلك كله .

كاترين ماتيفينا ، مضطربة كلياً : ولم يُغرم بُنيّة تافهة وغير
مُثقّة ، لابي ؟

المربية : لم ؟ من أجل ملكِ بروسيا ، يا صديقتي .

كاترين ماتيفينا ، مستدركة ورادةً شعرها : لا ، ماذا أقول ؟
الحبّ ، كما تفهمينه جاذبية جسدية ، وأنتِ أقلّ تطوراً
وأكثر حيوانية من أن تفهميني . إذا شئت ، أرجوك ،
دعيني .

(تتكىء بمرفقها وتقرأ) .

ماري فاسيلييفنا : اذهبي ، اذهبي ، يانينا ، إن جاء أحدٌ فسوف
أضيف الماء إلى الغلاية بنفسي .

المربية ، منصرفة : لقد شتمتِ الناس جميعاً . الناس كلهم حيوانات .
أنا أخدم هنا منذ ثلاثين سنة ، ولم يسمّني أحدٌ بهذا الاسم .

كاترين ماتيفينا ، رافعةً رأسها : اسمحي لي ، الحبّ يشكّل دافعاً
شريعاً فقط عندما يكون للطرفين حقوقٌ متساوية ، لكنكم
لن تستطيعوا فهم ذلك . (صمت ، ترفع رأسها ثانية) .
ماري فاسيلييفنا ، أنا لا أحترمُ هذه المرأة .

(تستأنف قراءتها) .

المشهد - ٣ -

« يدخل ايفان ميخايلوفتش » .

ايفان ميخايلوفتش : ما الأمر ، مَنْ الذي لا تحترمينه ؟

ماري فاسيلييفنا : نيانا هي التي تقول الغباوات دائماً .

ايفان ميخايلوفتش : اوه ! هذه سم حقيقي ، لكنها امرأة طيبة .
(يجلس إلى الطاولة) . أعطني شايًا ، يا ماري فاسيلييفنا ...
بتيتُ في الحفل منذ الساعة الخامسة ، أنهكتُ جوادين ...
لكنّ كل شيء سُويّ . . . وما يزال الناسُ يقولون :
إنه لا يمكن أن يفعل شيئاً مع العمال الأحرار . يمكننا أن
نفعل كل شيء إذا ما اشتغلنا بأنفسنا دون أن نراعي صحتنا .
أمس بالذات كان نصفُ الحقول غير محروث ، ولم يكن
العشب محصوداً ، ولم يكنْ عندي عاملٌ واحدٌ . وما إن
وضعتُ يدي في العمل ، حتى أقنعتُ جميع رجالي القدماء ،
فدعّلتُ رجالاً أحراراً ووعدتهم بسطلم من الفودكا .
انظري الآن كيف يتقدّم العمل . . . فاسيلي مدير ناجح
للعمل ، منظم ، خدومٌ ، خدومٌ جداً . . .

كاترين ماتفييفنا : العملُ الحرّ لا يمكن أن يكون مُخسراً ، وإلا لكان
مناقضاً للقوانين الأساسية في الاقتصاد السياسي .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ولا . أودّ لو أعهدُ بهذا العمل إلى آنا تول
دميتريفتش وأنتِ . . . لسوف يختلفُ كلامكما .

ماري فاسيلييفنا : قلْ لي ، يا عزيزي جان ، لماذا تقول إذن : إن تحرير
الفلاحين قد حسّن الأشياء ؟ أين التحسّنُ إذا كانوا قد
ذهبوا جميعاً .

ايفان ميخايلوفتش : هيه ! لكن هؤلاء هم الخدم .

ماري فاسيليوفنا : الخدم ، أعرف ذلك . لا خلاف في ذلك . لكن
الفلاحين ، منذ البيان ، لم يزد عملهم . فأين الجانبُ
الحسنُ ؟ لم أفهم ذلك .

ايفان ميخايلوفتش : شرحتُ لك خمسين مرةً إلا لم يكن مئة مرة ،
أنهم يجب أن يشتغلوا ، بحسب هذا القانون ، بعض الأيام ،
وَألا يكون شغلهم بدون توقف . هذا هو الشيء الأساسي .

ماري فاسيليوفنا : كان يُقال مع ذلك أنهم قد توقفوا كلياً عن العمل .
وكان الناس يروون ، في الأيام الأخيرة ، أنهم أرسلوا إلى
العمل ، فأبوا أن يذهبوا . لست أفهم ، يا بجان .

ايفان ميخايلوفتش : لو لم يعملوا لما كان عندنا ما تأكله . إنهم
يشتغلون أقل من ذي قبل . وبالمقابل ، فكل شيء يتم خوفه
أشكال الشرعية لا التمسك . على كل حال ، لا يمكنك
أن تفهمي ذلك .

ماري فاسيليوفنا : ما الحسنُ إن عداوا أقل ؟ وإذن فليس ذلك حسنةً .
لكن لا تفضب ، إني لا أستطيع أن أفهم ، بالفضل .

ايفان ميخايلوفتش : لم أخضب ؟ لحل القدر هو الذي شاء إلا تفهمي
شيئاً : (يشرب شايبه ويغذو متفكراً) . وليوبا ، أين
هي ؟

ماري فاسيليوفنا : ذهبت مبكرة مع الصغيرات تبحث عن الفطور .

ايفان ميخايلوفتش : وأنا أتول دميتريفتش لم يأت ولم يرسل أحداً ؟

ماري فاسيليوفنا : لا ، لم يأت بعد . . . كنت أريد أن أكامله . قيل

لي ما جان : إنه ينوي أن يُصارع ليوبا بعرضه ، إنه
ينوي أن يطالبها للزواج . . .

ايفان ميخايلوفتش : مَنْ قال لك ذلك ؟

ماري فاسيلييفنا : يُقال هذا ، نعم ، يقال هذا .

ايفان ميخايلوفتش : من الذي يقوله ؟ أنت تظللين بين أربعة جدران ،
فمن الذي يمكن أن يقول هذا . وما أهمية هذا ؟

ماري فاسيلييفنا : اعلم أنك لا تحسب حساباً لي . لكن يبدو أن هذا
الرجل سيء . وما هذه الوظيفة في إدارة الخمر ؟ ثم إنه
متبجح ، على الخصوص : أرجوك أن تفكر في ذلك ،
جان .

ايفان ميخايلوفتش : ما الذي لا يدخل في هذا الرأس ؟ من أين
استطعت أن تأخذي مثل هذه الكلمات . لا ، يا صديقتي ،
دعك من هذه الحماقات . ما هذه الكلمة : « متبجح » ،
وممن نقلت هذه الكلمة الغيبة ؟

ماري فاسيلييفنا : كل الناس يقولونها .

ايفان ميخايلوفتش : ما الذي لا يخطر ببالها ؟ من الذي روى لك ذلك
كله . هيه ! يا صديقتي ، ليس لنا أن نحكم على هذا
الرجل . ولا أعرف أباً لم يعتبر مصاهرته شرفاً له . على كل
حال إنني أكره أن أخمس الأزواج تخميناً وأن أقرب بينهم .
ومهما يكن ذلك الرجل ، فإن الله أرادة ، وليس لنا أن
نأخذ في الكلام عليه . إنه رجل مرموق ، كاتب .
ولا ريب أنه لن يتزوج من أجل المال . هذا مؤكد .

ماري فاسيلييفنا : لا يُجادل في ذلك أحدٌ . **ولي رأيي .**

ايفان ميخايلوفتش : حسناً ! اصمني : قبل كل شيء ، انا تول ،
دميتريفتش رجلٌ عصري ، راقٍ ، ذو ذكاء وعلم ،
خارقين ، وهو كاتب ، وشخصية ربما عرفتُها روسيا
كلها . وهذا ، في عصرنا ، يا صديقتي ، أفضلُ من رتبة
الجنرال . ثم إن عمله ممتاز وشريف ، في دائرة الرسوم
الجديدة ، برتب قدره ألفا روبل . ولو أن هذا الرجل
أراد ، لا نفتح أمامه كل شيء . أما غرابة أطواره فشيء
آخر . . . إنه ليس رجلَ مجتمعٍ ، لكننا ، على الأقل ،
نثق بأنه مجرد من المنفعة . فمثل هذا الرجل لا يتزوج من
أجل المال . وكل فتاة تكون سعيدة معه ، حتى لو لم تكن
تملك شيئاً .

ماري فاسيلييفنا : لكن يُقال إنه بخيل .

ايفان ميخايلوفتش : ها هي ذي تُعبأ مرة أخرى . قالتُ لك إنه
الرجل الأكثر تجرداً في الدنيا . هذا ثابت .

ماري فاسيلييفنا : لكن يُقال إنه قد حسبَ مهر ليوتشكا كله .

ايفان ميخايلوفتش : كاتنكا ، اشرح لي لها إذن أن انا تول دميتريفتش
ليس رجلاً من هذا النوع .

كاترين ماتفييفنا : ماري فاسيلييفنا وماري ايسايفنا لهما قناعاتهما
الخاصة . يبدو لي غريباً فقط أن ننسب ، إلى الرجل مقاصد
ذنية ، دون أي أساس ، ودون أي سبب محتمل . فهذا

السيد يُبرهن بحياته كانه أن هدفه الوحيد هو القضية العامة . ولذا نوى الزواج بامرأة ، فسيكون أول شرط يطرحه هو الاستقلال المعنوي والاستقلال المادي على حد سواء .

ايفان ميخايلوفتش يخلو متفكراً ، وقفة : نعم ، فمع أنه من الصعب علينا ، نحن الشيوخ ، تغيير عاداتنا القديمة ، ومع أن في الشباب كثيراً من الهوى والخفة ، إلا أنه من المستحيل ألا نؤسف الجيل الجديد .

كاترين هافينا ، تاركة الكتاب : من كل ما عبرت عنه ، هذه هي القناعة الوحيدة التي أشاطرك إياها . إن التمدد يحمل النور بشكل لا يُقاوم ، إلى أحلك ، زوايا الحياة .

ايفان ميخايلوفتش بعد لحظة صمت : نعم ، إن عصر العمل الحر قد جاء ، قد جاء . نحن نتعب مع العمال ، لكن لا أهمية لذلك ، سيُسوّى كل شيء . . . انتظري قليلا ، سوف أحدد شروط الاسترجاع (١) وسأختص من الفلاحين ، ولن تبقى سوى العلاقات الزراعية . وسيكون ذلك حسناً حقاً ، نعم .

ماري فاسيلييفنا : وهل ستحسن الأمور بعد الاسترجاع ، يا جان ؟ ليتها تتحسن .

(١) أحدد شروط الاسترجاع : عندما تلقى الفلاحون الأراضي الصالحة للزراعة سنة ١٨٦١ أُجبروا - حتى عام ١٩٠٧ - على دفع قيمة الاسترجاع للإقطاعي (نحو روبل بالمكتار كل عام) .

ايفان ميخايلوفتش : تتحسن أم لا تتحسن ، لا بدّ من ذلك . انظري إلى كاتنكا وانلقول دميتريفتش اللذين . يعتبرانني محافظاً ورجعياً ؛ ومع ذلك فأنا أتعاطف مع كل شيء . إن الماضي يظهر حتمًا في أفعالي ، لكنني أتعاطف مع ذلك . انظري إلى جيانا الشاب الطلّع . ستتزوج ليوبوتشكا ذاك أو غيره ، لكنها لن تتزوج رجلاً قديماً وإنما ستتزوج رجلاً جديداً ، عصرياً . ، وبيتروشا (١) يكبر وسط أفكار مختلفة عن أفكارنا . أيمكن أن أكون عدواً لولدي . أين بيتيا ؟ لعله مع أستاذه ؟

مازي فاسيليفنا : ذهبا كلاهما إلى البحيرة يبحثان عن الأعشاب . ولم أفهم أيّهما . أخشى أن يفرقا . أخشى حقاً .

ايفان ميخايلوفتش : عن أيّ الأعشاب يبحثان ؟

كاترين ماتيفنا : قال الكسي بافاوفيتش إنهما يريدان أن يدرسا بنية ألياف الطحالب .

ايفان ميخايلوفتش : تصوّري ، أيّ عصر ! أكنتُ أملكُ فكرةً عن هذه الأشياء عندما كنتُ صبيّاً ؟ واليوم يدرس الغربُ العاومَ الطبيعية . . . الخ . لقد وفّقنا بهذا الطالب ، فهو خدوم . . . الفضل لأناتول دميتريفتش الذي دلّنا عليه . طالب خدوم ، جدّها د . . . لطيف . . . خدوم .

(١) بيتروشا : بيتروشا وبيتيا تصغير بطرس ، بير ، بيوتو ، وبيتروشا ، أو بيتيا : ابنة .

يا ساشكا(١) ! غليوني ! (مخاطباً كاترين ماتيفينا) .
هذه عادة . حسناً ! الكسندر فاسيلييتش(١) .

(يحمل ساشكا الغليون) .

ماري فاسيلييفنا ، تغضب فجأةً : نعم ، كل الناس لطفاء عندك ما عدا زوجتك . ولماذا لا يحمل معه بياضاً ؟ لقد أعارتهُ نيانا كلَّ بياض الأسرة المُعدَّة للزائرين . وإذا ما زارنا زائرٌ فليس عندنا ما نضعه له . ما هذا ؟ لقد جاءنا بما عليه فقط .
ولا أريد أن أعطيه أغطيتي . أهذا اعتقادك ؟

ايفان ميخايلوفتش : ها قد عادت تهذي . كُفّي ، من فضلك .
قولي لنيانا أن ترتب كل شيء . أنا مسرور أن يكون هذا الرجل عندي لأنه جديّ .

ماري فاسيلييفنا : ماذا يهم إن كان جدياً . ليست غاظتي إن كان لا يملك شيئاً ويطاب كل شيء . لقد أخذ يَهْوَى شرب الحليب ، وقد اشتكت دونياشا . يجب أن تنتبه . ما هذا الأستاذ ، إن كان لا يملك بياضاً ؟

ايفان ميخايلوفتش : ها هي تنطق من جديد . . . يجب أن تحمدي الله لأنه بعثَ إلينا مثل هذا الرجل ، وإذا كان فقيراً لا يملك بياضاً ، فيجب أن نُعطيه ذلك .

ماري فاسيلييفنا : أنت تفهم دائماً عكسَ ما أقول عندما أكاك .
قاتُ إناك تعمل كل شيء بالمقاوب ، وأنا أعطف عليه

(١) ساشكا : تصنيف أهلي لا لكسندر . . لقد وجدت ابنة الأخ أن هذه الطريقة في معاملة الخادم غير لائقة ، فما لبث برييشيف أن استخدم الاسم الرسمي : « الكسندر فاسيلييتش » .

أكثر منك . فمنذ أن أكل أول مرة على المائدة شفقتُ
عليه . وأمرت باعطائه قمصاناً لليل . ومهما أكن غيبيةً
فأنا أدرك أنه أول رجل في البيت ، باعتباره أستاذاً لابتنا .
لست آسفةً على شيء أخذته . وأنا أقول لك فقط أن
ترتب كل شيء بنظام . كم مرة رجوتُ فيها النجار
أن يصلح رجلاً الطاولة مثلاً .

ايغان ميخايلوفتش : كفى يا صديقتي ، كفى ؛ تجاه المسيح .

المشهد - ٤ -

« الأشخاص أنفسهم والطالب » .

الطالب ، يحيي باقتضاب وهو داخل : شايًا ، من فضلك .

« يجلس قرب كاترين ماتيفينا »

ماري فاسيلييفا : ماذا تشتهي ، الكسي بافاوفتش ؟ شايًا أم قهوة ،
مع الخبز الأبيض والزبدة ؛ على طاباك .

(تقرب كل شيء إليه) .

الطالب : لا يهم . الشاي ، مثلاً .

ايغان ميخايلوفتش : وبيتروشكا ، أين هو ؟

الطالب : سيأتي . إنه يغيّر بنطاله لقد تبلّل . قمنا بصيد السمك .

ايغان ميخايلوفتش : قالت لنا كاتنكا أنك كنتم تنوون دراسة شيء
في العلوم الطبيعية . . .

الطالب : كنا نسوي ذلك ، لكن بلا نتيجة ، لأننا لا نملك شهوراً .

مازي فاسيليفنا : كل من الخبز الأبيض .

الطالب لكاترين ماتيفنا : بآية قراءة تنشغلين خيّر النفس ؟ (يأخذ كتابها) . آه ! عالم وظلّفت الأعضاء . مقالة جيدة لكنها شديدة الإجمال . « لنويس » (١) : هو الذي يجب أن تقرئيه . وأيضاً تحوّل الخلية - نسيتُ اسم المؤلف - لا بأس بهذه المقالة .

ماري فاسيليفنا : أتسمّى خلايا ؟ زِدْ من الزبد ، فسوف تأتي بقطعة أخرى . كاتنكا ، أتعرفين الخلايا ، أنت أيضاً ؟ كاترين ماتيفنا : كل ما هو عضوي فهو موجود بفضل تطور أجزاء الخلية لا غير .

الطالب : لم تقومين بشروحاتٍ لا فائدة منها ، لا بدّ على الأقل من المعارف الأولية لفهم هذه الأمور .

ايفان ميخايلوفتش : لقد قرأتُ كتاباً عن الخلايا . قلْ لي فقط ، يا الكسي بافاوفتش ، أيمكن أن نراها في الخبز ، مثلاً ؟

الطالب : لو لم نراها لما ذكرها أحد . نراها بالمجهر .

ايفان ميخايلوفتش : هل هو غالٍ ، المجهر ؟

الطالب : يمكن أن نحصل على مجهر رديء بثمان رخيصة . مجهر أناطول ديمتريفتش ثمنه ثلاث مئة روبل ، ومجهر الجامعة خمسة عشر ألفاً .

(١) لويس : جورج هنري لويس (١٨٠٧ - ١٨٧٨) . عالم وضمي انكليزي . مؤلف : « فيزيولوجيا الحياة العادية » ، ودراسات حول الحياة الحيوانية . كان مشهوراً جداً ، في روسيا ، في هذه الحقبة .

ايفان، ميخايلوفتش : نعم ، لا بد من شراء واحد .
(يجلس مع زوجته على حدة ، ويجلس الطالبُ مع كاترين ماتيفينا .
ايفان ميخايلوفتش يدخلُ بصمت) .

كاترين ماتيفينا ، بصوت خافت : فاتَكَ حضورُ مشهد محقق ، مشهد
مزازعين مستغلين حقيقة يين .

الطالب : اوه ! هم بحاجة إلى أن يهزؤوا من أمثالهم . هذا كل ما
يُتقنونه . وأنا أعترف لك أنني ضجرتُ من البقاء هنا ،
وأنني أنوي أن أسافر من أجل التقدم لتسبيل إجازتي .

كاترين ماتيفينا : قناعتي مختلفة . فأنا أرى أنه كما كان المجتمع
الذي نعمل فيه فظاً وحبّ بذل طلاقة أكبر . إذ ما الذي
يستطيع أن يغيّر هذه الشروط القضيعة غير الأفكار والبذور
التي نحمّلها إليها . إنني أعني تأثيري في هذا الوسط ، وأنا
أمارسه على قدر قواي . وأنت مدعوٌ إلى رفع شخصية
بطرس التي ما تزال غضة . وهو نفسه يحمل أفكاراً إلى
هذا الوسط الخائق . وأنا أتول دميتريفتش يرى الشيء نفسه .

الطالب : ليخربوا عني ! ينتهي المرء بالتأطّخ في هذا الوحل .
ليسكنهُ المضطهدون الصفّاعون من جهتهم ، ونحن سنأهوا
من جهتنا . ولسنا نستطيع أن نحتج في كل لحظة ؛ نحس
فقط أن سخطنا يتأثّم . انظري إلى الفلاحين ؛ إنهم
يحرثون منذ الساعة الرابعة صباحاً ، والناسُ هنا يشربون
الشاي حتى الظهر . كيف يجوز أن نتعوّد ذلك ؟

كاترين ماتيفينا : بالتأكيد ، لكن لا بدّ مع ذلك من التنازلات .
انظر مثلاً إلى فينيروفسكي : فهو إذ يعيش من عماه في
وسط متخلف جداً ، لا يُقدّم على أي تنازل في الحقيقة ،
ويحقّق أفكاره .

الطالب : ماذا ، فينيروفسكي ؟ لا يمكنني أن أحترم رجلاً يخدم .
يا له من ليبرالي في دائرة الرسوم !

كاترين ماتيفينا : اسمح لي ، اسمح لي . لن نصل ، في ذلك ، إلى
وحدة في التفكير . ففينيروفسكي طبيعة ممتازة . انظر
إلى نشاطه : المدارس ، والمحاضرات العامة .
الطالب : حسناً ! أستطيع أن أفرض الصمت على شفتي .

كاترين ماتيفينا : وأنا أجد من المسائي أن أستعيد الحديث الذي جرى
بينني وبين العجوزين منذ لحظة . ما أسوأ فهم هؤلاء الناس
للناس الذين من طينتنا ! تصوّر أنه لا يأتي إلى هنا ، برأيهم
إلا ليتزوج ليوبوف ايفانوفنا أو مهرها ؛ بحسب تفسيرهم .
الطالب : هيه ! هذا « السنيور » المحترم (١) يمكن أن يُقدّم على
أي شيء مقيت !

كاترين ماتيفينا : تفيردينسكوي ، لا تتكأّم هكذا ، وإلا اختافنا .
فينيروفسكي سيتزوج ! وبِمَن ؟

الطالب : حسناً ! سأعبّر لك عن فكري : إن ليوبوف ايفانوفنا
بنتٌ ليست سيئة على الإطلاق . وفيها إمكانات . وإذا

(١) هذا السنيور المحترم : الطالب يستخدم الكلمة الإيطالية مسبباً عليها لوناً تحقيراً .

مالقيها رجلٌ غضّ الإهاب ، نقيّ وقوي ، فسوف يجعل
منها شخصية مرموقة. لكن لا بدّ لها من دليلٍ شاب ونزيه .

كاترين ماثيفنا : لكن ، أيّ تطورٍ ناقص !

الطالب : ستُكمّله فيما بعد .

كاترين ماثيفنا ، بعد تفكير : نعم ، في الواقع ، أنا أشاطرك هذه
القناعة . أنت بالضبط ذلك السيد الذي يستطيع أن يؤثر
في شخصيتها بنجاح .

الطالب : لو لم تكن في هذا الوسط الحقير لأمكن أن نجعل منها
فتاة رائعة .

المشهد - ٥ -

« بيتروشا ، فتى في الخامسة عشرة ، يدخل في ثياب الطالب » .

ماري فاسيلييفنا : آه ! ها هو ذا بطرس ! ماذا تريدُ شاياً أم قهوة ؟

بيتروشا : صباح الخير ، يا أمي . لا هذا ولا ذاك . شربتُ حليباً .
اطلبي لي الفطور ، يا أمي . صباح الخير ، يا أبي .

ايفان ميخايلوفتش : مالآك ولهذا التصنع دائماً ؟ كُنْ أبسط ، مِن
فضلك .

بيتروشا : أنت مخطيء حين تظنني متصنعاً . صباح الخير ، يا أبي .

ايفان ميخايلوفتش : جنّنت . ما هذه الابتكارات الجديدة ؟ سأمّ
كما تسلّم عادةً . أنظنّ أن هذا هو التعامّ . اذهب
والثُمّ يدّ أمك .

بيتروشا : لأية غاية ؟

ايفان ميخايلوفتش : بقسوة : قاتل لك الـثم يدها .

بيتروشا : ما الدواعي ؟ وهل سيحدثُ شيءٌ إذا ألصقتُ أطرافَ شفتي على الجزء الخارجي من معصم أمي ؟

ايفان ميخايلوفتش : قاتل لك الـثم يدها .

بيتروشا : هذا مناقضٌ لآرائي .

ايفان ميخايلوفتش : ماذا ؟

بيتروشا : تحدثتُ عن ذلك مع الكني بافلوفيتش ورأيتُ بوضوح أن هذا ما هو إلا رأي مُسبق غبيّ .

ايفان ميخايلوفتش : انتبه ، يا صديقي !

بيتروشا : لكن هذا ليس شيئاً مهماً ، يا أبي ، وهو لا يُغيّر رأيي فيك أو في أمي . وسواء أَلثمتُ أيديكما أم لم أَلثمها ، فأنا أكنّ لكما كليكما كلّ ما تستحقّانه من الاحترام .

ايفان ميخايلوفتش : اصغري إلي ، كل هذا حسنٌ ، هذه القناعاتُ الجديدةُ وغيرها ، لكن لا بدّ من الاعتدال ؛ والقاعدة الأولى منذ العصور الغابرة هي احترام من هم أكبر سنّاً منّا . إذْهَبْ والـثم يدها . (ينهض) أتذهب ؟

الطالب : أظنّ أننا سنشهد فضيحةً عظيمة .

بيتروشا ، متخوفاً : بالطبع ، تستطيع أن تجربني . لكن علاقات الإنسان الحرّة . . .

ايفان ميخايلوفتش : أتذهب ؟ أتذهب ؟

بيتروشا ، يلثم يدها ، بصوت خافت : الكرامة الإنسانية . . .
ماري فاسيليفنا : يجب أن تُطيع ، يا بطرس . ماذا تريد أن تُحضّر لك ،
عجّة بيض أو سحجٍ مِعَلّاق ؟ سأمرك بفطورك .
نيانا ، فطور بطرس !

ايفان ميخايلوفتش : الكسي بأفلوفتش ، مع أذك . . . اعذرني ،
لكن . . . اسمح لي أن أقول لك : إنني طلبتُ منك أن
تُعطي ابني درساً لأن تعلّمه كيف يعمل أبويه . لأنّ لنا
عاداتٍ ربما كانت مُستغربة وبالية . لكن أرجوك ألاّ
تتخلّ فيها .

الطالب : هيه . . . هيه . . . حسناً !

ايفان ميخايلوفتش : هذا كل شيء ، لا تعلّمه سوى الخلايا ،
وأرجوك ألاّ تهتمّ بالطريقة التي يعاملُنا بها ابنتا ، مؤالّا
تلقّنه شيئاً .

الطالب : يُدهشني أن أسمعك تبدي ملاحظاتك لي . ماذا تقصّد ؟
ايفان ميخايلوفتش : أقصّد أن ابني لا ينبغي له أن يُلقني عليّ هذه
الحماقات ، هذا كل شيء .

الطالب : حسناً ! تستطيع حتى أن تجلده ، يا سيدي .

ايفان ميخايلوفتش : اصغِ ، لا تُخرجني عن طوري .

الطالب متخوفاً : أنا أفهمُ هذا جيداً ، لكن صدّقني ، ما كنتُ
لأشغل هذا المكان . . . ومع ذلك فأنت ترغب في أن

أطوّر ابنك . أنا ، أنا . . . لا أستطيع مع ذلك أن أخفي عنه قناعاتي .

كاترين ماتيفينا : سيكون مستغرباً لو أهمل الكسي بافاوفتش استنتاجات العلم أويدا كأنه يتجاهلها .

بيتروشا : ويمكن أيضاً أن تكون لي قناعاتي .

الطالب : ولا سيّما أن للحياة حقوقها وأن الآراء المسبقة لا تصنمُ أمام نقد العقل والعلم .

كاترين ماتيفينا : وخاصةً أن المفاهيم المتخلفة لا يمكن أن تستمرّ ، نظراً للخطوة الهائلة التي خطتها العلوم الطبيعية .

ايفان ميخيلوفتش : كفى ، دعونا من هذا . أرجو ابني أن يتصرّف كما أريد ، لا أكثر . (بعد لحظة صمت ، مخاطباً الطالب) . ألم أجرحك ، يا الكسي بافاوفتش ؟

الطالب : لإنني أجلّ كرامتي عن أن أعتبرها جريحةً . حان وقت العمل . هيّا سرّ ، برييشيف الفتى .

بيتروشا : لا ، أنا جوعان .

(يدخل ساشكا ومعه صينية) .

الطالب : حسناً ! لينبقّ ، ولتتغذّ .

(يقترب من الطعام) .

المشهد السادس

« ليوبوتشكا مشمّرةً فستانها ، وعلى رأسها قبعة قش ، تدخل رأكضة وخائفها بنتان ، تحمل سلة فطور » .

ليوبوتشكا : ماما العزيزة ، أتعلمين أنني لم آتِ وحدي !

ماري فاسيلييفنا : ومن معك ؟

ايفان ميخايلوفتش : مع مَنْ إذن ؟

ليوبوتشكا : احزرا ! مع أناتول دميتريفتش . كنتُ ذاهبة مع البنات عندما وصل وتبعني . ما أجمل الفطور التي لقيناها ، في الوادي ، كما تعلمين ! فطور رائعة ، تحفة ! أناتول دميتريفتش لا يرى شيئاً ، ولم يعثر إلا على فطر سام . انظري إليها ، ما ألطفها ! كاتنكا ، انظري ! ماشكا ، الفطور معك ، أعطيتهم إياها . (تأخذ الساة وتسحب الفطور منها) . وهذه الفطور الطحلبية ، انظر يا ماشكا ، ما أكثرها . وأنت قات لي إنه لا توجد فطور في ممرّ البتولة ! هل رأيته ، يا بابا ؟

ايفان ميخايلوفتش : لكن أين أناتول دميتريفتش ؟

ليوبوتشكا : إنه يُنظّف ثيابه . توسخّ حين وقع على ركبتيه ، وهي بيضاء . بابا ، أيّ حديث كان بيني وبينه ، مُدهش ! على كل حال ، سأحكيه لك وحدك .

ايفان ميخايلوفتش : ما هو ؟ ما هو ؟

ليوبوتشكا : مهمٌ جداً . لكن لا يمكن على الإطلاق أن أقول ذلك الآن . الأمر يخصّني . . .

ايفان ميخايلوفتش : ومع ذلك ، فأنت لا تُحسنين صنعاً حين تذهبين إلى الغابة لتحديثي شاباً . . . صحيح أنه . . . لكن مع ذلك . . .

ليوبوشكا : يا لها من فكرة متخلفة ! أليس كذلك ، يا كاتشكا ؟
ايفان ميخايلوفتش : آه ! وأنت أيضاً ! تعالي إليّ ، واجهي لي هذا
الحديث الخطير .

ليوبوشكا : غير ممكن الآن . انتظر ، ستعرفه . لا ، لكن انظري إلى
هذه التطوير اللطيفة ، ماما . (تنتصب وتصلع الكبرياء ،
مترددة الفطر) . مثل أستاذنا كارل كارليتش ؟ الضخم
التصير . آه ! كم أحسن أنني فرحة اليوم ! ساشكا ، غداً
سنذهب باكراً .

ماري فاسيلييفنا : تريدان إذن شيئاً أو شهوةً ، مع الخبز الأبيض ؟
ليوبوشكا : ستدهش كثيراً ، يا بابا ، من حديثنا ، وأنت أيضاً ،
كاتيا ، وأنت . . . أنتم ، الكسي بافلوفتش . بيتروشكا ،
أعطيني . . . ماذا تأكل ؟

(تخطف منه شوكتة وتضع اللقمة في فمها . بيتروشكا مستغرق
في فطوره) .

كاترين ماتيفينا ، للطالب : وهذه ندى لآنا تول دميريفتش ؟ بالنقص
تطورها !

الطالب : هذا لا يمنع أنها بمظهرها وهيبتها فتاة ممتازة وليست سيئة
على الإطلاق .

ليوبوشكا : ماما ، أستطيع أن أعطيها قطعة ؟ (تشير إلى البتين
وتعطي كلا منهما قطعة خبز وسكراً) . تعالاً ، غداً ،
باكراً .

ماري فاسيليفنا تصب لها الشاي : كالي قشدة .

ليوبوتشكا : لست جائعة ، أخذتُ من ماشكا فطيرةً ، النيدة ، تحفة !
(تجلس إلى الطاولة وعلى الفور) . نسيتُ أن أقبالك ،
يا بابا . (تقبّله) يا فطري الأبيض العزيز ! فيمَ كنتما
تتناقشان عندما دخلتُ ؟

ايهان ميخايلوفتش : هذا أخوك الذي اخترع أنه لا ينبغي أن يقبل
أباه ، بل يقول فقط : صباح الخير ، يا أبي ، صباح الخير ،
يا أمي .

بيتروشا ، وهو يلوك : لم اخترع ذلك ، توصّلتُ إلى هذه القناعة :
ليوبوتشكا : ها - ها - ها ! يا لهذه الحماقات ! لا يفتنون بخرعون
أشياء جديدة .

ايهان ميخايلوفتش : وأنتِ تنتزعين على البدعة الجديدة مع شاب .
ليوبوتشكا : صه ! لا تهاجمني . سأذهب عن عمد مع شاب .
الكسي بافوفتش ، لنذهب غداً بحثاً عن الفطور .

الطالب : الواقع أن هذا ممكن التحقيق .

ليوبوتشكا : كلا ، لا أستطيع .

ماري فاسيليفنا : ربما أردت شيئاً من العجة ؟

الطالب : لا ، شكرآ ، شبعْتُ . حسناً ! وأنت ، يا يورييشيف الشاب ،
هل تغذيتَ ؟ لنمشي .

(يخرج الطالب وبيتروشا) .

المشهد - ٧ -

« الأشخاص أنفسهم ومدير الأعمال » .

ايفان ميخايلوفيتش : هه... ما بيك ؟

مدير الأعمال : بدأ الحصادُ في « كاميني » .

ايفان ميخايلوفيتش : كيف ذاك ؟ والأحرار ؟

مدير الأعمال : فلاحونا دفعوهم إلى ذلك ، حدثَ شجار . وضُرب
ما تريون حتى أدمي . وقد جاء ، وهو ينتظرُك في المكتب .

ليبوتشكا : نسيت أن أقول لك : إنه رهيب ، وكأنه أحدُ قُطاع
الطارق . ماما ، لقد خفتُ كثيراً .

ايفان ميخايلوفيتش : ولم هذا الشجار ؟

مدير الأعمال : وصل الحصادون وما كادوا يبدؤون حتى سارع إليهم
ديومكين بالعصي الطويلة - وكان يحرق على مقربة -
وقال لهم : « كيف تجرؤون على حصاد حقول سيدنا ؟
وقد شغلنا نحن . أنتم خبيثاء لأنكم تخفضون من أجرتنا .
أنحصد القدان بروبيل ! كان سيعطينا روبلين إذا دعت
الحاجة . وإلا لرعيننا كل شيء بخيولنا » . وأخذ يمسك بهم .
وفي الوقت نفسه هُرع الفلاحون من الحقول وضربوا
الأحرار حتى أدموهم .

ليبوتشكا : رأسه ملتمى إلى هنا . هو مرعب .

ايفان ميخايلوفيتش : وأين كانت عيناك . فهذا يخصك . وكبير القرية ؟

مدير الأعمال : سافر إلى رئيس المنطقة .

ايفان ميخايلوفتش : جيد ، جيد !

مدير الأعمال : هيه ! ماذا تريد أن تفعل ، يا ايفان ميخايلوفتش ؟
فمن المستحيل العمل مع هؤلاء الناس . في هذه الليلة ،
سرقوا جبلين ، وأرادوا نهبَ عجّاتين مغلّقتين بالحديد ،
ومن حسن الحظ أنني رأيتُ ذلك . كم مرةٍ قاتُ إنه يجب
إغلاقُ كل شيء ، فلم أطلع . ومع هذا فأنا المسؤول عن
ذلك . أعتقد أنني لم أدخر جهداً ولم أحرص على صحتي .
فتفضّل واصرفني من العمل .

ايفان ميخايلوفتش : ماذا تقول ، يا صديقي ؟

مدير الأعمال : نعم ، تفضّل علي بذلك . إن شئت ، فلم أعد أطيق .
ايفان ميخايلوفتش : ماذا تقول ؟ لعلك تمزح ؟ أيمكن ذلك ونحن في
غمرة أعمالنا ؟

مدير الأعمال : الأمرُ لك ، ايفان ميخايلوفتش ، لكنني أصبحتُ
عاجزاً عن خدمتك . لقد اجتهدتُ غايةَ اجتهادي ، ولا
يشمر الاجتهاد شيئاً مع هؤلاء الناس . اصرفني من العمل .

ايفان ميخايلوفتش : اذهب بعد ذلك واشتغل بالزراعة ! (يذرع
الغرفة ، منفعلًا ، ثم يتمف أمام مدير الأعمال) . ما أنت
إلا شخصٌ قذر . أعتقد إذن أنه يمكن تعقيد كل شيء ،
وتلوّث كل شيء ، ثم الانصراف والأعمالُ في أشدها ؟
مدير الأعمال : وما العمل ؟

ايفان ميخايلوفتش : اخرج من هنا ! لا أريد أن أوسخ يدي .
ولولا ذلك . . . لا ، لكن هذا الصوصية . . الشيطان يعرف
خفاياها !

« يمشي » .

ماري فاسيليونا : قلت لك أنهم سيتركونا جميعاً الآن .

ليوبوتشكا : ينبغي لك أن تستخدم العمل الحرّ ، يا بابا ، يقول آنا تول
دميريفتش : إن هذا أفضل .

ايفان ميخايلوفتش : دعوني وشأني . هم يهدون دون أن يعلموا ما
يقولون . اود أن أعطي عيني وأهرب . كل شيء مهمل ،
مختل ؛ شاعت السرقة ولا أحد يعمل . الصبيان يؤذون
أهلهم . لقد جُنّ الناس جميعاً . يا له من تقدّم حاور !

كاترين ماتفيونا : ها هنا ، في رأيي ، أسباب عميقة تكمن في تنظيم
الحياة الشعبية .

ايفان ميخايلوفتش : دعوني وشأني تجاه المسيح . إذن ، هل ستبقى ؟
أرجوك أن تبقى . وافهم انني لا أستطيع ، في الوقت
الحاضر ، أن أجد من يحلّ محلّك .

مدير الأعمال : مستحيل ، يا سيدي ، فإن لي عملاً آخر .

ايفان ميخايلوفتش ، غاضباً : طيب ، تظن أنك ستخالفني مني هكذا ؟
أيها اللص ! طيب . والشرطة ؟

مدير الأعمال : لن تجرؤ ، لقد مضى ذلك الوقت .

ايفان ميخايلوفتش : آه ! لا أجرؤ ؟

(يمسكه بقبضته) .

ماري فاسيلييفنا ، واثبةً على قدميها : جان ! ايفان ميخايلوفتش ، ماذا

تفعل ؟ ارحمني !

ايفان ميخايلوفتش : لا ، سأصفيّ حسابك على طريقي . تعال ،

يا نذل .

(يقوده إلى الباب) .

المشهد - ٨ -

« يدخل فينيروفسكي »

فينيروفسكي : ها أنذا ، جئتُ لأراكم . ارفع يدك !

ايفان ميخايلوفتش : لا ، هذا مستحيل . ما العمل ؟

فينيروفسكي : ماذا جرى عندكم ؟ أشياء يومية ؟ شغلة حاوة !

هيه ! هيه ! هيه !

ايفان ميخايلوفتش : أعيتني الخيلُ . . . هذا رجلٌ غمرته بإحساني ،

وأعنتته قبل البيان ، وأعطيته الأرض . وكان يدير

أملاكي ، وها هو الآن ، وفجأة ، وبدون أدنى سبب . . .

فينيروفسكي : لا يريد أن يستمرّ في خدمته ؟ هيه ! هيه ! طبعاً !

هذا شيء معروف . وأنت تودّ أن تضربه ، وأن تنكّل به ،

وأن تحرقه بنار بعثية ، لكن هذا ممنوع . وما حياتنا في

ذلك ؟ هذا هو الجانب السيء من العمل الحر .

ايفان ميخايلوفتش : لكن ، لا رده الله ! اذهب وسأتم كبير
القرية كل شيء . سأتي بنفسي .

(مدير الأعمال ينصرف) . .

فينيروفسكي : قسماً ، أنا معجبٌ بك ، يا ايفان ميخايلوفتش ، لأنك
تتحكم بنفسك هذا التحكم . هذه قوة . نعم ، قوة ،
وما زالوا يدعونك رجعيّاً ، هيه ! هيه !

ماري فاسيليفنا : أتريد شايّاً أو قهوة ، مع القشطة ، هذا هو الخبز
الأبيض والزبدة .

فينيروفسكي : شكراً . على العموم ، كيف يسير العملُ الحر ؟
عندما وصاتُ إلى هنا ، رأيتُ أن العمل يتقدّم بسرعة .
هيه ! هيه ! هل هو مُرضٍ ؟

ايفان ميخايلوفتش : آه ! دعني من هذا الموضوع ! لا بأس . . .
لكنّ مثل هذه المتاعب . . . وأنت ، كيف حالُك ؟

فينيروفسكي : نحن ، لا بأس ، نعمل بأناة . كل هذا الوحل الريفى
يضائق ويخنق ، لكننا نناضل جهد المستطاع .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ، نعم .

فينيروفسكي : نحن نتقدّم دائماً . وهكذا افتتحنا أوس مدرسة
لأطفال الصناع . حصاننا على مكان وعلى كل شيء ؛
وجمعنا ، بطريقةٍ ما ، شيئاً من المال من التجار ، لشراء
الكتب ؛ وهي تسير سيراً حسناً . تعال وزرّها ذات يوم
أنت وليوبوف ايفانوفنا . هي مثيرة للاهتمام .

ايفان ميخايلوفتش : هذا نشاطٌ يَبْعثُ على الرضا . والمحاضرةُ الأخرى التي ستأقيها ، متى موعدها ؟

فينيروفسكي : لم يَبْقَ لي ، مع الأسف ، وقتٌ ، فعَمَلِي يَسْتَأْثِرُ بي دائماً . إن أصحاب معامل التقطير غشاشون . . ومنذ يومين ، لقطتُ واحداً منهم . عرضَ عليّ ثلاثة آلاف روبل رشوةً . هيه ! هيه ! أناسٌ سخيْفون لا يجوز أن نَجْرَحَ منهم . ما العمل ، كأنهم يتكلمون لغةً أخرى . هيه ! هيه ! هيه ! . . . تعال إذن ذات يوم لزيارة المدرسة أنت وليوبوف إيفانوفنا . نعم ، الأمرُ هكذا : نعمل ، ونعمل ، ثم ننظر حولنا ونحسّ أن هذا الوسط يغدو مع ذلك أكثر نبلاً . يكرهونني — هيه ! هيه ! — لكن ماذا يهمني من ذلك ؟ أحبُّ أن يكرهوني . هذه علامةُ قوة — هيه ! هيه ! أما أنا فلا أكره ، أنا أحتقر .

ايفان ميخايلوفتش : لكن ماذا حدث في ناديكُم ؟

فينيروفسكي : لُقِطَ غشاشٌ : رئيسُ النادي الذي أراد أن يسرق المالَ من الصندوق ، لكنه فوجيءَ وأسقطَ في يده . كل هؤلاء الناس نصّابون ، هيه ! هيه ! ومن البديهي حينئذٍ أن نبتهج حين نرى أن أفكار التقدم — ولو بعضاً منها — أخذتْ تَنفُذُ إلى هذه الرؤوس القاسية مع الشعور بالشرف وبالعواطف الإنسانية . نعم ، مهما تقلّ ، فان شخصاً واحداً شريفاً فقط يستطيع أن يفعل كثيراً من الأشياء . وهكذا تراني أفكّر في نفسي — وليس لي أن أتصنّع التواضع ، هيه ! هيه !

ايفان ميخايلوفتش : على كل حال ، كيف ننتهم الناس إذا فكّرنا في
التربية التي تربّوها ؟

فينروفسكي : عندي شيءٌ شخصي أحبّ أن أقوله لك . (يأخذ
ايفان ميخايلوفتش على حدة) . مهما عشنا من أجل
القضية العامة ، فنحن مضطرون إلى أن نفكر أحياناً في
أنفسنا ، لأنّ الشهور بالأثانية موجودٌ في كل إنسان . ومع أن
تلك الحالة قلما تصيبني ، فهي تحالتي في هذه المرة . . .
ولست أدري كيف أقولها لك . فقد فقدتُ حقاً عادة التفكير
في مصالحِي الخاصة . (يبتسم) . هذا مضحكٌ حقاً .

ايفان ميخايلوفتش : وما بك ؟ لعلك بحاجة إلى المال ؟ أنا مستعدٌ
دائماً ، بحسب قدراتي . . .

فينروفسكي : لا . أعلم أنك لا تحبني ، لكن ما العمل ؟ إنما القوةُ فينا .
ويجب أن يُحسبَ لنا ألف حساب .

ايفان ميخايلوفتش : لكن عمّ تتكلم ؟ أظنني حررتُ . . . لكن
هذا شيءٌ له . . .

فينروفسكي : حسناً ! إن حررتَ فأعطني إذن ابنتك ، أرجوك ،
هذا أبسط ما يمكن . . .

ايفان ميخايلوفتش : بلهجة ارتسامية ، طلبك ، يا أنا تول دميتريفتش ،
يسرّني . لقد كونتُ عنك أحسن فكرةٍ . ومساءك هذا
يؤيد رأيي . فأنت تتصرّف حقاً كما يتصرّف الرجل الشريف .
وأنت لم تردّدْ على بيتي دون أن يكون لك هدف . ولم
تسعى إلى سمعة فتاةٍ ، ثم إنك فعلتَ ما يفعله الرجلُ

النيلُ حقاً ، فلم تَسْمَحْ لنفسك بتكديرها وتَوَجَّهتْ
أولاً إلى أبيها . وهذه سمةٌ رفيعةٌ إلى حد كبير .

فينيروفسكي : هيه ! الأمر مختلفٌ قليلاً ، بحسب قناعتينا . هيه !
هيه ! فقد كلَّمتُ بهذا الشأن ليوبوف ايفانوفنا التي ، هيه !
هيه ! وافقتُ .

ايفان ميخايلوفتش : هه . . . نعم . . . أنت تعلم ، طبعاً ، أنا أوافق
على ذلك . . .

فينيروفسكي : أعتقدُ أن موافقة ماري فاسيلايفنا . . . هيه ! هيه ! ...
طبعاً . هناك شيءٌ واحدٌ فقط . أنت تعلم أنني ، برأيك ،
شخصٌ غريب الأطوار ، هيه ! هيه ! . . . وأنا أفضل
أن أتجنب كل تلك التهاني ، والقليل والقال . إني لا أستسيغ
ذلك . . . وأود لو أرى أقلَّ ما يمكن من هؤلاء الناس
الذين أحترقهم . ولذلك فمن الأفضل ترك الأمر كله سراً
في الوقت الراهن ؛ كل هذه الأساليب غبيّة ، أليس كذلك ؟
ايفان ميخايلوفتش : طيّب ، طيّب . فهمت . والآن ، يا صهري
المُقبل . . .

فينيروفسكي : ايفان ميخايلوفتش ، أنا دائماً آنا تول دميتريفتش ،
وأنت ايفان ميخايلوفتش . ما معنى : صهر وحمو ؟
لا جدوى من ذلك ، ولستُ أستسيغه ، وهو ، على
الخصوص ، شيءٌ غبيّ .

ايفان ميخايلوفتش : بالتأكيد ، لكن . . . حسناً ! والآن أرى من الضروري
أن أكلِّمك عن ثروة ليوبوتشكا لسنا أغنياء ، لكن . . .

فينيروفسكي : يا له من إضاح ! . . . مالي وأثرونها ؟ ثروتها ملكها ،
ولإذا كان لها ثروة فهذا شيء حسن . إن من ينهتهم الرجال ،
واو قليلاً ، ليس عليه إلا أن يرى نشاطي وبحكم عليّ
تبعاً له . وسأقول لك ما يكثرمني . لي هدف واحد .
فلهذه الثروة طبيعة صالحة ، وفيها إمكانيات . استم مغرمًا
بها . وأنا أجهل هذه الحماقات . فيها إمكانيات لكنها هي
لم تتطور إلا قليلاً ، قليلاً جداً . وأنا أشتبه شيئاً واحداً :
أن أرفع مستواها إلى مستوانا ، وحينئذ سأقول : لقد
أتدمنتُ عملاً أيضاً ، لكنني أودّ ألاّ يزعجني أخذٌ في
ذلك . وأنا أنبتهك على ذلك . قد يبدو لك ذلك غريباً ،
لكننا ناسٌ حديثون ، وما يبدو لك غريباً وصعباً سهلٌ
عائنا . فلا تكلم إذن أحداً عن ذلك قبل مطلع آب ، وستتم
التضحية على أحسن ما يرام .

(يشدّ على يده ، فيشدّ ايفان ميخايلوفتش على يده أيضاً ، طويلاً
وبتوة) .

ايفان ميخايلوفتش : نهدتُ كل شيء ، كل شيء . اسمع لي أن
أقبلك .

فينيروفسكي : لا ، هذا لا ، إذا شئت لا أستسيغ ذلك ، إلى اللقاء .
(ينصرف فينيروفسكي) .

ايفان ميخايلوفتش : إنه رجلٌ نبيلٌ ، حقاً . هذا هو العصر الجديد .
غريب . لم أعود ذلك بعد . لكن الحمد لله . الحمد لله !

ستار

الفصل الثاني

اللوحة الأولى

« يمثّل المسرح غرفة غُزِبَ لا نظام فيها ، في شتة فينيروفسكي »

المشهد - ١ -

فينيروفسكي ، وحده ، وصورته بين يديه : أنا أتزوِّج ! إنه لمن الغباء ، وإنه لشيء مخيفٌ أن يرتبط الرجل إلى الأبد بامرأة أفسدها وسطونها ولم تتطوّر إلا قليلاً . إنه لمن المخيف أن يذمّ الرجل قوّته وصفاءه في المصادم المستمرّ مع التفاهة والوحل . . . إلا أن ذلك يسرّ النفس . هناك كثير من الأشياء تسرّ النفس . الحياة المؤمّنة ، ثم إنها هي نفسها كامرأة . . . ليست رديئةً على الإطلاق . أستطيع أن أترك خدمتي ، وأهتم بالعمل الأدبي . وهي ، على الخصوص ، تسرّ النظر . كل هذا بديع . امرأة بديعة . . . قبلتني بشيء من السرور . بل وبكثير من الاندفاع . وخيّل إليّ أيضاً أنني لم أكن أتوقع ذلك . وبالفعل لم أكن أتوقع ذلك . لم ذاك ؟ أيُّ خطأ غريب كنتُ أنمّيه بصدد نفسي !

كما أسأتُ فهمَ نفسي ! (ينظر إلى نفسه في المرآة) .
 نعم ، وجهٌ جميل ، ومظهرٌ لائِقٌ للنظر . بل وجميل ،
 جميل جداً . نعم هذا هو ما يُسمَّى الرجل الوسيم ؛
 الرجل الجذاب وذو المظهر اللائِق للنظر كم يخطئُ
 الإنسان في فهم نفسه ! وبأي رُعبٍ مضحكٍ كنتُ أدنو
 منها ! كان هناك ما يدعو إلى الخوف ! هيه ! هيه ! هيه !
 كنتُ أظن أن مظهري ليس فاتناً ، وكنتُ أسعى إلى أن
 أعزِّي نفسي . كنتُ أقول في نفسي : إذا لم أكن جذاباً
 كالآخرين ، فأنا ذكي ، ومنْ أذكى مني ، فيما أعلم ؟
 ومنْ يفهم الأثياعَ بدقة ويسر وعمقَ كنههم لها ؟ وكنتُ
 أقول في نفسي : حسناً ! إني لستُ جميلاً ، ولا أستطيع أن
 أباري هؤلاء السادة الجميلين الذين أراهم يمشون في عرباتهم
 الجميلة ؛ لكن لي ، بالمقابل ، عتلاً واسعاً ، واستقامة ،
 وطبعاً متحرراً ، قوياً وصافياً . . . كل هذا يعوّضي
 تعويضاً كبيراً . هكذا كنتُ أعزِّي نفسي . لا أعرف كيف
 أجلس في الصالونات ولا كيف أتحدث الفرنسية كالآخرين ،
 وكنتُ أحد هؤلاء السادة الذين ألتوا الصالونات .
 وبالمقابل ، فأنا متعلّم أكثر من أي إنسان . . . لأنني
 لا أعرف ، في الواقع ، أحداً يملك معرفة شاملة وعميقة
 كمعرفتي . وهل هناك علم لا أشعر فيه بالقدرة على التيام
 بالاكشافات ؟ فقه اللغة ، التاريخ . . . والعلوم الطبيعية ؟
 أعرف كل شيء ، وبإمكانتي ؟ كنتُ أقول في نفسي إن
 القدر يتقسم قسمته فيعطي البعض مثلي الذكاء والموهبة

والمعرفة والتوبة ؛ وَيَسْهَبُ الْبَعْضُ الْآخِرَ مُوَاهِبَ تَلَفُةٍ :
 كَالْجَمَالِ ، وَالرَّشَاقَةِ ، وَاللُّطْفِ ، فَمَا إِذَا رَأَيْتُ فِي الْوَاقِعِ ، عَلَى
 حِينَ غُرَّةٍ ؟ رَأَيْتُ أَنَّ الطَّبِيعَةَ لَمْ تَقْسَمْ قِسْمَتِهَا ، وَإِنَّمَا
 جَمَعَتْ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي رَجُلٍ وَاحِدٍ . ذَلِكَ أَنِّي ، فِي بَطْرِسِ بَرَجٍ ،
 لَمْ يَتَسَنَّ لِي أَنَّ أَجْرَبَ قَوْتِي مَعَ النِّسَاءِ . . . مِنْ هَذَا النُّوعِ .
 وَفِي الْوَقْتُ الْحَاضِرِ ، انْتَهَى الْأَمْرُ ، فِي أَفْضَلِ حَلَقَاتِ الثَّلَاثِ
 وَفِي آتَنِهَا ، حَيْثُ لَا يَنْظُرُونَ إِلَّا إِلَى الْمَظْهَرِ الْخَارِجِيِّ .
 لِأَنَّ لِيُوبَا لَا يُمْكِنُهَا أَنَّ تَفْهَمُ جَوْهَرَ صِنَاتِي . فَبِئْسَ هَذِهِ
 الْحَلَاةُ تُشْغَفُ بِي امْرَأَتَانِ . نَعَمْ ، تُشْغَفُ بِي . (بَاعِضَاد)
 آه ! أَنَا بَشَعٌ وَأُخْرَقُ ! . كَمْ يَجْهَلُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ ! مِنْ
 الْمَضْحَكِ تَذَكَّرْتُ ذَلِكَ . (يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ فِي الْمِرْآةِ) . أَيُّ
 عَمَقٍ ، وَأَيُّ هَدْوٍ ، وَأَيُّ نَفَازٍ فِي التَّعْبِيرِ ! نَعَمْ ، كَانَ
 صَعْباً عَلَيْهِمَا مِتَاوَمَةً تَأْثِيرِي . إِنِّي أَفْهَمُ مَا الْكَائِنُ الْتَوِي .
 نَحْنُ نَغْضُ مِنْ قَدَّرَ أَنْفُسَنَا دَائِماً ، بِخِلَافِ الرِّعَاقِ الَّذِينَ
 يَحْسِنُونَ الظَّنَّ بَأَنْفُسِهِمْ . بَيْتُهَا لَيْسَ ، فِي الْوَاقِعِ ، رَجُلٌ
 أَوْفَرُ مُوَاهِبَ مِنِّي ، وَيَسْبُخَسُ ، فِي الْوَقْتُ نَفْسَهُ ،
 قَدَّرَ صِنَاتِهِ الْخَاصَّةَ نَعَمْ . . . هَذَا وَاضِحٌ .

المشهد الثاني

« فِينِير وفِسْكِي » يَدْخُلُ بِيكَلِيَّةِ بَرَفٍ ، رَفِيقَتُهُ فِي الْجَامِعَةِ وَهُوَ الْيَوْمَ
 مُوَظَّفٌ فِي قِضَاءِ الصِّلَحِ (١) . »

(١) قِضَاءُ الصِّلَحِ : كَتَبْتُ هَذِهِ الْمَلْهُوَّةَ فِي سَنَةِ ١٨٦٣ وَلَمْ يَدْخُلْ قِضَاءُ الصِّلَحِ إِلَّا فِي ٢٠
 تَشْرِينَ الثَّانِي ١٨٦٤ . فَهَذَا غَرَارَةٌ تَارِيخِيَّةٌ مُرَدِّهَا إِلَى تَنْقِيحٍ لَا حَقَّ .

بيكليشوف: آه ! يا أخي ، لو ترى صيدنا الوفير اليوم ! ها ! ها ! أنا عائد من الجلسة .

فينيوفسكي : جديرٌ بالشناء أن تنفرَّغ لأعمال هذا الوجود . وما الذي أرسله الله إليكم ؟

بيكليشوف: قَسَمْنَا ثلاثةَ ملائِكَ زراعيين ، بينهم امرأة وموظف مرتشٍ كل هذا في جلسة واحدة . يمكن القول : إنها لعبةٌ ممتازة .

فينيوفسكي : هذا حسن . هذا نافع لهم ، ويسرني أن أسمعهم ؛ وأنت تجد فيه متعةً ؟

بيكليشوف: متعةٌ لا توصف ، يا صديقي . كيف لا ، وحياتي كلها تقوم على ذلك . ذاك هواي واختصاصي . أتمم المثاليون لا تملكون شيئاً سوى المحاكمة العنابية ، بينما نحن العمليون نفعل . وهكذا ، أتعلم لمَ أثاركَ في زواجك ؟ لا لأنني رفيقك وصديقك وأنا أرى فيه سعادتك . أبداً ، لا . إنني أرى فيه فقط هذا الحيوان اللبون بريبيشيف الذي ينوي خداعك والذي يحب قمعه . وشأقه معه . كيف تسير أعمالك ، إذن ؟ وهل ستذهب إلى منزل آل بريبيشيف ؟ الإشهار الصريح اليوم . أنا مستعدٌ ومسلَّحٌ من رأسي إلى قدمي .

فينيوفسكي : عمليةٌ لا خير فيها . هيه ! هيه ! هيه ! . . . إنها الخلية ، تلك العادة الخمئة التي يجب تجنُّبها قدر الإمكان .

بيكليشوف: ليس هذا مهماً . . . أين صرت فيما يخص المسألة المالية ؟ هل حصلت على إيضاح ؟

فينبروفسكي : لقد أوضحتُ فكري أمام والدها المحترم منذ البداية .

إن ثروتها لها ، وليُعَفني من حماقاته ، نعم . هيه ! هيه !
وابتهج والدها كثيراً بمثل هذا المفهوم ، طبعاً

بيكليشوف : اوه ! يا المثاليين ! أعطيتهُ أنت نفسك سلاحاً . ،

سيتصور ، بطبيعته الرخوة ، أنه لا يجب أن يعطي شيئاً
لعروسك ، ومن الجنون أن تكلف نفسك الإنفاق على
امرأة دون أن تتلقى موارد جديدة . يبدو لي أن لا فائدة
من البرهنة على ذلك .

فينبروفسكي : هذا صحيح . لكنني سأفعل ما هو ضروري حتى لا

يتلاعبوا بي . ليس لي سوى هدف واحد : هو انتزاع هذه
الفتاة من الشروط المبلدة والأخلاقية التي تعيشُ فيها ؛
ومن البديهي أن هذه الفتاة لا ينبغي أن تفقد شيئاً لكونها
اختارتني ، ولا ينبغي أن تُحرَم رفاهية حياتها ؛ وهي
رفاهية بسيطة على كل حال . سأفعل ما هو ضروري
لحماية مصالحها .

بيكليشوف : لكن ، لا تدع أحداً يغشاك . أنتم المثاليون ، هذا هو

ما تمتازون به . ترسمون مخططات دون أن تناقشوها
مسبقاً من الناحية العملية . ما التدابير التي ستتخذها إذن ؟

فينبروفسكي : في آخر لقاء ، بدأ برييشيف ، مرة أخرى ، أمام

ابنته ، حديثه عن المال ؛ فأجبتُ أني أجدُ من الأنسب
معالجة هذا الموضوع على انفراد بدلاً من التباهي به أمام
الأس .

بيكليشوف : لكن هذه هي النتيجة بالضبط ، يا صديقي ، أنت متهكماتف
رقة الإحساس وهم سيخضعونك .

فينيوفسكي : هذا اليوم هو الذي حدثت له للمحادثات . وفي نيتي
أن أعلن له أنني أرغب في توضيح علاقاتنا المالية . هذا ،
ما أستطيع أن أضمنه لك .

بيكليشوف : سيخضعونك ، صديقني . (يفكسو) . تذكر شيئاً :
بالنسبة إليهم ، بالنسبة إلى هؤلاء الناس ، يأتي الاحتفال
قبل كل شيء . ومن هذا الجانب يجب أن نُسلك بهم .
تذكر هذا الشيء : يجب ألا تذهب إلى الكنيسة قبل أن
تكون بين يديك الصكوك الصريحة التي تمنحها ثروة ما .

فينيوفسكي : أنت تطرح المسألة وكأنه ليس عندي سوى ثروتها .
لا أستطيع هذا . وأنت حتماً عملي أكثر مما يجب .

بيكليشوف : آه ! قلت لك إنك مثالي . لكنك تنسى مع من تتعامل .
هؤلاء جميعاً أوغاد . لقد نهبوا الأقنان ، وشربوا دم
الشعب ، طوال خمس مئة عام ، وتريد أن تصطنع المثالية
معههم . نعم : إن لك هدفاً شريفاً : هو إنتاذاها . فلماذا
إذن تتحير بالوسائل ؟ هذه شيطنة صبيانية ، وليست جيداً .

فينيوفسكي : بالنسبة لي ، أيها الأخ ، يأتي الهدف قبل كل شيء .

بيكليشوف : طيب ، طيب ، مثالي ! أكرر لك أنني إن لم أمسكك
بيدي فستعاقب بين أيديهم وكأنك في شرك . على كل حال ،
من هذه الناحية ، ستمنعهم ، فاحلوا لي صناديق هذه
الغداة .

فينبروفسكي : ماذا أقول لك . . . صبيّةٌ مظهرها رائقٌ جداً ، طيّبة ، ودودة ؛ هي طبيعةٌ لم تفسد تماماً . إمكاناتٌ حسنة جداً . في هذه الأيام الخمسة عشر الأخيرة أعطيتها كتباً كثيرة تقرأها وتحدّثُ كثيراً معها . ولذلك أخذتُ ترى الأشياء في وجهها الحقيقي . مثلاً ، أحسّتُ بكل دناءةٍ وسطها ، وتمتّت لو تتخلّص منه ، وأدركتُ فهاةً والديها المحترمين . طبيعة طيّبة جداً ومستقيمةٌ . وإذا ما انشغلْتُها من هذا العشّ الدنيء ، المليء بالخزي ، وحملْتُها ، طبعاً ، على قطع صلاتها كلها بأهلها المحترمين ، فاني آملُ أن تتطوّر تطوّراً كاملاً . سترأها بعد قليل .

بيكليشوف : جيد . ومنْ هذه البنت ، ابنة أخيه ؟

فينبروفسكي : ابنة أخيه وهي فتاة متحرّرة ، وطبيعةٌ متطوّرة وليست غبية ، لكن مظهرها غير جذاب كثيراً .

بيكليشوف : مهما يُقلّ فإن النساء لا يمكنُ أن يكنّ جميلات ومتطوّرات في آن واحد . فالبهاوات الممثلات هنّ أكثر حلاوةً .

فينبروفسكي : ديه ! هيه ! نعم ، طبعاً . إذن هذه الفتاة تضايقني كثيراً . كانت بيننا قديماً بعض العلاقات . كانت الكائن الوحيد المفكّر في العائلة ، فتقرّبتُ منها تلقائياً . والآن يبدو أنّها تريد فرض طلباتها عليّ . أصبح ذلك سخيّاً ، وقد يُصبح أسوأ إذا علمتُ بزواجي .

بيكليشوف : هذا سيءٌ .

فينيروفسكي : لا ، يا سيرج بيتروفتش المحترم ، لا يمكن لأحد أن يُسحق علي باللائمة ؛ لقد تصرفْتُ كما يتصرف الرجلُ الشريف الذي يعترفُ بجرية المرأة . قلتُ لها إنني لا أريد ألاّ ألتزم بشيء ، وأنني لا أسلم نفسي لهذه العلاقات إلا لبعض الوقت .

بيكليشوف : ها ! ها ! ها ! إني أرى بوضوح ما يكدرُك : أنت تتساءل إن كنتَ لم تُسْءِءْ التصرف معها . يا للمثالية ! فكّرْ مع مَنْ تتعامل . تذكرْ ما يعتبرونه شراً وما يعتبرونه خيراً . جميع الأفكار الأخلاقية مشوّهةٌ في الوسط الذي يعيشون فيه . وإذا حسبنا حساباً لهؤلاء الناس خُدْعنا أبداً . القاعدة الأولى هي أن نعلم ما غيرُ الشريف عندنا وما الشريف عندهم ، والعكس . وطبقاً لهذا المبدأ ، فلنُفرضْ أنكَ طرقتَ معها — في مملكة العُميان العورهم الملوك (١) — فما أهمية ذلك ؟

فينيروفسكي : صحيح ، لكن هذه الفتاة ملحاحٌ ، وهي تعتقد أن لها حقاً عليّ وتستطيع أن تؤذيني . أودّ تنحيتهما .

بيكليشوف : هذا واضح . . ولن أقصر على تنحية تأثيرها ، بل سأقيد هذين الشخصين تمييداً محكما بحيث يتعدّر الفصل بينهما — انتظر قليلاً .

(١) في مملكة العُميان العورهم الملوك : تولستوي يستخدم هنا مثلاً روسياً يقول حرفياً : « إذا غاب السمك عد السرطان سمكاً » .

المشهد الثالث

« الشخصان السابقان ؛ يدخل الحارس الذي يقوم بدور الخادم ،
ثم كاترين ماتفيفنا وايفان ميخايلوفتش » .

الحارس : أنا تول دميريفتش ، هذه الأنسة تطلبك مرة أخرى ،
ومعها سيد .

فينيوفسكي : أية أنسة ؟

الحارس : تلك التي كانت تأتي من قبل ، بشعرها القصير .

فينيوفسكي : هذا بريبيشيف مع ابنة أخيه . أدخلتهما .

(يخرج الحارس)

بيكليشوف : ها إن الكرة تبحث عن اللاعب (٧) . سألاحقهما كليهما .

« يدخل ايفان ميخايلوفتش وكاترين ماتفيفنا » .

ايفان ميخايلوفتش : آه ! ذهبتُ أنا وكاتنكا لزيارة مدرستك .

وخافت ليوبوتشكا من مصاحبتني ، بالرغم من رغبتها في

ذلك ، لأنها بردتُ أمس . وجئنا لزيارتك ، في طريقنا .

آه ! أنا تول دميريفتش ، أأعترف لك ، روعة هؤلاء

الأطفال ! نعم ، هذا لطيفٌ حقاً ، لطيفٌ جداً .

فينيوفسكي : أحسنتَ صنعاً إذ جئتَ . سأقدم لك بيكليشوف ، وهو

رفيقٌ وسيدٌ ذكي وطيب . كاترين ماتفيفنا ، أقدمه لك .

أيضاً .

(٧) الكرة تبث عن اللاعب : المثل الروسي المستخدم هنا ، يقول : « الطريقة تبحث عن الصياد » .

كاترين ماتفينا لبيكليشوف ، وهي تشدّ يده بقوة عظيمة حتى
كسر من الألم : أذهشني دائماً أن علاقات الرفقة بين
الرجال ثابتة ، في حين أن هذا الحدث ، إن صحّ القول ،
لا يحدثُ بين النساء — ألا يكمن السببُ في مستوى التعلم
المتدني الذي تُمنّحه المرأة ؟ أليس هذا صحيحاً ؟

بيكليشوف : لا ريب أن الروابط تتوثق بوحدة القناعات لا . . .

كاترين ماتفينا : اسمح لي ، اسمح لي ! اعتقدُ أنك صديق حميم
لأناتول دميتريفتش لا لكونك رفيقه ، بل لكونك تشاركه
مفاهيمه .

بيكليشوف : لا ريب أن لنا نفس المفاهيم . ذهبنا إلى المدرسة ؟

كاترين ماتفينا : نعم ، قل لي ، ما رأيك بفكرتي هذه : إنني أتساءل
إن كان تطوّر المنعكسات لدى الصغار ضاراً ؟ وافقني
على أن الموضوع هنا يدور على الطبائع الكاملة . . .

بيكليشوف : يعني . . . أنني أجهل كيف تنظرين إلى هذه القضية .
المنعكسات هي فقط علامة تطوّر .

(يتنحيان وهما يتابعان حديثهما) .

ايفان ميخايلوفتش - لفينيروفسكي : منذ زمن طويل وأنا أنوى أن
أزورُ هذه المدرسة ، فهي جديرة بالاهتمام ، وفي الوقت
نفسه ، قلت في نفسي : يجب أن نتحدّث اليوم ، في
شؤوننا ، بصدد ثروة ليوبوتشكا ، كما تذكر . إنني
أحملُ هذه (يُري مَحْفَظَتَه) . ستكون أكثر ارتياحاً هنا .

انتحدثت ، ثم سأخذك إلى البيت . نستطيع ان نعان النبا
اكاتنكا ، لأن الجميع سيعرفونه اليوم . لن نضايقنا ؛
على العكس ، ستُعطينا نصائحها ، لأنها امرأة ذكية ،
كاتنكا ، بالرغم من غراباتها .

فينيروفسكي : لا ، تفعل ذلك الآن ، هذا مزعج . . . فهناك هذا
السيد . . .

ايفان ميخايلوفتش : حسناً ! سنفعل ذلك فيما بعد . لكنني لن أتركك
اليوم . يجب أن تعرف مع ذلك . . . (يقترب بيكيلشوف
وكاترين ماتيفينا) . كم أنا ممتنٌ لك ، لأنك أتحت لي
زيارة هذه المدرسة . يا لروعة هؤلاء الصغار ! لا أكاد
أصدق ! ما أمرحهم وما أطرفهم ! وما أعظم
التقدم الذي يحققونه ، وبما أنه . . . شيء . . . فيجب
أن ننصفك ، لأن هذه المدرسة منظمة تنظيمًا عجيبيًا .
شيء لطيف ، إنه لعمل حقيقي من أعمال الخير . . .
لطيف ، لطيف جداً .

فينيروفسكي : نعم ، نحن نتابع عملنا شيئاً فشيئاً . ومع أنهم يضعون
لنا العصي في العجلات ، إلا أننا سنحطمها قليلاً قليلاً .

ايفان ميخايلوفتش ، لييكليشوف : أرى أنه تقدّم لشعبنا دون تعليم
حقيقي ، قصدت التعاليم الأخلاقي .

بيكيلشوف : كل واحد يفهم التعاليم على طريقته ، لكنه مفيد بالتأكيد .
كاترين ماتيفينا : اسمح لي ، اسمح لي ! أنا تول دميرفتش ، لماذا لم

تطبق فيها الطريقة الصوتية ؟ إنها أقربُ تناوُلًا وأكثر عقلانيةً ، أكثر عقلانيةً بكثير .

فينيروفسكي : هيه ! لا يُصنَّع كلُّ شيء عقلانياً . فضلتُ طريقة زولوتوف المبسطة (١) .

كاترين ماتيفينا : أريد أيضاً أن أوضح رأيي بصراحة أمامك . لقد تحدثتُ للتو مع بيكليشوف . أرى أن تنمية المنعكسات في الطابع المتدنية المستوى أمرٌ لا عقلاني .

ايفان ميخايلوفتش : اعذروني ، سأمرّ على دار البلدية (٢) بسرعة ثم نذهب بعد ذلك ونحدث .

فينيروفسكي ، لكاترين ماتيفينا : سنناقش هذه المسألة . هيه ! هيه ! هيه ! (لإيفان ميخايلوفتش) . حسناً ! عدّ . سيأتي بيكليشوف معنا وستُجلّسه في مركبتك ، على ما أظن ؟

ايفان ميخايلوفتش : سنجلّسه فيها ، سنجلّسه فيها (لبكليشوف) . أنا سعيد ، سعيد جداً . هذا يوم سارٌ لنا ، وسيكون صديق أنا تول دميريفتش ضيفاً عزيزاً في بيتي .

(يتحادثان بصوت منخفض)

كاترين ماتيفينا ، لفينيروفسكي : إن بقيتُ هنا فسوف أُعنى بقسم من التعليم في هذه المدرسة . وسأبرهن لك عملياً أن المنعكسات ضارة .

(١) طريقة زولوتوف المبسطة : فاسيلي زولوتوف (١٨٠٤ - ١٨٩٢) مرب رفيع الشأن ، مؤلف كتب مدرسية .

(٢) دار البلدية : المكان الذي تتجمع فيه الدوائر المدينة في المقاطعة .

فينيروفسكي : حسناً ! هذا ممكن .

ايفان ميخايلوفتش ، وهو ينصرف : إلى اللقاء ، سأنتهي في خمس دقائق .

فينيروفسكي ، لايفان ميخايلوفتش : عُدْ إذن ، عُدْ . (لكاترين ماتيفينا) . لماذا تهاجمين هكذا تطوير المنعكسات لدى الأطفال ؟ أعتقد أن ما هو خير لنا لا بد أن يكون خيراً للجميع .

كاترين ماتيفينا ، لفينيروفسكي : لا ، اسمح لي ، اسمح لي ! هذه الزيارة للمدرسة بعثت فيّ عدداً من الأفكار ! هناك مسألة تطرح ذاتها : ماذا تنوي أن تفعل بهذه الطبايع ؟ هل تعترف بتطور كل فرد باعتبار هذا التطور خيراً لا شك فيه ، أم أن تطور الوحدة دون مؤازرة المبادرة العامة يضرّ بهذه الوحدات من جراء شذوذ النظام القائم ؟

فينيروفسكي : أعتبر أن التطور خيراً دائماً ، مهما يكن الشكل الذي يتجلى فيه ، لكن . . .

كاترين ماتيفينا : نعم ، على طريق التقدم .

فينيروفسكي : طبعاً . لكن يجب مع ذلك أن نأخذ بعين الاعتبار العقبات التي يحتملها الوسط المحيط .

كاترين ماتيفينا : هذا صحيح ؛ مهما تقلّ فقد أجبتك من قبل وقالت إن الحدس يدلّني على أن هذا الوسط القاتل ، هذا الجو العفن الذي تنتفّسه هو فوق قواك .

فينيروفسكي ، ينوي أن يقول شيئاً لصديقه : أنت . . .

كاترين ماتيفينا : لا ، اسمح لي ، اسمح لي ، دعني أوضح رأيي .
لقد حددت لنفسك هدفاً هو إدخال النور الي هذا الركود ،
لكن الوسط يضغط عليك ، ولا بد لك من مجالٍ أرحب .
(لبيكليشوف) . أليس هذا صحيحاً ؟

بيكليشوف ، لفينيروفسكي : أية بنت هذه ، يا صديقي ! أبداً رأيك
إذن .

كاترين ماتيفينا ، بعد تفكير : نعم ، إن هذه الزيارة ولدت في
سلسلةً من الأفكار . وقد ازداد تقديري لك . (تشدّ على
يد فينيروفسكي) . بيكليشوف ، عندي قضيةٌ شخصية
أحب أن أعالجها مع فينيروفسكي ، أنا فوق الأحكام
الاجتماعية المسبقة ، ولذلك أرجوك أن تخرج . أنت فوق
تلك الأحكام أيضاً ؟

بيكليشوف : طبعاً ، سأبقى في الغرفة المجاورة (لفينيروفسكي ، وهو
خارج) . هذا أحسن ؛ نعم ، هي متطورة ، لكنها
كريمة ، أستطيع أن أقول ذلك .

(يخرج)

المشهد - ٤ -

» كاترين ماتيفينا تصمت ، فينيروفسكي يصمت أيضاً ، مرتاحاً « :

كاترين ماتيفينا ، مرتبكةً : نعم ، هذا هو اليوم . . . وإن صحّ
القول . . . نعم ، لقد تمّ التخمّر الداخلي . . . لكنك

طبيعة شريفة . . . لقد أفدنت المرأة من الضغط الاجتماعي
الذي كان يخنقها . . . وهي مساوية للرجل وأنا . . . نعم ،
جئت لأقول لك بشرف وبصراحة . . . لقد شعرت
شعوراً عميقاً بذاتي . . . نعم ، أنا . . . لكن قل أنت
شيئاً ! . . .

فينيروفسكي : أنا أصغي إليك . سيكون الحديث ممتعاً ، على ما
يبدو .

كاترين ماثيفينا : نعم ، لكن أن أقول هكذا . . . نعم ، انتظر . . .
فينيروفسكي : سأنتظر . وعدت أن تنقلي إلي عواطفك ، لكن
شيئاً ما يعوقك . أنت امرأة حرة — تغلبي على نفسك
بنفسك ، ومن أجل الوضوح في العلاقات ، نحن بحاجة إلى
الوضوح في العبارات وفي الكلام . ووضوح العلاقات ،
بالنسبة إلي ، أمر مرغوب فيه . سأعبر عن نفسي بصراحة ،
أفعلي مثلي ، دون أن تُربكك تلك الآراء البالية عن علاقات
الرجل بالمرأة . لا تتضايقي ، آدم القديم هو الذي يشوشك
كما تقول العلوم الروحانية الطيبة الذكر . . . ماذا
تقولين ؟

كاترين ماثيفينا ، بعزم : نعم ، صدقت ، إنه آدم القديم . وأنا فوق
ذلك . (تمد إليه يدها) . فينيروفسكي ! لقد سببت
أغوار وجداني واقتنعت بأننا يجب أن نتحد . نعم . . . أمّا
الشكل الذي يجب أن يتم به هذا الاتحاد فهو ما أترك
لك حرية البت فيه . هل نجد من الضروري ، من أجل

الجمهور وأهلي المحدودي التطور ، وكذلك من أجل أهالك ،
أن يكون ذلك عن طريق حفلة الزواج — أنا موافقة سلفاً ،
وأنا أتساهل هذا التساهل مهما يكن مضاداً لقناعاتي .
لكنني أرغبُ في شيء واحد . إن الوسط ، كما قلتُ لك
يخنقني ويضغط عليك . فيجب أن نساfer ، ويجب أن
نقيم في بطرسبرج ، حيث ستأقـى قناعاتنا تعاطفاً أكبر ،
وحيث سنبدأ حياةً جديدةً ، على أسسٍ جديدة ، وبمبادئ
جديدة . أما مسألة امتلاكـي ، فهي محلولةٌ بيننا من قبل .

فينيروفسكي : هذا شريفٌ وواضح . أستطيع على الأقل أن أوضح
رأـيـي بشكل حاسم مثلك ، وسأحاول أن أفعل ذلك .

كاترين ماتفينا : اسمح لي ، اسمح لي : لم أقل كل شيء . فالحياة التي
تنتظرنا سيكون لها أهميتها لا بالنسبة إلينا فقط ، بل
بالنسبة إلى المجتمع كله أيضاً .

فينيروفسكي : اسمح لي أيضاً أن أقول كلمتين .

كاترين ماتفينا : فينيروفسكي ، أنا أقدرُك ، وأنت تعرفني . أنا
امرأةٌ حرةٌ مساويةٌ للرجل . وأنا فخورةٌ لأنـي أول من
قال لك : أريد أن اتحد بك ، وأنا أنتظر جواباً شريفاً
ومتروياً . كل هذا بسيطٌ جداً .

(ترد شعرها ، وتمشي منفعلَةً) .

فينيروفسكي : هذا هو الدليل على أن النظر إلى الحياة ببساطة وشرف
أكثر ملاءمةً وعقلانية . قلت : إنك ترغبين في الاتحاد
بي ؟ هذا مفهومٌ جداً : سأعرف على الأقل بماذا أجيب .

واختيارك وطريقتك في التعبير عنه يدلان على درجة التطور العالية التي بلغتها . ولا أعرف فتاة أخرى يمكنها أن تتصرف بهذه الطريقة الواعية . وأنا أجيئك بصراحة أن هذا الاتحاد لا يناسبني ؛ ولذلك لا أستطيع قبوله . أما علاقاتنا القديمة فان نفس الحس الأخلاقي بالحقيقة الذي تملكينه إلى حد كبير ينبغي أن يكون ضماناً لي على كتمانك بهذا الصدد .

كاترين ماتيفينا : اسمح لي ، اسمح لي . . . أنت ترفضني ؟

(تقف وترد شعرها) .

فينيروفسكي : كاترين ماتيفينا ، ليس من رجل حديث لا يعتبر عرضك مكافأة له على مشقاته ، لكنني اخترت اختياراً آخر ، ولذلك . . .

كاترين ماتيفينا : آه ! حسن جداً . اسمح لي . أنا أقدر . . .

(تمشي ، منفعة) .

المشهد - ٥ -

« كاترين ماتيفينا ، فينيروفسكي ، ايفان ميخايلوفتش » .

كاترين ماتيفينا : آه ! ايفان ميخايلوفتش ! لقد تحدثنا ، واتضح الوضع . نعم ، أنا مسرورة بهذا الوضع . لقد وضعنا كل شيء .

ايفان ميخايلوفتش : كان بينكما إذن شيء ملتبس .

فينيروفسكي : كانت مسائل مجردة ، على الأصح . . .

كاترين ماتيفينا : اسمح لي ، لم تكن مجردة تماماً . . . على كل حال أنا مسرورة . . . لنعد . . .

ايفان ميخايلوفتش : لا ، عفواً . وعدت أنا تول دميريفتش أن أحدثه اليوم في شؤوننا . جئت إلى هنا عمداً ، وحملت هذه الأوراق . . . الآن نستطيع أن نقول لك ذلك ، يا كاتنكا . هههههنا ، أنا تول دميريفتش وأنا . لقد كاشف ليوبا مكاشفة نالت رضانا ، وسيتزوجها في مطلع آب .

كاترين ماتيفينا ، **لفينيروفسكي** : هناك ثلاثة أنواع من الحب : حب عشّار ، وحب « أفروديت » ، وحب المساواة . فينيروفسكي ، أنت لم ترتفع فوق حب عشّار كنت أظنك أعلى . . . لكنني ما أزال أقدرك كما كنت أقدرك من قبل . ايفان ميخايلوفتش ، هل ستحدثان طويلاً ؟

ايفان ميخايلوفتش : ربع ساعة تقريباً ، انتظرينا .

كاترين ماتيفينا : فينيروفسكي ، أعطني آخر عدد من « النجمة القطبية » (١) ، سأقرأه .

فينيروفسكي ، **ماداً المجلة** : ها هو ذا ؛ انصحك بقراءة هذه المقالة . فهي دراسة حسنة . . . لعلك تقبلين بالانتقال إلى الغرفة المجاورة ، لثلا نحول بينك وبين القراءة ؟

(١) النجمة القطبية : مجلة ثورية كان يحررها هرزن واوغاريف في لندن من ١٨٥٥ إلى ١٨٦٢ . وكانت توزع سرّاً في روسيا .

كاترين ماتيفينا : لا .

فينيروفسكي : حقاً ، تترتاحين أكثر هنا .

كاترين ماتيفينا : لا .

فينيروفسكي ، بينه وبين نفسه : أصبح الاستيضاح مستحيلاً مرة أخرى .

(تجلس كاترين ماتيفينا إلى طاولة على حدة ، تتكىء بمرفقها ، وتشعر في القراءة ، ملقمة أحياناً نظرة خاطفة على فينيروفسكي وهازة رأسها وهي بادية الشك . يجلس ايفان ميخايلوفتش إلى الطاولة ويفتح محفظته ويرتب الأوراق . يجلس فينيروفسكي قبالة) .

ايفان ميخايلوفتش : أيها العزيز والمحبوب أنا تول دميتريفتش . . .

فينيروفسكي : ما الموضوع ؟ تكلم .

ايفان ميخايلوفتش : كان من شهامتك أنك رفضت الحديث الذي بدأته عن ثروة ابنتي ؛ ثق أنني أقدر تقديراً عالياً هذه المبادرة . لكنك توافقني على أنني أشعر بالسرور ، إن جاز لي أن أعبر هكذا ، بصفتي أباً ، أن أعرض ما يتعلق بإدارة ، أملاك ابنتي لزوجها المقبل . . .

فينيروفسكي : حسناً ! أنا أصغي إليك . تكلم .

ايفان ميخايلوفتش : أقول لك بصراحة أن غيرك قد يرمي بالطمع ، لكن يبدو حقاً أنك تستطيع أن تكون مطمئناً بهذا الصدد ، يا أنا تول دميتريفتش . فلن يقول أحدٌ بالتأكيد أنك تزوجت من أجل المال . . .

فينيروفسكي ، يلقي نظرةً على كاترين ماتفيفنا : لا شك أن هذا صحيح . لكن ذلك كله لا يوصلنا إلى القضية .

ايفان ميخايلوفتش ، يرتب الأوراق ، ويأخذ منها ورقةً : إن ثروتي متواضعة ، وهي ستؤول إلى ابني . أما ثروة ليوبوتشكا فهي تأتيها من أمها . والأمُّ ترغب في أن تحتفظ بجزء يسير منها ؛ أما الباقي فقد قررنا أن يكون مأكلاً لك ، ملكاً كاملاً لك . . .

كاترين ماتفيفنا ، تنهض وتردّ شعرها : اسمح لي ، اسمح لي ! أنا تول دميتريفتش ، التقديرُ الذي كنتُ أكنّته لشخصك أخذ يتلاشى في أعماق وجداني . فمئذ خمسة عشر يوماً عبّرت عن قناعتك بأنك لا تقدّر ليوبوتشكا . وكان ذلك طبيعياً ، لا مفرّ منه .

ايفان ميخايلوفتش : كاتنكا ، لا تقاطعينا ، بم تهلّدين ؟ كاترين ماتفيفنا : اسمح لي ، اسمح لي ! فينيروفسكي ، لقد عبّرت عن قناعتك بأنك لا تقدّر لها كامراًة ، وأنت الآن ستزوّجها ؟ وهذا غير منطقي .

فينيروفسكي : لا أفهم لأية غاية تقولين هذا ؟ كاترين ماتفيفنا : اسمح لي . قلتُ إنك تصرّفتَ تصرفاً غير منطقي . لم أقل غير هذا . وأنت الآن تناقش مع ايفان ميخايلوفتش ، شؤون خطيبتك المالية — هكلنا تُسمّى ، فيما أظنّ ؟ وأنا أرى في هذا الفعل مساومةً حقيرةً موضوعها المخاوق البشري ، ولذلك أرجوكم ألاّ تهيناني وألاّ تهين كلّ

منكما الآخر ، وألاّ تُهينا الكرامةَ البشريةَ بمتابعتهما هذا الحديث . هذا كلُّ ما عندي .

ايفان ميخايلوفتش : اصغني ، كاتنكا ، أصبح ذلك مضجراً وأحمق ، هذا غريبٌ جداً . هذا كل ما أستطيعُ أن أقوله لك .

فينيروفسكي ، برفقي لإيفان ميخايلوفتش : بالفعل ، هذه المحادثة مضجرة ، وإذا شئت أن تبتغني شيئاً فافعلْ ذلك بواسطة بيكليشوف ، ولا سيما أن ليس عندي وقتٌ حقاً . سأُنَبِّه بذلك .

ايفان ميخايلوفتش : لنذهبْ إذن إلى بيتي ، أنا تول دميتريفتش . نادهِ ولنذهبْ إلى هناك .

كاترين ماتفيينا : لن أعترف مثل هذه الخسة .

ايفان ميخايلوفتش : في الواقع ، هذا مضجراً ، لنذهبْ .
فينيروفسكي : سأُتبعك .

(ينصرف ايفان ميخايلوفتش وكاترين ماتفيينا) .

المشهد - ٦ -

بيكليشوف ، خارجاً من الغرفة الأخرى : ما هذه البنت ، يا صاحبي ، يمكن القول عنها إنها ورّشة . لا بد من تنحيها جانباً . لا بد من ذلك حتماً .

فينيروفسكي : لكن كيف ؟

بيكليشوف : أخشى شيئاً واحداً : أن يكون كل هذا المشهد خدعة ،
وأن تكون الآنسة المندفعة دودكينا قد دُرِّبَتْ على يد
المضطهدِ « الصَّفَّاعِ » .

فينيروفسكي : لا ، لقد تصرفَتْ هذه الآنسة ببساطة نفسها الغبية .

بيكليشوف : قلتُ لك : إنه ليس من خسة لا يُقدم عليها هؤلاء السادة ،
لكن الشيء الأسامي هو أن تكلفني الكلام على المهر مع
الأب - قلْ له ذلك في الطريق - أما الآنسة فأنا أعلم أن
الحاجة إلى الحب تنهشها . وينبغي أن نُطاقَ عليها شاباً .
حينذاك فقط ستتركك وشأنك . لنذهب . سأقمعهما
كأيهما .

فينيروفسكي : زوجٌ عملي ، نعم . هيه ! هيه !

ستار

اللوحة الثانية

« يُحْتَمَلُ المسرح الحديقة في أملاك بريبيشيف » .

المشهد - ١ -

« ماري فاسيلييفنا والمربية » .

المربية جَرَى كل شيء كما قلتُ لكِ ، يا صديقتي ماري فاسيلييفنا، كما قلتُ لكِ . إنه طالبُ زواجٍ حقاً . عبثاً كرّرت التبصير بالورق ، كان هناك دائماً ملك الديناري وبطاقة الزواج . وكانت كل الأوراق مرتّبة تبعاً لذلك .

ماري فاسيلييفنا : نعم ، يا نيانا ، ليس من السهل على الأم أن تفرقَ عن ابنتها . عندما قال لي ايفان ميخايلوفتش ذلك هذا اليوم . أحسستُ هنا (تُري قذالّها) . بما يشبه الضربة . رأسي يؤلمني . . . جلّتُ جولة ، لكنها لم تخفّف الألم . وأمامنا الجهاز والزواج ، وكم من الهموم مع ذلك .

المربية : ليس لكِ أن تهتمي بذلك . كل شيء جاهز ، عندك كل شيء .
ماري فاسيلييفنا : هناك شيء واحد : الخطيب لا يحبّ أن يرى الناس . كيف العمل ؟ ومع ذلك فمن المستحيل ألا ندعو الأهل . وهكذا فمن أجل عشاء اليوم بعثتُ أدعو سيميون بيتروفتش ، وماري وبيتروفنا ، والجميع .

المربية : لا يمكن غير ذلك ، يا صديقتي . وكأنك تريد أن تزوجها خلصة . لم تبدأ العادات بنا وإن تنتهي بنا . ليس الزواج مزحة . وأهلك ليسوا أقل خيراً من أهله . ماله يرفع رأسه علينا ؟ أَيْحَسْبُ نفسه أميراً ؟ وهو مع ذلك ليس تلك الشخصية العظيمة جداً .

ماري فاسيليونا : أنتِ تاومينه دائماً ، نيانا ، وليس ذلك حسناً . تذكرني أنه سيصبحُ زوجَ ليوبوتشكا . ولم يبقَ سوى أسبوعٍ وما أكبر شغفها به ! حتى إنني مندهشة من ذلك . هذه ليوبوتشكا ، هذه ليوبوتشكا ، وهي في ظرف سنة سيكون لها ليوبوتشكا صغيرة . وكيف تمَّ ذلك كله ؟ لا ، نيانا ، لا تغتايه . إنه حقاً رجلٌ عظيم الأهمية — هكذا يراه الجميع — وهو يعرف كل شيء ، وقد سافر إلى كل مكان ، وهو كاتب . على كل حال : مَنْ الذي لم يُغْتَبَ ؟

المربية : أمام ليوبوتشكا — أمام ليوبوف ايفانوفنا — لن أقول ، ذلك ، يا صديقتي . لكن مَنْ الذي سيقول لك ذلك غيري ؟ هذه الكبرياء سيئة ، وهي في غير محلها . وكأنكم فقراء . ما باله يتصنّع التكبر على أهلك ؟ لأنه كان في الخارج ؟ لكنك لن تجدي اليوم ، يا صديقتي ، ملائكة فقيراً لم يذهب إلى الخارج . « كنتُ في الخارج ، تأملوني ! » لكن كل الناس يذهبون إلى الخارج . ليس الأمرُ كما كان في الزمن القديم . أو : « أنا كاتب ! » يا لها من تحفة نادرة !

انظري إلى كاترين ماتيفينا . لقد عرفناها منذ الصغر ،
ألم تكن قليلة الفهم ، وبدون أية مهارة وأية مزايا ، ومع
ذلك ، فقد نشرت شيئاً ما ، كما قالت لنا مؤخراً . لا
تعجبي . الابن الثاني للشماس ، المطرود من المدرسة الدينية ،
قد نشر هو أيضاً . لا يدهش أحدٌ لذلك اليوم . ثم إنه لا
يملك ثروة ولا أهلاً . يُقال إن أباه سكير ، وأن الابن
لا يدعُهُ يدخل عليه . وتصرفاته . . . ما هذا ؟ نراه يدخل :
لا نُبل . إنه يريد أن يصطنع دائماً شيئاً على البدعة الجديدة ،
شيئاً خاصاً . وليس عنده ، على الإجمال ، شيءٌ ؛ حتى
عندما يقع له أن يمزح ، فإن المزاح لا يناسبه .

ماري فاسيلييفنا : آه ! نيانا ، لا تخوضي في هذا الموضوع ! ربما كان
ذلك قدرنا . هذه هي الحقيقة بعينها . لن يغير الكلام شيئاً .
هناك شيء واحد : أقبل يديك وقدميك ، استمعي فقط
إلى المربية ماري الشريفة الحبيثة ، اتبعي نصيحتي .

أطلبُ إليك ذلك ، بجاه الرب ، لا تعطيه شيئاً الآن ،
لا مالاً ولا أملاكاً . أليس كل شيء لك ؟ لا أحد يمكنه
أن يَمْنَعَكَ من ذلك . أعطي الجهازَ والفساتين والفرش
والمجوهرات ، أعطي كلَّ شيء ومن أحسن نوع ،
لكن انتظري قبل أن تعطي المال . فالرجل ، مع ذلك ،
مجهول . انظري أولاً إلى ما سيَطْلُعُ منه . سيكون لديك
الوقتُ الكافي لتعطيه . أنا أعلم جيداً ، أنك لن تحتفظي
بشيء لنفسك .

ماري فاسيلييفنا: ما أحققَ أحكامكِ ، نيانا ! كيف يكون ذلك
مكناً؟

المربية : اسمعي إلى الحمقاء مرةً واحدةً أيضاً . افعلي ذلك . أطلبُ
إليك أن تفعلي بجاه الله . لن يكون من ذلك أي ضرر .
ستعيشين معه شهرين أو ستة أشهر ، فإذا حافظ على احترامه
لحماته ، وإذا كان سليم الطويّة معها ، حينذاك أعطيه

ماري فاسيلييفنا : آه ! ما أغباك !

المربية : أتظنّين من الأفضل أن يأخذ المال ، ولا يبدي لك احتراماً ،
ويجعل ليوبوشكا بائسة ؟ ماذا أخذ يقول عنكم منذ الآن ؟
هو يراكم وكأنكم أدني منه . استمعي إلى ماشا الحمقاء ،
ولو مرةً واحدةً في حياتك ، وإلا ذرفت الدموع غزيراً ،
من الكأس إلى الشفتين (١) . . .

ماري فاسيلييفنا : ما أحققكِ ، نيانا . سأكلّم ايفان ميخايلوفتش .
سأكلّمه في ذلك حتماً ، ها هو ذا قد جاء .

المشهد - ٢ -

« ماري فاسيلييفنا ، المربية ؛ تدخل ليوبوتشكا ومعها الطالب . »

الطالب : قَمْنَا لَتَوْنَا بِجَوْلَةٍ لَا تَخْلُو مِنَ الْمُتَعَةِ .

ليوبوتشكا : ماما ، لمَ لمَ يأتوا ؟ ذهبْتُ إلى لقائهم . فلم يأتِ
أحدٌ . تبعني الكسي بافلوفتش ولم يكفّ عن الثرثرة .

(١) من الكأس إلى الشفتين : المثل الروسي المستخدم هنا هو : « الكوع قريب ، لكننا لا
نستطيع أن نعضه » .

الطالب : تعاطينا الضحك بمناسبة اللقاءات الريفية . واستمرت
أحاديثنا بشيءٍ من المتعة .

ليوبوتشكا : مالكَ ولهذا التكلف في كلامك ، شعبنا تكلّفاً ، تكلم
ببساطة أكبر .

الطالب : اذا بدتُ لك طريقتي في التعبير غير مُستساغة ، فتعالى إلى
الأرجوحة ، يا ليوبوف ايفانوفنا . وسوف أشرعُ في
التأرجح .

ماري فاسيلييفنا : لعلك تريد أن تتناول فطورك ، يا الكسي بافلوفتش ؟
الطالب : يمكننا أن نتغذى ؛ لا ضيرَ من ذلك ، يا ليوبوف ايفانوفنا
تعالى حقاً ، فقد ضجرتُ .

ليوبوتشكا : حسناً ! اضجرُ وحدك ، فعندي ما أفعله .

الطالب : عجباً ، عجباً ! تمرينات هامة ؟

ليوبوتشكا : عليّ أن أقرأ مقالةً أعطاني إياها أنا تول دميريفتش .

الطالب : عنأ . . .

ليوبوتشكا : لماذا تضايقني ؟ أنتَ تزعجني .

المرية : وما أغربَ هذا كله .

الطالب : وأنتَ أيضاً تزعجينني ، لكني أحترمُ جنسك .

ليوبوتشكا : يال هذه التصرفات !

ماري فاسيلييفنا : الكسي بافلوفتش ، يجب أن تعامل الآن ليوبا معاملةً
مختلفةً .

الطالب : تعلّمتُ هذه التصرفات من كتابٍ علمي ألّفه ييلوف
ونُشر سنة ١٨٦٣ ، في مطبعة سيركين ، بعنوان « التصرفات
الواجب إحداثها في أشخاص الجنس اللطيف أو فن إز صائه » .
ليوبوشكا : ماما ، اطرديه ؛ لمَ يُزعمجني ؟ حان وقتُ عملك مع
أخي . بيتروشا !

بيتروشا يصرخ من النافذة : ماذا ؟

ليوبوشكا : ادعُ الكسي بافلوفتش العدل . اذهبْ إليه . شيءٌ لا يُطاق
حقاً أنني لم أفلح منذ هذا الصباح في التخلص منك .
الطالب متضايقاً : غيّرتِ فجأةً طريقتك في معاماتي ، وأنا أجهلُ
لأي سبب .

ليوبوشكا : لا سببَ لذلك . انصرفْ ، وهذا كل شيء .

الطالب : كنتِ من قبل أكثر ميلاً إلى المخالطة .

المربية : هيه ! يا سيدي ، لو كنتُ أمّها ، لما سمحتُ لك أن
تكلمَ ابنتي أمامي هكذا . كنتِ سأعلمك الأدب .

ماري فاسيلييفنا : ماذا تقولين ، نيانا ؟ كفتي ، جئتُ . (للطالب) .
بالفعل ، لماذا تضايقها ، يا الكسي بافلوفتش ؟ اذهبْ إلى
غرفة بيتروشا ، سأرسل لك فطورك . وعلي أن أكتم
ليوبا .

الطالب بينه وبين نفسه : هذا الشخص اللبون مصابٌ بالغضب .
(لماري فاسيلييفنا) . حسناً ! الفطور لا يضرّ . أرسله .
(يفصرف) .

صوت بيتروشا : أرسلني لنا ، يا أمي ، شيئاً من الباليك (١) والخمر .
ماري فاسيليفنا : طيب .

المشهد - ٣ -

« المربية ، ماري فاسيليفنا ، ليوبوتشكا »

ليوبوتشكا : ماما ، ماذا ينبغي أن أفعل ؟ إنه يلاحقني أينما ذهبت ، ويحاصرني مثل ذبابة . . . قولي له أن يكف . . . أصبحت الآن مختلفة تماماً .

ماري فاسيليفنا : انتظري ، سيأتي خطيبك ، وسنعانُ اليوم الخطبة على الجميع .

المربية : يجب أن تبدئي بعدم المزح معه أبداً ، يأنستي العزيزة . ويكفي أن تُعطي هذا (تُري اصبعها الصغير) للناس الذين من جنسه حتى يأخذوا في الحال الذراع كلها . يجب ألا تتغنجي معه . لكن لتكن الأمور ، بالنسبة إليك ، فولاً أو حمصاً (٢) . . . اختلفتِ عن ذي قبل .

ليوبوتشكا : نيانا ، لكنني لم أتغنج قط . لعبتُ فقط مع بيتروشا ومعه . وهو كريبه . ولستُ أبادلُه كلمة . كل ما أفعله الآن هو أن أدرس وأقرأ الكتب التي حملها إليّ أناطول دميتريفتش ، لكنه لا يدعني وشأني .

(١) الباليك : ظهر الحفش المدخن . وهو من المقبلات الفاخرة .

(٢) فولاً أو حمصاً : يقول المثل الروسي : « كل كاهن بالنسبة إليك ، فهو أب » .

المربية : يجب أن تسلكي سلوكاً أسمى . أنت مُفَرطَة الطيبة . لو كنت مكانك لما سمحتُ لهذا الوغد بدخول بيتي . لكن انتظري قليلاً ، سأعلمه الأدب ! فهو لا يخشى أحداً في البيت غيري . يجب . . .

ليوبوتشكا : ماما ، أما زالت كاتنكا تجهل أنني مخطوبة ؟

ماري فاسيلييفنا : نعم ، يا عزيزتي ، أبوك ونيانا وحدهما يعرفان ذلك . أنتِ نفسك أردتِ ذلك ، لكننا ستُعلن ذلك للجميع اليوم .

ليوبوتشكا : لماذا لم يأتوا إذن ؟ هذا غريبٌ حقاً . ماما ، أليست شخصيته حسنةَ المنظر ؟ أليس كذلك ، نيانا ؟

ماري فاسيلييفنا : نعم ، وجهه معبّرٌ .

ليوبوتشكا : وما أذكاه ! ليتك تَسْمعينه وهو يتحدثني ! كم ستغضب كاتنكا ! على كل حال ، هي تستحق ذلك فهي تقول دائماً : إنني غير متطورة . الآن سأطور . وهو يقول : إنني تطورتُ كثيراً في خمسة عشر يوماً . تعلمين ، نيانا ، أنها مُغرمةٌ به . هي لا تقول ذلك ، لكنني أعرف . ها هم أولاء ، ها هم ! لا تبكي ، ماما ، أليس كذلك ؟ نيانا ، لا تبكي ، أرجوك . هو لا يحب البكاء ، ثم إن ذلك حمقٌ . كل هذا قديم ، كل شيء عندنا سيكون بحسب الأفكار الجديدة . أنتِ لا تفهمين كيف سيكون هذا ، نيانا . أنا مسرورةٌ جداً . هو ذكي . نعم ؟

ماري فاسيلييفنا : حسناً ! لتكن مشيئة الله ! لتكن مشيئة الله !

المربية : الواقع أنه لا بأس به .

ليوبوشكا : كيف « لا بأس » ؟ هو لطيف . نعم ؟

المشهد - ٤ -

« النساء أنفسهن ، يدخل ايفان ميخايلوفتش ، فينيروفسكي ، بيكليشوف ، كاترين ماتفييفنا ، تفير دينسكوي » .

ايفان ميخايلوفتش ، مقدماً بيكليشوف : بيير سيرغيفتش بيكليشوف ، صديق آنا تول دميريفتش .

ماري فاسيلييفنا : أنا سعيدة جداً ، أهلاً بك . (لفينيروفسكي) .
كيف الحال ، آنا تول دميريفتش ، كيف صحتك ؟
(تدخل البيت مع ايفان ميخايلوفتش) .

كاترين ماتفييفنا : أين الكسي بافلوفتش ؟ عندي شيء أريد أن أقوله له .
الطالب ، خارجاً من البيت : كنّا نتغذى مع بطرس ايفانوفتش .
بيكليشوف ، لكاترين ماتفييفنا : قدّمني ، من فضلك ، لطالبكم .
كاترين ماتفييفنا : أفهم رغبتك ، إنه الإنسان الحي الوحيد .
بيكليشوف : أنا سعيد جداً . (يشدّ على يده) ليتنا ننزّه قليلاً .
(يذهب الثلاثة) .

ليوبوشكا : لفينيروفسكي : لماذا تأخرت في المجيء ؟ ضجرت كثيراً .
قرأت مقالاتيك وحفظتهما .

فينيروفسكي : جيد . وأنا فكرتُ في أشياء تخصّك .

ليوبوتشكا : فيم فكرتَ ؟ أعرفُ ؟

فينيروفسكي : لا أعتقد ، ليوبوف ايفانوفنا . انظري ، بل إنني وضعتُ جزءاً منها على الورق .

(يمدّ إليها مقالته) .

ليوبوتشكا : لا ، أرجوك ، حدثني . أحبّ كثيراً أن تحدّثني .

فينيروفسكي : حسناً ! فكرتُ في آخر حديثٍ بيننا . فكرتُ في المرأة قاتلاً في نفسي : إن إحدى مهمات عصرنا الأساسية تحريرُها من العبودية البربرية التي تجدُّ نفسها مضطهدةً فيها .

ليوبوتشكا : نعم ، لماذا لا يجوز لها أن تتزوج مرة ثانية ؟ وأنا فكرتُ في ذلك . لو أنني مَلَلْتُ زوجي ، مثلاً ، وأنني لم أعد أحبه على الإطلاق . . .

فينيروفسكي : مع الأسف ! هكذا تشوّه شفاهُ الجمهور أعظمَ مذهبٍ لتحرير المرأة . ليس هذا هو تحريرُ المرأة ، هو لا يَكْمُنُ هنا . تحرير المرأة يقوم على مساواتها بالرجل ، وعلى أنها يجب ألا تظلّ منقادةً إلى الأبد لأبيها ، ثم لزوجها . على المرأة أن تظل ثابتةً على قدميها في المجتمع ، وأن تقوَى على النظر إلى المجتمع في عينيه مباشرةً .

ليوبوتشكا : لماذا تقول كاتيا دائماً : إنني غير متطورة ؟ أنا أفهم جيداً جميع الأفكار الجديدة ، وغيرها !

فينيروفسكي : نعم ، صعبٌ عليك إدراك فكري ، لكنني سأحاول
أن أعبّر لك بصورة مشخّصة ؟

ليوبونشكا : كيف قلتَ ؟ « مشخّصة » ؟ . . . وأنا أعرف أيضاً :
الطريقة القياسية . ثم إنني أعرف غير ذلك . . . كمثل
ما كنت تدّوي قوله .

فينيروفسكي أحب أن أبرهن لك بمثلٍ علامٍ تقوم حرية المرأة
الحقيقية . لو كنتُ أحد هؤلاء السادة المتخلفين الذين
يسودون مجتمعتك ، أو لو كنتُ تحريراً سطحياً لاعتبرتُ
أنني سأنال حقوقاً على شخصيتك عند الزواج بك ؛ ولخضعت
لي وخضعتُ لك ؛ ولما استطعنا أن نأتي بحركة دون أن
يجرح أحدنا الآخر . لو كنتُ مريضاً مثلاً ، وأنت تنفرين
من رؤية الألم ، فأنت مضطرة أن تظلي بقربي ، حوِصلتك
الصفراوية ، أو حوِصلتي لا تصبُ عصارتها في المعدة ،
ومع ذلك يجب أن نظلّ معاً ، نتألم ونتخاصم . أو إنني
أريد أن أستخدم مالي في شراء الكتب ، وأنت ، لِثِقَلٍ ،
في شراء . . .

ليوبونشكا : آلة خياطة مثلاً ، أو أية آلة . هذه هي الأشياء التي ،
سأشترىها دائماً ، أما فستان المخمل الأسود فلن أشتريه .
كنتُ أشتهيهِ كثيراً . فالأقمشة الثقيلة تناسبني . ما رأيك
إذن ؟ أحب الاستماع إليك كثيراً .

فينيروفسكي : أنتِ ترين إذن ما الأهم في الزواج ، هو حرية
الطرفين واستقلالهما .

ليوبوشكا : آه ! فهمتُ هذا . سيكون رهيئاً عليّ أن أفكرَ أنك ستأمرني .
شعبتُ من المُرِّيَّات . كان عندنا مربّيةٌ ، ساره كارلوفنا (١) ،
لم ترها أنت هنا . آه ! كم كانت مزعجةٌ . لو كنتُ أعلمُ
أنك ستأمرني لما تزوّجتُ . أحسّ بالبهجة وذلك لأنني
أعلم أننا إن لم نكنْ بالتحديد كالأغرباء ، فسنكون متساويين
... آتيت زائتسيفا ، رأيتهما عندنا - صديقتي ، لكنها
غير متطورة حقاً ، لا همّ لها إلا قراءة الروايات ... وهي
تقول : يجب ان تتزوج فقط عندما نحب . كأننا نستطيع ان
نحب متى شئنا ! والتصنّعُ حقيرٌ ، اليس كذلك ؟ بينما
لو كنّا متساويين ، فالأمرُ حينئذٍ سهلٌ . هؤلاء الناس
لا يفتنون بحلمون ... كيف يمكننا ان نَعشَق بناءً
على الطالب ؟

فينروفسكي : نعم ، ليوبوف ايفانوفنا ، الحبُّ ليس سوى لفظةٍ ،
عند فتياتٍ من نوع صديقتك . سننظّم حياتنا بطريقةٍ
لا تُعيق حريّة كل منا . بارادتنا نستطيع ان نتّحد ، فاذا
مللنا استطعنا ان نفترق دون ان يضايق أحدنا الآخر .
ثم إن حياتنا يجب ألا يكدرها أي رأي من الآراء المسبقة .
وإذا رأيته فجأةً ، أو إذا رأيته أنا ، أن من الشاق
العيشَ معاً ، فينبغي أن يكون لنا الحقُّ في أن نفترق
دون لومٍ ودون جفاء . كل هذا جديدٌ ، لكنه بسيط .

(١) ساره كارلوفنا : ألمانية أو انكليزية .

ليوبوتشكا : ممتاز ! رائع ! فهمتُ ذلك كله . لا ، أنتَ تظننني غبيةً ؟ كاتنكا قالت لي كل شيء . وكنتُ أظنّ ذلك أنا نفسي . لكنني أرى أنني ذكيةٌ ، في الوقت الحاضر . فهمتُ كل شيء بسرعة . فما أن تبدأ الكلام حتى أعرف سلفاً ما الذي ستقولهُ . صحيح !

فينروفسكي : الحقيقةُ بسيطةٌ ، وهي بهذا تتميز عن الكذب . طبيعتكُ خيرةٌ ، فأنت تعلمين بسرعة .

ليوبوتشكا : تبدو لي الآن حياتنا القديمة جدّ مضحكة . أما عندنا فسيكون كل شيء متميّزاً ، مع الأفكار الجديدة . من أجل ذلك أحبّك .

فينروفسكي : لا شيء يبهجنني أكثر من هذا الذي تقولينه ، ليوبوف ايفانوفنا . وسطكُ كله يبدو لك مضحكاً ، وعمّاً قريب سيبدو لك حقيراً ، وسيكون ذلك حينئذٍ شيئاً ممتازاً . تعلمين أن العقبة الأولى في وجه تطوّر الفرد ، ولا سيما أنتِ ، هي العائلة . كل إمكاناتك حسنة . لكن الذين يحيطون بك هم أدنى من أخطّ مستوى . الشخصية الإنسانية الوحيدة بينكم هي كاترين ماتيفينا ، لكنها هي أيضاً ، ولأسبابٍ تعرفينها ، تكره الجميع ، أما الآخرون ، فهم الوحل الذي يوسّخك . . .

ليوبوتشكا : ولمَ ذاك ؟ بابا ذكيّ ، وهو يتعاطف مع الأفكار الجديدة ؛ ماما أقلّ . . . لكنها طيبة جداً . وهي تحبني كثيراً . وبابا يحبك كثيراً . . .

فينيروفسكي : عنهما يجب عليك أن تبتعدي . نعم . أنْ يُحبَّاك ،
شيءٌ مفهومٌ . كل رجل سيء ، مهما يكن سيئاً ،
يرغب في أن يتقربَ من الإنسان الشريف . لكنْ نحنُ ،
لماذا نحبّ ما هو خبيث ، وما يفوحُ عفنه ؟ يجب أن
تبتعدي عنهما ، نعم ، أن تبتعدي عنهما .

ليوبوتشكا ، متقلبة : لا تتكلّم هكذا ! لا أحب ذلك ، لا أحب ،
لا أحب !

فينيروفسكي : انظري إليهم فقط كأجانب ، لا يمكنك مع ذلك أن
تجديهم جذابين .

ليوبوتشكا : لا أحب أن تتكلم هكذا ، لا أحب ! إن قلت لي هذا
مرةً أخرى ، فلن أحب الأفكار الجديدة ، وإذا ما
تزوجتُك ، فسوف أعيشُ على طريقتي ، لا على طريقتك .
وستستحقّ أنت ذلك !

فينيروفسكي : وكيف ستكون طريقتك ؟

ليوبوتشكا : انظر كيف : سندهبُ إلى موسكو ، وسنستأجر بيتاً ،
أجملَ بيت . وسأفصلُ فستاناً من المخمل الأسود وفستاناً
من الحرير غير الصقيل . في الصباح نذهب في نزهة ،
ثم نتغدى عند عمتي ، ثم أرتدي فستاني الأسود ونذهب
إلى المسرح ، إلى مقصورة فيه . ثم أرتدي فستاني الآخر
ونذهب إلى الحفلة الراقصة ، في بيت اشبيني ، ثم نعود
إلى البيت وسأروي لك الأشياء ، ولن أقرأ كتاباً . سأحبك ،
سأحبك كثيراً ولن أمنحك أية حرية . لأنني إن عشقتك

فسوف أنسى كل شيءٍ ما عداك . ماما كانت هي أيضاً
كذلك ، وأنا أشبهها كثيراً . وسترى كم سيكون هذا
ممتعاً . ستري .

فينيروفسكي : لكنك لن تفعلي هذا إلا إذا استمررتُ في كلامي .

ليوبوتشكا : لا ، سأفعل ذلك بالتأكيد . أنا غاضبة .

فينيروفسكي : وبهذه الطريقة ستُحبِّبيني ؟

ليوبوتشكا : سأحبِّبك إن كنتَ لطيفاً . إنني لم أحب قط ، إلا مرة
واحدةً أحببتُ قليلاً . لكن تلك المرة لا حسابَ لها .

فينيروفسكي ، يأخذ يدها وهو يتسم ويتردد في لثمها : نعم ، العيشُ
هكذا . . . لكن . . . لا بد لذلك من موارد ، ثم نسيان
المبادئ .

ليوبوتشكا : لا تنفَوْه بحماقات . (تقرب يدها من شفثيه وتشدّ على
وجهه) . هذه تفاهات .

فينيروفسكي : يا حلوتي الصغيرة .

(يريد تقبيلها) .

ليوبوتشكا : لا تقل : يا حلوتي الصغيرة ، هذه كلمة بشعة ، خبيثة ،
حمقاء .

فينيروفسكي : لماذا كانت هذه الكلمة كريهةً عليك ؟ يا ساحرتي ،
اذن . . .

ليوبوتشكا : لا أستطيع أن أشرح لك ذلك . . . ليست حسنة ، وهي
مزعجة . حلوتي الصغيرة ! . . . هي مُقرّفةٌ ، ولا أدري

لماذا . أنت لا تحسن الملاحظة . (تبستم) . لكنني سأعلمك .

هي مزعجة ، ولا أدري كيف أعبر لك . . .

فينيوفسكي : اوه ! كم هي فائنة ! إنها متعةٌ فنيّة ! . . . أنا أهذي ... ما أغباني ... طبعاً . أعجبْتُكَ إذن ، يا ليونيكَا ؟

ليوبوتشكا : نعم ، لكن لماذا تمشي وكأن ساقيك مريضتان ؟

فينيوفسكي : ما الحماقات التي قلتُها . (ينهض) لا ، ليوبوف ايفانوفنا ، يجب أن ننظر إلى الحياة بجِد أكبر . لنجُلْ جولةً في الحديقة . . .

ليوبوتشكا : هيا .

(يذهبان فيصادفان بيكيلشوف) .

بيكيلشوف ، بهدوء لفينيوفسكي : أرأيتَ ، يا صديقي ! تمّ الأمر ! مالت الآنسة إلى الطالب ميلاً شديداً بحيث صار يصعب الفصلُ بينهما .

(تلخل ماري فاسيلييفنا وإيفان ميخايلوفتش) .

إيفان ميخايلوفتش ، لبيكيلشوف : أنا مسرور لأن أناطول دميتريفتش كلّفك أن تتحدث معي عن الشؤون المالية . سأعرضها عليك ثم تنقلها إليه . أنا أفهم جيداً أناطول دميتريفتش . فهو نبيل التهذيب ، رقيق الحساسية حتى . . .

بيكيلشوف : بلا ريب . وأحب أن أقول لك : إنني رجلٌ عمليّ ، لكنني أفهم نفور فينييوفسكي من هذا الحديث . هناك ناس طيّبو القلب يفسّرون كل شيء بالعكس . . .

ايفان ميخايلوفتش : طبعاً ، طبعاً . ونستطيع أن نهتم بذلك الآن ، لأن المدعوتين سيصاون بعد ذلك . . . إن ثروة ليوبا تأتيها من أمها . . .

ماري فاسيليفنا : آمل ، يا جان ، ألا تقرر شيئاً بدوني . أنا الأم والثروة ثروتي .

ايفان ميخايلوفتش ، مندهشاً : ماذا تقولين ، ماري فاسيليفنا ؟
(برفق) . أنت مريضة ؟ تحدثت معك سابقاً ، على ما يبدو لي .

ماري فاسيليفنا ، بغضب مفاجيء : أظن أنني أنا الأم ، وقبل أن تقرر كل شيء مع الغرباء ، ينبغي أن يكلمني هؤلاء . صار يقال : إنني لا يُحسبُ لي حساب ولا قيمة لي . الثروة ثروتي ولن أترك شيئاً يُعطي دون موافقتي . لن أُعطي إلا متى شئت . يبدو لي أنه يجب طلبُ إذنٍ أصولُ اللياقة أيضاً تتطلب ذلك . أليس كذلك ، يا سيدي . أصول اللياقة وحدها على الأقل تتطلب ذلك ، اسأل السيد .

ايفان ميخايلوفتش : هذه مفاجأة ! مالك ؟ راجعي نفسك . فكّري فيما تقولينه أمام الغريب !

ماري فاسيليفنا : أنت الذي لعله لا يعرف ما يقول ، أما أنا فأعرفه جيداً . الجميع يؤكدون أن الخطيب شخصٌ مجهول .

ايفان ميخايلوفتش : مجهول ! من فضلك ، لا تنفوهي بحماقات .

بيكليشوف : كل هذا غريب جداً ، إذا لم تقل أكثر من هذا .
ماري فاسيلييفنا : لا ، كبحث نفسي كثيراً . الجميع يقولون : إنني
آخر شخصية في البيت . سأعطل الزواج .

ايفان ميخايلوفتش : لكن ما بك ؟ لماذا ؟ ماذا تريدن ؟
ماري فاسيلييفنا : لماذا ؟ لأنني لا أعرفه . ولست آخذُ عايه شيئاً .
ولست حاقدةً عليه . لكنني لن أعطيه شيئاً قبل الزواج .
فولوكولا مسكوي (١) لي . بعد ذلك ، سأرى : إذا أبدى
احترامه لي فسوف أعطيه إياها ، وإلا فإن أول كاتب عابر
سبيل يمكنه . . .

ايفان ميخايلوفتش : يأخذ يدها بقسوة : كفى . تعالي . ستحدث
هناك .

ماري فاسيلييفنا خائفة : لن أقول شيئاً ، جان ، لن أذهب ، دعني
بحاه السماء . لن أقول شيئاً بعد الآن .

ايفان ميخايلوفتش ، لبكليشوف : أنت ترى ، هذه نزوة غريبة ،
لكنك تدرك أن لا أهمية لذلك . وأرجوك ألا تقول
شيئاً عن ذلك لآنا تول دميتريفتش .

بيكليشوف ، بادي التفكير : أدرك جيداً ، بل لعلني أدرك أكثر مما
ينبغي .

(١) فولوكولا مسكوي : اسم مكلية ماري فاسيلييفنا .

المشهد - ٦

يدخل المدعون ، بينهم سيّدة تتبعها ليوبوتشكا وفينيروفسكي .

المدعو الأول : عرّفنا للتوّ . يا للمفاجأة ! تهانينا الصادقة .

السيد : ما أعظم فرحك ، ماري فاسيلييفنا .

ايفان ميخايلوفتش : أنا ممتنّ جداً ، جداً .

ماري فاسيلييفنا : نعم ، مفاجأة . ها هما الخطيبان ، وأنا أقدمهما لكم .

فينيروفسكي يقف : وينظر إلى المدعويين وهو بادي التجهّم :

نعم ، يا ليوبوف ايفانوفنا لا بد من الحبّ الجمّ حتى أقبل

بالمهمة التي أنهض بها ، ولا بدّ من الإحساس بالرغبة

الشديدة في انتشالك من هذه الهوة وفي انقاذك ، لا بد من

ذلك حتى أقبل بالخضوع لهذه التفاهة الخفيفة والمثيرة .

انظري : فمع هؤلاء الناس يُراد مني أن أقيم علاقات !

ليوبوتشكا : وماذا يتصيرُك من ذلك ؟

ايفان ميخايلوفتش : ها هو ذا . (لفينيروفسكي) هذا عم زوجتي ،

وابن عمي . أقدمك .

المدعو الأول : اسمح لي أن أقدم نفسي كقريب مقبل ؛ تهانيّ الصادقة .

(يمد إليه يده) .

السيدة : أنا سعيدة جداً ، جداً بالتعرّف إليك . سمعت الناس

يتحدّثون عنك كثيراً . ليوبا ، تهانيّ .

(فينيروفسكي يُحيّي ، يضع يديه وراء ظهره . يدير ظهره
ويبتعد نحو بيكيلشوف) .

المدعو : تَبَّالْه ، يا له من قليل الأدب !

السيدة : ما هذه التصرفات الغريبة مع الأهل !

فينيروفسكي ، لبيكيلشوف : ما أسرع ما يدستون أيديهم ! يجب
أن تُخرسهم . . . هذا أحسن ما يلائمهم .

(يتحدثان بصوت خافت)

ايفان ميخايلوفتش : تفضّلْ وادخل الصالون ، على كل حال ، حان
وقتُ الجاوس إلى المائدة ، سنبارك الخطيبين . . .

الدهور : إذن ، هل وجدتَ مديراً للأعمال ، ايفان ميخايلوفتش ؟

ايفان ميخايلوفتش : آه ! لا تخض في هذا الموضوع ، فأنا متألم جداً .

(ليوبا ، ماري فاسيلييفنا ، ايفان ميخايلوفتش ، والمدعوون ،
يدخلون البيت) .

المشهد - ٧ -

« بيكيلشوف وفينيروفسكي » .

بيكيلشوف : القضية سوّيتُ على أحسن وجه مع الآنسة دودكينا .
أُثْنيتُ عليها وعلى الطالب ، فقامت إليها بوجهه بالحب
وربطتُهما أحدهما بالآخر حتى ليتعدّر الفصلُ بينهما .
هذه إذن قد قمعتها . أما فيما يتعلّق بالعلاقات المالية
فالأمر سيئة جداً . الأمُّ تريد أن تمسك بزمامك وأن

تنتظر دليل احترام زوج ابنتها . . . الطريقة معروفة .
ثم إن الأب سيء ، في رأيي . . .

فينيروفسكي : الأب يتنلّل . من أجل هذا فقط يمكن أن نغفر له
كثيراً من الأشياء .

بيكليشوف : لو كان يتنلّل تذللّاً كاملاً لكان ذلك حسناً ، لكن هذا
المشهد ، برأيي العملي ، مُثَلّ تمثيلاً ، وقامت الأم بدور
الغبيّة عن قصد . إنها ذلك الشريك الوحشي الذي لا يراه
أحدٌ والذي يضايقُ الآخر في كل شيء . على كل حال ،
لقد قمعت من هم أدهى منها .

فينيروفسكي : مزعجة هذه الحفلات الحمقاء التي علي أن أتحملها ،
في حين أن القضية ملتبسة جداً .

بيكليشوف : ديه ! وكأن هذه الحفلات تفرض عليك التزامات !
قلتُ لك : أنت مثاليٌّ ، تخشي دائماً أن تسيء التصرف .
دع هذا المهم . لا الشريف ولا اللئيم موجودان عند
هؤلاء الناس . وإلاّ كنتَ المخدوع دائماً . انظر إلى الأشياء
ببساطة . إذا كان عليك أن تُنقذ صديقاً من مغارة لصوص ،
فهل تخشى أن تتخدع هؤلاء اللصوص . والأمر كذلك
معهم . كل شيء متوقف على واقعة الزواج وإلا فسوف
يُقمع الشيخ ، قبل هذا اليوم المشهود على الأقل ، على
يد خادملك المتواضع . لا تهتمّ بذلك . كل شيء سيتم على
أحسن وجه . أقسم لك . هيّا إذن .

(يدخلان البيت . يسارع الخدم إلى النوافذ) .

المشهد - ٨ -

« يدخل الطالب وكاترين ماتيفينا » .

الطالب : ما هذه الحركة ؟ أمي فضيحة صغيرة تحدث ؟

كاترين ماتيفينا : رسولُ حرية المرأة يتزوج صبيّةً ، نعم صبيّةً تافهة ، وغير متطورة . انظر أين يظهر ضعفُ المبادئ .

الطالب : هذه مفاجأةٌ حقاً .

كاترين ماتيفينا ، تنظر من النافذة : انظر ، انظر ، الناسُ يباركونهما ، وهما يركمان . أجدُ هذا مفرط الخسّة ، مفرط التحقير للكرامة الإنسانية .

الطالب ، ينظر هو أيضاً : سنيورٌ حقيرٌ ، لقد عبرتُ لكِ عن رأيي ، لكذلك لم تكوني تشاطرينني إياه .

كاترين ماتيفينا : لا ، اسمع ، هذا مُقرفٌ ، أليس كذلك ؟

الطالب : نعم ، هذا هو التطور الناقص . يا له من متحرّر صغير في دائرة الرسوم .

كاترين ماتيفينا ، ناظرةً دائماً : وهما يتعانقان : أية علاقات

حيوانية ! نعم ، عندما نرى هذا الدلّ ، فمن السهل أن

نفقد إيماننا بالتقدّم . هذا درسٌ لك ، يا الكسي ،

بافلوفتش . لكنني فوق ذلك . نعم ، الكسي بافلوفتش ، أنت

الطبيعةُ الشريفة الوحيدة بين هؤلاء الأوغاد . أنا أقدرُك .

الطالب : نعم ، لكن ، لو كان عندنا المزيد من النساء مثلك ! ومع

ذلك فقد أقاموا هنا احتفالاً رائعاً .

ستار

الفصل الثالث

اللوحة الأولى

« شقة بريبيشيف في مركز المقاطعة . الخدم يرتّبون مائدة الاحتفال » .

المشهد - ١ -

« ايفان ميخايلوفتش ، ماري فاسيلييفنا ، المربية ، نيكولايف وهو ملاك ريفي ورجلٌ ضخمٌ له شاربٌ » .

ايفان ميخايلوفتش : وهل لبستُ الخطيئة ؟ لقد آن الأوانُ ، وتجاوزت الساعةُ السادسةَ .

نيكولايف : نعم ، يا ايفان ، لولا حبيّ لك لما رضيتُ بأن أحضر هذا الزواج . وأنا أحضر من أجلكَ فقط . لا أُحبّ هذا السيد . وما هذه الطريقةُ في التصرف ؟ انتظرنا مرتين دون أن يُطلّ علينا . ما هذا ؟ لا يأتي ليتعرّف إلى أئارب خطيئته ؟ وهل يحقّقرّنا إذن ؟

ايفان ميخايلوفتش : آه ! ما هذا الكلام ؟ ماذا تريد منه ؟ ليس له أهل يعلمونه العادات ، ثم هناك همومُ الزواج . . . فالزواج ليس مزحةً ، ولا بدءاً من شراء كل شيء ،

وترتيب كل شيء . ولعل الوقت لم يُسْعِفْهُ . أنت . منزعج جداً . أنت رجل طيب ، لكنك سريع التأثر .

نيكولايف : لا ، يا صديقي ، لا تَعُدْرُهُ . . . لو كان ذلك مرة واحدةً لقبلنا ، لكننا انتظرناه أمس حتى السادسة . كان يجب أن يُعلمنا بأنه لا يريد أن يتعرف إلينا باعتباره سيداً عظيماً — كنا عاحنا بذلك وكنا جلسنا إلى المائدة منذ الرابعة ؛ على الأقل ، ما كان الطعام ليُسَخَّن من جديد . لا ، يا عزيزي ، لا أحب الانتظار .

ايفان ميخايلوفتش : اوه ! تفسيرك ظالم . لم يكن قصدهُ سيئاً . . . فهو رجلٌ مرموقٌ ، ذكي ، متعلم . . . وعندما تعرفه معرفةً أفضل فسُتغيّر كلامك . كنت أقول الشيء نفسه قبل معرفتي به . كلُّ ما في الأمر أن عائقاً عاقاً . . . ثم يجب أن تأخذ بعين الاعتبار ، يا صديقي ، أن الزمن تغير ، فلم تعد الأمور كما كانت في أيامنا ، تغيرت شروطُ الحياة ، وبليت كثيرٌ من العادات .

نيكولايف : تذكّرْ كلماتي . ستُلاقي متاعب في هذا اليوم بالذات . . . ماذا تقول ؟ منذ هنيهة فعل الشيء نفسه : كان عليه أن يأتي ليأكل الفطائر ، وانتظرناه حتى الساعة الثالثة . ومع ذلك فلم يأت ، وأكلنا فطائر حامضة . تذكّرْ كلماتي . بل إنني أتساءل ، يا صديقي ، (يأخذه على حدة) . إن كنت لم تاحق به غُبْنًا فيما يتصل بالمهر . قل لي الحقيقة كاملة . هل أعطيته شيئاً ؟ أو أنك لم تُعطه بعد ؟

ايفان ميخايلوفتش : أعترفُ لك ، يا صديقي ، أنه لم يطلبُ مني شيئاً . في البداية ، حدثتُه عن ذلك ، لكنه أبى الحديث . وحدثتُه مرةً ثانية فكانت النتيجة نفسها ، وأجابني : لا حاجة بي إلى المال وبعد ذلك ركبْتُ زوجتي رأسها . . . حيثُ صممتُ أن أُؤجل . قلتُ في نفسي : هو يعلم أن ليس عندي سوى بنت وأنني سأخصّص لها أملاك فولوكولامسكوي ؛ سأرى كيف سيعامها ، ويمكنني أن أعطيه هذه الأملاك . أما الجهاز فأستطيع أن أقول : إنه تام .

نيكولايف : الجهاز ليس شيئاً ، يا صديقي ، ليس سوى خرقٍ . هؤلاء الشباب الأشداء اليوم يحبّون المال أكثر ممّا نحبّه ، ولا سيمال المالَ فقداً . ليس هذا حسناً ، فقد يخذلك خدعةٌ خبيثة ؛ ستري .

ايفان ميخايلوفتش : يا للغباء ! لكن انتظر ، أي « ماذير » سأذيقك إياه ، خمر معتقة منذ عشرين سنة — مُتعة !

نيكولايف : دقيقة ، اشرح لي كيف سيتم الاحتفال . هل سيكون حسب التقاليد ؟ نقودُ العروس إلى الكنيسة — وبعد ذلك ؟

ايفان ميخايلوفتش : بعد ذلك ، ستذهبون إلى بيته ، بدون والدي العروس طبعاً ، حسب العادة . ومن المحتمل أن يقدم لكم الشاي . . . كما تعلمُ ، والسكاكر ، والفواكه للفتيات ، ثم الحساء في أقداح ، والسمك وليلةٌ عزب

وتحضرون سفرَ العروسين . وسناً كل ونشرب على صحتهما . . . وأي « ماديير » ، أيّ خمر هنغاري ! ليتك تعلم . أبي جاء به من إحدى حملاته منذ خمسة وأربعين عاماً . . . وأخيراً نقدّم العربية . . . ونضع فيها الجهاز ، ونبارك العروسين ، وسيسافران إلى الخارج ، إن شا الله .

نيكولايف : يا لهذا الابتكار الأحمق ، وإن يكن انكايزيّاً ! الإنكليز ، على العموم ، يبتكرون بعقل ، أمّا ما تفعله هنا فهو غباء ! كيف يجوز السفرُ بعد الزواج ؟ هذا جائز لك لأنك تملك عربيةً فخمةً ووصيفةً وغير ذلك ، لكن كيف تكون الحال عندما يكون الناس فقراء ؟ هل يسافرون في عجمالة وبدون خدم ؟ . . . ثم ، بدلاً من أن نترك للعروس الوقت كي يذهب عنها روعُها ، تصرخ بها : حا ! دي ! تقلّقلي ! . . . هذا حُصق !

إيفان ميخايلوفتش : ما الحيلة ، يا صديقي ؟ هذه هي البدعة الجديدة . لكنّ في هذه البدعة شيئاً حسناً . (يدخل الخادم حاملاً أواني فضيّة وصحوناً) . ما الأمر ؟ أرسلته إلى بيت العريس ليحمل هذا كله . . . فالعزبُ ، كما تعلم ، قد يحتاج إلى شيء من ذلك . . . (للخادم) . ما الأمر ؟

الخادم : قال : « لا حاجة بي إلى هذا » .

إيفان ميخايلوفتش : مَنْ الذي قال هذا ؟

الخادم : السيد نفسه خرج وقال لي : لا حاجة بي إلى هذا ، أرجع سماتك .

ايفان ميخايلوفتش : أرأيت ، عنده كل ما يلزم . لا بد أنه حصل على ما يكفيه . وكيف لا يُرهقُ شابٌ بالعمل ؟ (تَمَرَّ خادمة) .
ماذا ، ألم تَنْتَه العروس بعد ؟

الخادمة : ما زالت ترتب شعرها .
(تنصرف) .

نيكولايف : وهل أهداها هديةً ؟ مجوهرات ، أو شالاً ، جرياً
على العادات ، كما تعلم .

ايفان ميخايلوفتش : هيه ! مَنْ الذي يهدي هدايا اليوم ؟ ثم ماذا
يعطي ؟ الحب هو الثمين لا الهدية . أعطاها مقصاً ، أعتقد...

نيكولايف : تستطيع أن تبصق في وجهي إن لم تحدث اليوم فضيحةً
مُخزّية ! ما هذه البدعة التي تتحدث عنها . لا يتزوج
المرءُ كلَّ يومٍ مرةً ، أليس كذلك ؟ إن كان هذا لا
يرضيه ، فليُرَضَّ الفتاة على الأقل . . . هذا مُقَرَّحٌ لها .
ما هذا المقص بأربعة فلوس ؟ . . . لا معنى له . . . لو
ذهبتُ إلى النساء . . . آم ! هذا هو الوصيف .

المشهد - ٢ -

« يدخلُ الوصيف » .

ايفان ميخايلوفتش : وهل جاء العريس ؟ نحن جاهزون . ليوبوتشكا ،
انتهيت .

صوت ليوبوتشكا : أنا آتية .

الوصيف : هو بالسترة الرسمية .

ايغان ميخايلوفتش : كيف ؟ ما هذا ؟ يجب أن تقول له أن ليوبوتشكا سترتدي ثوب الزفاف الأبيض ، اذهب وأخطره بسرعة .

نيكولايف : قلتُ لك : ستحدثُ فضيحةٌ .

(يخرج الوصيف) .

المشهد - ٣ -

« تدخل ماري فاسيلييفنا ، المربية ، ليوبوتشكا ، بطرس ، الآنسات والخادمة » .

ليوبوتشكا : أنا جميلة ، بابا ؟

الآنسة الأولى : كم تناسبُكِ أزهار البرتقال . ستُعطيني واحدةً من إكليلكِ ، إذا شئت .

الآنسة الثانية : ماذا ، هل ستضعين شالَ العروس ؟

الآنسة الثالثة : كيف يهوز هذا ؟ شيء ماون مع ثوب العروس ؟

الآنسة الأولى : لكن بما أنه بالسترة الرسمية .

الآنسة الثانية : شيء لا يُصدّق !

ليوبوتشكا : سأحاول ، لأنه طلبَ ذلك مني . يجب أن أضعه . (تلدور أمام المرأة) . لا . مستحيل . وسأضعه في جيبتي .

الوصيف : انتظروا . . . باركوها . . .

نيكولايف ، يباركها ويقبلها في جبينها : لِيَسْعُدْكَ اللهُ السَّعَادَةَ .
ما أَجْمَلُهَا !

(ليوبوتشكا تقبل الجميع . النساء يبتكين) .

المشهد - ٤ -

« يدخل الطالب وكاترين مانيفينا ويقفان بصمت » .

ايفان ، ميخايلوفتش : لِيُسْعِدْكَ اللهُ ! . . . كَفَىَّ عَنِ الْبُكَاءِ ، نِيانا ،
هنا غباء . . .

المربية ، باكية : لن أراك ، يا شهيدى ، بعد الآن أبداً .

ليوبوتشكا ، للوصيف : انتبه ، لا تضع الإكليل (١) على رأسي .
بيتروشا ، ضعه أنت على رأسه .

ماري فاسيليفنا : لا تنسني أن تضعي قدمك قبله على السجادة . هل
أخذتم الشموع ؟ نيانا ، خذي هذه النقود . . . ارميها عند
أقدامهما . . .

المربية : سنفعل كل شيء . . .

نيكولايف : أنا واثق من أن القضيحة ستقع .

ايفان ميخايلوفتش : حسناً ! لنقدّم الشكر لله . . . والآن ، يجب أن
نعدّ كل شيء . . . لم يحن أوانُ الوداع بعد ، أليس كذلك ؟

(يخرج الجميع واحداً واحداً ، ما عدا الطالب وكاترين مانيفينا)

(١) لا تضع الاكليل : اثناء مراسم الزواج .

المشهد - ٥ -

« كاترين ماتيفينا والطالب » .

كاترين ماتيفينا : نعم . ما يزال يوجد أفراد لم يتأثر وجدانهم إن صح القول ، إلا بأطراف المفاهيم الجديدة ، دون أن تنفذ هذه المفاهيم إلى دمه وحسهم . لقد أخطأت خطأ شديداً في فهم هذا السيد .

الطالب : ذلك لأننا لا ينبغي أن نصدق الكذب إذا شئنا ألا نقع في الخطأ ، كما كان يقول أستاذنا في علم النفس . إن هذا لنو طبيعة تافهة . هذه هي النقطة الأساسية .

كاترين ماتيفينا : اسمح لي ، اسمح لي ! كيف تُفهم هذا الحدث ؟ كل إنسان مُفكّر لا بد أن يعلم أن الانجذاب الذي تشعر به نحو الجمال ليس سوى مظهر منحط للطبيعة البشرية . فكيف يمكن لشخصية مثل شخصية هذا السيد ألا ترى بشاعة هذا الموى كلها ، وعمق هذا التردّي كله ؟ كيف لم يدرك أنه لا مجال لنهوض مَنْ وَضَعَ قدميه في هذا الوسط ، وخضع لأحكامه المسبقة ، وتنفّس هوائه القاتل؟ ومع ذلك فهو يفهم حرية المرأة . وأنا أملك أدلة ...

الطالب : هو ، بأعماق طبيعته ، سنور تافه . هذا كل شيء . كفتني نظرة "خاطفة" ألقيتها على هذا الرجل لأنك أد من أن كل شيء فيه زائف . مهما قلت فإن رجلاً يعمل في دائرة الرسوم ، ويملك شقة وعربة ، ويحصل على

مرثب يبلغ ألفي روبل ، لا يمكن أن يكون رجلاً حديثاً ؛
إنه « سنيور » جديد ، هذا كل شيء . وكيف لا ! وقد
قال أمامي ذات يوم : إن الطلاب صبيّة ! . . . هذه
هي فكرة هؤلاء السادة ! كل هذه الجماعة الكريمة تافهة
لا قيمة لها ، يا صديقتي المحترمة ! شبتُ من ذلك كله !
يجب أن أذهب إلى موسكو .

كاترين ماتيفينا : نعم ، لقد نفذت إلى طبيعته بحدّ سدك الغضّ
خيراً مني . تذكرتُ الآن أنه قال لي : إن المنعكسات
ضارة ! سيّد تافهة . . . وينحطّ هكذا بزواج مسرف
في تفاهته ، تحيطُ به رموز التفاهة ! والزواج بسن ؟
بشخصية تافهة .

الطالب : هيه ! لا، البنتُ ليست سيئة . . . كان بوسعها أن تتطوّر
أكثر . ففيها إمكانيات . . . لكن الوسطَ حطّمها . إني
أضجرُ ، وسأسافر إلى موسكو . . . سأحضر المحاضرات
هناك وسأشتغل .

كاترين ماتيفينا : اسمح لي . ليس في موسكو محاضرات تحضرها .
والأساتذة لم يتطوّروا فيها كثيراً . أنا نفسي أحبّ أن
أذهب إلى بطرسبرج أو إلى موسكو لأتعلم شيئاً من
النيزيولوجيا . . . نعم ، هذه قناعتي . لكن دروس أيّ
أستاذ أحضر ؟ ليس في بطرسبرج أحد .

الطالب : اوه ! ومع ذلك فهناك رفاقٌ أحياء لا يفوحُ العفنُ منهم
كهؤلاء الذين هم هنا .

كاترين ماتيفينا : نعم ، أنتم أحسنُ حظاً منّا . بينما نحن ، النساء ، كيف نستطيع أن نرتّب حياتنا ؟ أنا أيضاً كنتُ أنوي السفر لأدخل الجامعة ، لكن يجب أن أعرف موضوعاً الشروط التي سأعيش فيها هناك ؛ لأن من الصعب علينا ، نحن أصحاب التقدم ، أن نكتشف الطريق التي لا نكون مُضطهدين فيها على أيدي الرجعيين والمحافظين . لم أعدُ أطيقُ البقاء هنا . أحسنُ بذهول جميع الأسس الشريفة والمتحررة في طبيعتي والتي تشكّل قوتي . وعما قريب - شيءٌ رهيب - بدلاً من أشبهُ مثلي الأعلى ، أصبح أقربُ إليه فقط . . . ما العمل ، الكسي بافلوفيتش ؟ إن لك طبيعة غصّة ، كريمة ، لم تفسد ، وأنت ترى بوضوح أكبر ما أرى . أنقذني ! أنقذ المرأة التي تضيّعُ ، المرأة الحرة ، ولعلها المرأة الوحيدة الحرة كلياً . نعم ، أحسنُ أنني أضيعُ ؛ وأن الفرح بالتحرر من الأحكام المسبقة ينطفئ ، هذا النور الذي كنتُ أحيابه . لقد صدمني هذا الرجلُ صدمةً رهيبَةً ، وزعزع إيماني بالتقدم . أنقذني ، الكسي بافلوفيتش ، فأنت رجلٌ نقي ، رجلٌ حقيقي ! . . .

الطالب ، متأثراً : ما أشرف شخصيتك ! . . .

كاترين ماتيفينا : لا ، اسمح لي ! أنا أذبل ، وهم جميعاً سينتصرون ، سيقولون : انظروا ، لقد كانت تريد أن تكون حرة ، لكنها مثلنا . وسيشمتون . . . عاصمني ما يجب أن أفعله . . .

أنا أقدرُكَ تقديرًا عميقًا ، أنتَ وحدكَ بينَ هذه الجماعة
التي تُحيطُ بي ! . . .

الطالب ، يشدّ على يدها : أستطيع أن أقول : إنني لم أعرفك قبل
هذه اللحظة . كان يبدو لي - سأكون صريحاً تماماً - أنك
لم تكوني متشعبة كلياً بقناعاتنا . أما الآن فأنا أرى بوضوح
علوّ مفاهيمك وصدقها .

كاترين ماتيفينا ، تشدّ على يده شدّاً موحجاً : نعم تأملتُ كثيراً
وفكرت كثيراً . بالنسبة إليّ لا رجعة إلى الوراء . إنني
أكره التخلف عن العصر ، وأنا أنتمي كلياً إلى الأفكار
الجديدة . لاشيء يمكن أن يوقفني ، وأنا أقدرُكَ ،
أقدرُكَ تقديرًا عميقاً ، قلّ لي : إلى أين أهرب حتى
أتمكن من التنفّس بصورة أسهل . كل ما يحيطُ بي هنا
يَضْغَطُ عليّ . نصيحتك وحدها هي التي سأتبعها . أنا أنتظر .

الطالب ، يفكّر : نعم ، أنا أعرف حلقةً تستطيعين أن تشغلي فيها المكان
الذي أنت مؤهّلةٌ له . نعم . لكنني أخشى مع ذلك أن
تكون هذه اندفاعاً ، وأن تخافي بعد ذلك . . .

كاترين ماتيفينا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي ، كيف تستطيع أن تُثبتَ ذلك ؟

الطالب : انظري ، أنا نفسي شُبعْتُ من الحياة في موسكو ، من الفقر ،
ومن فقدان العمل المأجور بانتظام . أما التسكع في قاعات
المحاضرات والاستماع إلى ثرثرات الأساقذة الفارغي
الرؤوس . . . وأما تعليم الأولاد ذوي الآباء الممثلين
الجسوم ، فقد كان أيضاً أشدّ غباءً . كنتُ أطمحُ إلى

حياة مختلفة . وفي بطرسبرج حلقةٌ من الناس شرعوا بعمل حسن . لقد أسسوا مشاعيةً ، وإلى هؤلاء الناس أريد أن أنضم . . .

كاترين ماتيفينا ، ممسكةٌ بيدهِ : الكسي بافلوفيتش ، أوضح لي الأمر ! أحسن أن هذه المشاعية مكونةٌ ، على وجه التحديد ، من هؤلاء الشخصيات الذين أبحث عنهم . . . الكسي بافلوفيتش ، إني أرتجف من الانفعال . . . أنقلني !

الطالب : وهؤلاء الناس يعيشون في بطرسبرج . أحدهم صديقي . تخرج من المدرسة الدينية . وهو معروفٌ في العالم الأدبي بفضل نقده لقصة : « طيور الترنبي » ، ولعلك قرأتها ؟ ومقالته هذه لافتة للنظر ، لأنه يعرض فيها آراءه عن تقدم الأفكار في مدارسنا الدينية .

كاترين ماتيفينا : مقالة لافتة للنظر ، قرأتها . مقالة بديعة ، بديعة .

المشهد - ٦ -

« يدنخل بيتروشا ويقف من غير أن يلاحظَ ، ويستمع » .

الطالب : فهذا السيد كتبَ إليّ يقول : إنهم نظّموا في بطرسبرج مشاعيةً . كانوا في البداية ثلاثةً : طبيباً ، وشاباً لا صنعة له ، وطالباً . مشروعٌ عظيم الأهمية . يجب أن أقول لك : إنهم اجتمعوا من أجل الحياة المشتركة . فالسكن والغذاء والدخلُ والنفقات ، كل ذلك مشتركٌ عندهم . وهم يسكنون شقةً جميلةً ، وتعيش معهم امرأتان . كلٌ منهم

ينهلك فيما يحلوه ، واملك غرفته ، وهناك فوق ذلك
غرفة مشتركة . والنساء يعشنّ معهم دون أن يرتبطن
بأيّ التزام . هنّ حرات ، يشتغلن . . . بشغل المنزل . . .
وبالأدب . . . الزواج غير موجود ، والعلاقات حرة تماماً . بدؤوا
بعدد صغير ، وهم الآن ثمانية عشر ، على ما قيل لي ،
وعدهم آخذ في الأزدیاد . أنتِ تدركين الأهمية العظيمة
التي يمكن أن تكون لهذا المشروع . فضلاً عن ذلك ،
كتبَ إليّ رفيقي : إنهم قد لاقوا بعض المزعجات التي
مالبت أن أزيّت ، وأن الحالة النفسية لهذه المشاعية لا يمكن
تصوّرها . وائناسُ يتغيرون تغيّراً تاماً منذ أن يصبحوا
أعضاء فيها .

كاترين ماثيفينا : والمرأةُ حرّةٌ فيها ؟

الطالب : كلياً . الخطرُ الوحيدُ الذي يهدّدُهم يأتي من الحكومة ،
إذ من المفهوم أن مثل هذه المؤسسة لا بدّ أن تكون لها
أهمية عظيمة . هذا هو المشروع الذي تحقّق ، وهكذا
أستطيع أن أعيش بدلاً من أن أعلم واداً ضخماً لأب
ضخم . لو كان عندي فقط بعض الموارد الصغيرة . نعم
لم أكلّم أحداً عن هذا ، لأن هذا الشيء يهمني جداً . لكني
أقوله لك الآن ، لأنني أرى أن المسألة ليست تولّعاّ عابراً
وإنما هي قناعةٌ قوية . . .

كاترين ماثيفينا تضرب رأسها ، بشدة : بديعة ! تلك المشاعية !
إنها فكرة عظيمة ! هذا مدهش ! نعم ! إنني أرى في

روسيا فاجرُ التقدم الحقيقي يبرز ! نعم ، تفيردنيسكوي ،
أنا واحدٌ منكم !

الطالب : آه ! كيف تنكشف الطبيعةُ الشريفة ! ومع ذلك ، فكّرني .
القضية جميلة جداً ، لا جدال في ذلك ، لكن ...

كاترين ماتفينا : أنا عضوةٌ في المشاعية . . اكتبْ إلى صديقك ،
أنّ للمشاعية منتسبين جديدين منذ الآن :

أنتَ وأنا . ومن جهتي ، سأخذ المال الذي بحوزتي ،
وسأكتب إلى إيفان ميخايلوفتش لكي يبيع أراضي ويرسل
المال إلى المشاعية ، وسوف أذهب معك إلى بطرسبرج .
وسأشرع بكتابي عن أهمية العمل الفكري النسائي .
تفيردنيسكوي ، لقد أخطأتُ مرةً خطأً شديداً ! أنتَ
لن تخون مبادئنا ؟

الطالب : لن أحترم نفسي إذا أمكنني أن أخونها ؛ سنسافر ، وكلما
كان ذلك أسرع ، كان ذلك أفضل .

كاترين ماتفينا : إلى اللقاء ، سأكتب إلى إيفان ميخايلوفتش ، وسأشرح
له كل شيء في الرسالة ، لأنني لا أريد أن أراه بعد الآن .

الطالب : هناك أيضاً ظرفٌ سيء ؛ لقد طلبتُ إليه سلفةً بثلاثين
روبلًا .

كاترين ماتفينا : ليس معي ثلاثون روبلاً ، لكنني سأكتب إليه ليخصمها
من ثمن أراضي .

الطالب : لا شك أن المشروع الذي نشرع به من الأهمية بحيث يمكن
أن تُنحى جانباّ الاعتبار المالية . غایتنا تبرّر الوسائل .

بيتروشا ، يظهر : اسمح لي أن أقول لك : إنني لست ابناً ضخماً لأبٍ
ضخم ، لكنني إنسانٌ يدرك غاياته مثلك . من الخطأ
التفكير هكذا .

الطالب : كنتُ أتكلّم على العموم ، دون تطبيق شيء عليك .

بيتروشا : ليس ذلك نبيلاً ، بل إنه حقير . جئت لأقول لك : إنني ،
أنا أيضاً ، لا أريد أن أبقى في هذا البيت . فحسنتُ وضعي
واقتنعت أن الأسرة هي العقبة الأساسية أمام تطوّر الفردية .
يريد أبي أن يبعث بي إلى المدرسة الثانوية ، على أنني متأكّد
أنني تخطّيتُ بالتطوّر جميع أساتذتي . قرأت منذ فترة
وجيزة « بوكل » (١) . إنه يقول الشيء نفسه . سأذهب إلى
موسكو .

الطالب : ستثيرُ فضيحةً ، هذا كل شيء . لن يُسمَح لك بالذهاب .

بيتروشا : لستُ طفلاً الآن . حدثتُ أبي . هو يطلب أن أبقى في
الثانوية ، لكنني سأذهب وحدي إلى موسكو ، وسوف
أذهب .

الطالب : بطرس ايفانوفتش ، ستُحدثُ فوضى عظيمةً لا أكثر . . .
لا نستطيع أن نأخذك معنا .

بيتروشا : سمعتُ حديثكما . سأدخل المشاعية معكما وسأدرسُ
العلوم الطبيعية . لم أعد أطيع نبرّ السلطة الأبوية .

(١) بوكل (١٨٢١ - ١٨٦٢) مؤلف تاريخ مشهور هو : تاريخ الحضارة في انكلترا ،
وكان يقرأ كثيراً في روسيا ، في هذه الفترة .

الطالب : أنت تتكلم دون تفكير . ما تزال صغيراً .

كاترين ماتيفينا : تفيردنييسكوي ، أنت تنسى واجبك . ليس لنا الحق في قمع حرية هذه العاطفة الشابة واندفاعتها . يا بطرس برييشيف ، سأرشحك لعضوية المشاعية .

بيتروشا : كاترين ، أنا أقدرك . متى تسافرين ؟ اليوم ؟ إذن ، سأحزم متاعي . سأمرّ فقط على فينيروفسكي ، لأنني أُرغب في أن أرى هذا الاحتفال الحقيّر لكي أزداد سخطاً .

الطالب ، برفق لكاترين ماتيفينا : أخطأت حين ضمّمتني إلينا . هذا صبي .

كاترين ماتيفينا : تفيردنييسكوي ، الناس جميعاً متساوون ، الناس جميعاً أحرار . هيا ، يجب أن نستعدّ ونكتب رسائلنا . بطرس ايفانوفتش ، اعرض مفاهيمك لوالدك .

بيتروشا : إني أفكر في ذلك . . . الأسرة عقيمة . . .

(ينصرفون)

ستار

اللوحة الثانية

« بيت العريس : شقة عزب بالية ، بدون أية استعدادات . أوراق وحقائب مبعثرة » .

المشهد - ١ -

بيكليشوف ، موظف ، شيخٌ قصير ، قريب العريس ، بعقدة فراشة ، الحارس الذي يحزم المتاع » .

القريب : كيف ذلك ، سيرج بيتروفتش ؟ أهكذا سيُسافر ؟
أعتقد أن هذا لا يجوز .

بيكليشوف : هكذا سيُسافر ، يا سيدي . هذا ما يلزم . سيعود من الكنيسة ، ويرتدي معطفه ويسافر . وقد قلتُ لك : إن أناتول دميتريفتش لن يكون مسروراً برؤيتك ، سوف تتأكد من ذلك . لو كان الزواج احتفالياً ، لكان ذلك مقبولاً ، لكنهم يريدون أن يُتموا ذلك بأكبر قدر من التكتّم .

القريب : حسناً ! سأنصرف إذا أردتُم ، لكنني أقول في نفسي : إن ابن أخي لن يجد فيّ ما يَحْجُلُ منه أمام أهل عروسه . لو كان أخوه نيكيتا ، وهو رجل فاسق ، أولو كان ابن عمي ، لحقّ له حينئذٍ ، في حين أنني أنا مستشار في الكلية (١) ورجلٌ معروف . لن أغضّ من قدره .

(١) مستشار في الكلية : مرتبة مدنية من الدرجة السادسة تعادل رتبة عقيد في الجيش .

بيكليشوف : ليست المسألة هنا ، يا عمّ . ليس هذا زواج تجّار (١) ،
ولقد تقرر أن العروسين ، عندما يخرجان من الكنيسة ،
سيركبان عربتهما ويسافران إلى الخارج . (يخاطب الحارس) .
هل العربية جاهزة ؟ لا تنسَ أن تضع المفتاح تحت المقعد
الأمامي . والدهن ؟ إذا لم أهتم بكل شيء أنا نفسي . . .
ونخذ هذه الحقيبة . (للقريب) . أوه ! أنت ! لشدّ ما
تزعجني ! . . . ولماذا وضعت هذه الربطة البيضاء وهذا
الوسام ؟ . . . كل هذا مضحك . انظر ، أنا بالسترة
الرسمية ، والعريس كذلك .

الغريب : أنا راجعٌ ، أنا راجعٌ . قلْ لي فقط ، هل تلقّيتُ ،
« توليا » (٢) مهراً حسناً ؟

بيكليشوف : ما « توليا » هذه ؟ . . . رجل ابن خمسة وثلاثين عاماً . . .
لم يتلقَ شيئاً . خدعوه .

الغريب : لا ، لعلك تمزح ؟ أنتم لا تحسبون حساباً للقراية ، أما
نحن ، أبناء الزمن القديم فكنا نأمل . . . قلْ لي الحقيقة ،
كيف ، « لم يتلقَ شيئاً » ؟ ايّان ميخايلوفتش ليس فقيراً .
مع ذلك . . .

بيكليشوف يقف مقابله ، بينه وبين نفسه : ليُدعَ ذلك في المدينة .

(١) زواج تجّار : عندما كان التجّار الاغنياء يتزوجون في روسيا ، كانوا يدعون بلّ
يستأجرون شخصاً له ربة ، والأفضل ان يكون جنرالاً متقاعداً مؤدناً بكل أوسمته ،
وذلك لكي يعطوا حفلة الزواج بريقاً ورونقاً .
(٢) توليا : تصغير انا تول .

(بصوت عالٍ) . انظر كيف خدعوه . منذ شهرين ،
أعرب عن رغبة في الزواج ، فأرادوا أن يكلموه في
المهر ، لكنه تصبّع رقة العاطفة وأجاب إنه ليس بحاجة
إلى ذلك . . . يا لهؤلاء المثاليين !

القريب : يا إلهي ! يا للغباء !

بيكليشوف : ولقد انتظرنا ساعة فساعة . . . وأشعرناه . . . فلم
يُجد ذلك شيئاً . كان يتحرّج من الكلام . كان يقول :
سأضيع سمعتي من جراء ذلك ، وهي أغلى عندي من
المهر . . . وكنت أنوي أن أذهب وأعبّر عن رأيي بصراحة ،
لكنه كان يمنعني : انتظر ، انتظر . . . أما الغبيّ الآخر
فقد صدّق حقاً أن المال ليس ضرورياً في هذا العصر
الحديث ، ولم يُعط شيئاً حتى الآن . فانظر إلى أين تقود
رقة الإحساس . ! طيب ، يا إيفان ميخايلوفتش . . .
انتظر قليلاً . . .

المشهد - ٢ -

« يدخل العريسان والضيوف . التهاني . تجلس الفتاة . يتمنّحني
فينيروفسكي جانباً » .

فينيروفسكي : ماذا ، هل كل شيء جاهز ؟ (لقريبه) . مالك ، في
الحقيقة ، تضايقتني بتهانئك ؟ مع أن أحداً لم يطلب منك
ذلك . . .

القريب : أهنتك من كل قلبي . توليا . (بهدوء) سمعت أن الأمور
غير مُرضية فيما يتصل بالمهر . . .

فينيروفسكي : ماذا سمعت ؟ ما هذه الحماقات ! أنا طلبتها بلا مهر . . .
(يتنحى) . لتغرب عني ، هذه العصابة من الأغبياء ! ...

المشهد - ٣ -

« يدخل بيتروشا » .

بيتروشا : آنا تول دميتريفتش ، أنت منذ الآن صهري ، لكنني اعتبرك
مجرد رجل فقط .

فينيروفسكي : أرجوك أن تُعفيني من هذه الحماقات . ماذا تريد ؟
بيتروشكا : كلّفني أبي أن أقول لك : أن تأتي بسرعة إلى العشاء .
إنه ينوي مباركتكما قبل سفركما . أملُ ألا تذهب .
فكل هذا حمق . لستُ أشاطرهم هذه الإنكار . أنا نفسي
سأهجرُ منزلَ والدي .

فينيروفسكي : طيب

(يتعدى ويكيلشوف .)

بيكيلشوف : أرأيت ، يا أخي ؟ لقد تنبأتُ بذلك . أنتم المثاليون لا
تصغون إلى العمليين مثلنا . أرأيت ؟ حصلتَ على المرأة ولم
تحصل على المال .

فينيروفسكي : خنازير !

بيكيلشوف : لم نخسر المباراة بعد . سأذهب وأوضح رأيي . تستطيع

أنت الآن أن تختار بين طريقين : أن تذهب إلى بيته
وتلاطفه وتتملّقه ، أو أن تسافر وتحركها . اختر .

فينيروفسكي : مَنْ تظنني ؟ لن أفعل لا هذا ولا ذاك . سأسافر فقط
بأسرع ما يمكن . هل رتبت كل شيء ؟

بيكليشوف : نعم ! الحبال ، الدهن . . . فكرت في كل شيء . . .
ستسافر إذن بالمرحلة القديمة ؟ كنت تنوي السفر في عربة
فاخرة ذات أربعة جياد . . .

فينيروفسكي : كيف يمكنني السفر في مثل هذه العربة . نحن ناس
فقراء ، ولا نريد أن نُدهش أحداً ، على شرط أن يكون
ذلك شريفاً .

الضيف الأول ، في الجمهور ، كأن العريس منحرف المزاج .
الضيف الثاني : ومع ذلك يجب أن نهنته .

الضيف الثالث : نعم ، اذهب إليه ، حاول قليلاً ! سيقطع عليك
الكلام . . .

الضيف الرابع : سأطلب منه شمبانيا .

(يشعل فينيروفسكي سيجارة ويمشي) .

نيكولايف : حسن ، حسن جداً ! (يقترب من العروس ويمسكها
برأسها) . تهاني مرة أخرى . أنا ذاهب إلى أبيك . . .
هياً . . . (بينه وبين نفسه) . يا لها من امرأة صغيرة
رُتِي لها . . .

ليوبوف ايفانوفنا : انتظر! ماذا ، توليا ، ألا نذهب إلى أبي ؟
فينيروفسكي : من فضلك ، لا تناديني توليا ؛ فهذا ظاهر الغباء .
ليوبوف ايفانوفنا : كأنك متكدر للزواج . أنا أيضاً أحسّ بالازعاج ...
ليس هذا ما كنت أنتظره .

فينيروفسكي ، بابتسامة متكلفة : لا ، لا ليس بي شيء . (يجلس
بجنبها) . فلي هموم كثيرة : يجب أن نستعدّ للذهاب ،
وهؤلاء الضيوف الحمقى . . . ماذا يلزمهم ؟

ليوبوف ايفانوفنا : كيف تريد ، آنا تول ؟ كل هؤلاء أقرباء وأصدقاء ،
من أقرب الناس إلينا لا غير ، وقد أسخطنا الكثير منهم
حتى الآن . هلاّ ذهبنا إلى منزل بابا ؟ ومن هناك مباشرة ...
عندما أفكر أنّنا سنكون في الخارج بعد اثني عشر يوماً . . .
ما ألطف ذلك !

فينيروفسكي : لن أذهب إلى منزل أهلك ، يستحيل ذلك عليّ .
وأرجوك ألاّ تحزني بسبب ذلك . وماذا ستفعل هناك ؟
كل هذه المراسم أرهاقتني . وكيف استطعت احتمالها ؟
يا لهذا الغم !

ليوبوف ايفانوفنا : وأنا ؟

فينيروفسكي : طبعاً !

الوصيف ، مقرباً : آنا تول دميتريفتش ، الضيوف يرغبون في تهنّئك .

فينيروفسكي : حسنٌ ، وما المطلوبُ مني ؟ .

الوصيف : لكن . . . لا بدّ من الشمبانيا .

فينيوفسكي : بيكليشوف ، استهم نببذاً ؛ هل عندنا نببذ ؟ نعم ،
ها هو ذا . (يأخذ زجاجةً ويضعها على الطاولة) .
ليشرب مَنْ شاء أن يشرب . ليوبا ، غيري ملابسك ،
حان وقتُ السفر .

ليوبوف ايفانوفنا : طيب . لكن إلى أين ؟ دنياشا ليست هنا .
فينيوفسكي : ما حاجتكِ إليها ؟ سأساعدك ، ثم هناك الطاهية .
عجّلي ، من فضلك .
(تذهب ليوبا) .

الوصيف : على صحة العروسين !
فينيوفسكي : على صحة مَنْ شئتَ ، عجّل فقط .
التلميذ الثانوي ، وهو يشرب : على صحة حرية النساء ! . . .
فينيوفسكي : آن أوان السفر .
التلميذ : . . . ثم على صحة العلم والحرية ! وأين العروسان ؟
(ينسحب المدعوون شيئاً فشيئاً) . وداعاً ، يا سادتي ، أنا
ذاهبٌ . على صحة العروسين .

(يرتدي فينيوفسكي معطفه ويضع قبّعته) .
ليوبوف ايفانوفنا، تظهر : الوداع ، يا سادة ، ! سلّموا على أبي ! وداعاً .
بيتروشا : ستلاقى . . . أريدُ الحرية .
نيكولايف : قلتُ إنه لن يكون هنا شيءٌ حسن . نَدَلْ ! يعتقد
أن هذه هي البدعةُ الجديدة ! نَدَلْ !

ستار

الفصل الرابع

المشهد - ١ -

« منزل آل بريبيشيف . الغرفة نفسها التي في المشهد الأول . طاولة موضوعة للعشاء . المدعوون يجلسون زمراً زمراً . آل نيكولايف . ماري فاسيلييفنا بتياب الأحد . ايفان ميخايلوفتش مع الوسيط » (١) .

ماري فاسيلييفنا : تأخراً . (تنظر إلى الساعة) . وقد حان الوقتُ .

ضيف : لا بد أن الناس أخبروهما . لنشربُ على صحتهما . (يشرب) .

وأين صارت قضيتك ؟

الوسيط : ماذا قلتَ ، ايفان ميخايلوفتش ، أنت مصمم بالنسبة إلى الاسترجاع ؟

ايفان ميخايلوفتش : أعطيت ، مجّانا أراضي غريتشوف البور ، وتنازلتُ عن المدفوعات الإضافية . أظن أن الفلاحين سيقبلون هذا .

(١) وسيط الصلح : موظف ينتخبه نبلاء المنطقة وكانت مهمته تنظيم توزيع الأراضي بين الفلاحين والإقطاعيين . وقد كان تولستوي وسيطاً سنة ١٨٦١ .

الوسيط : وكيف لا يقبلون ، ايفان ميخايلوفتش ؟ ستكون الغلطة غلطتي إن رفضوا . أظنّ أنه ليس في المقاطعة كلها ، لا في الدائرة وحدها ، ما يُشبه هذا الكرم . . .
(يقترب ضيف) .

الضيف : تتحدثون عن أعمالكم ، في مثل هذا اليوم ؟
الوسيط : مستحيلٌ غيرُ ذلك . مهما يكن موضوع الحديث ، فإن الحديث ينزلق أبداً نحو المكلفين الموقتين (١) . هاك مثلاً من معالجة هذه القضايا : إن ايفان ميخايلوفتش يَسبُّ الفلاحين سبعة عشر هكتاراً ويُعفيهم من المدفوعات .
الضيف : نعم ، يا سيدي .

ايفان ميخايلوفتش : ما العمل ؟ يجب أن ننتهي من . . .
الوسيط : ما أعظمَ ما يفعله الزمن ! عندما أتذكّر اللهجة التي كلّمْتَنِي بها في البداية . . . كدنا نتخاصم ، أتذكّرُ ؟ بسبب تلك العجوز التي جاءت تشتكي . . .

ايفان ميخايلوفتش : ما كان يمكن للأمر أن تكون غير ذلك . كان ذلك جديداً مسرف الجدة عليّ ، فاغتظتُ . . . لم يأتوا مع أن الساعة دقت العاشرة .

الوسيط : وكم يمدحُك الفلاحون ، يضعونك ، أينما كانوا ، في المقدمة ، لكي يَغَيظُوا الملاكين الآخرين .

(١) نحو المكلفين الموقتين : هم الفلاحون الذين كانوا يدفعون بمبلغ ثمن أسهم الأراضي التي حصلوا عليها بعد التحرير في ١٨٦١ .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ، هذه مكافأة حقاً .

الوسيط : وصّدّقني أن هذا أنفعُ لك ، ايفان ميخايلوفتش .

ايفان ميخايلوفتش : اوه ! هذا مشكوكٌ فيه ، لكنّ على الإنسان أن يساير عصره .

ماري فاسيلييفنا : هو يقول دائماً : إن ذلك سيكون أنفع . وكان يرى أن البيان حسن الأشياء ، لكنه مع ذلك ، يغضب لأن الفلاحين لا يعملون . ما رأيك ؟ هل الأمور تسير سيراً أفضل منذ تحرير الفلاحين ؟

ايفان ميخايلوفتش : لا شك أنه أفضل . (يقترب من السيدات) .
عمّ تتحدّثن ؟

ماري فاسيلييفنا : نتذكّر زواجنا . رويتُ لهن أنك كنت تخيفني ، أتذكر ؟ وأنت جئتني بخاتم من الماس . ولم أكن أفوي قبوله . وأنت رقصت معي ، في الحفلة الراقصة ، رقصة المازوركا ، ولم أكن أدري مَنْ أختارُ . . . ما أغباناً ونحن شباب ! لكن ما كان أبهج ذلك . . . كانت أمي تحب احتفالات الزواج الفخمة . كل موسكو حضرت زواجنا . . . كان المدخل مفروشاً بالجوخ الأحمر ، ووُضِعَت الورودُ في صفيْن اثْنين ، في صفيْن اثْنين . . .

المدعوة الثانية : نعم ، كان كل شيء مختلفاً في الماضي .

ماري فاسيلييفنا : وما هذا الزواج ؟ زواج برجوازي . أهكذا تُزوِّج البنت الوحيدة ؟

الوسيط : لا ، ماذا ؟ ليس فيه أبته لكنه لائق . الزواج اليوم يتم هكذا. يخرجان من الكنيسة ليصعدا إلى العربة. أنا أستحسن هذا.
ماري فاسيلييفنا : ومع ذلك فقد تأخرا .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ، كان يجب أن يكون هنا . حسناً ! يا سادتي ، أرجوكم أن تذوقوا نبيذي . أنا ضامن أنكم لم تشربوا قط مثله .

ماري فاسيلييفنا : جان ، اشرح لي ، كيف يجب أن تلاقهم ؟ أين يقف كل واحد ؟ نسيت كل شيء .

المدعوة الثانية : على الاشبيين أن يدخلاهما حال وصولهما ، ونحن نستقبلهما بالخبز والملح (١) . أنت أولاً . . .

المدعو الأول : لا . الترتيب المتبع هو : الوصيف الذي يعلن وصولهما ، ثم يدخل الإشبينان ، وبعد ذلك فقط الأب والأم . . .

ايفان ميخايلوفتش : ما أكثر هذه العادات !

الوسيط : أحب هذا الماضي . فهو خيرٌ جداً ، روسيٌ جداً .

ماري فاسيلييفنا : يجب ألا تبقهم كثيراً على المائدة ، جان . فانا أود أن أكلم ليوبا قليلاً على انفراد .

المدعوة الأولى : فرحٌ وهموم ، كل ذلك معاً . . . نعم ، هذه لحظة لا تُنسى .

ايفان ميخايلوفتش : انتظروا ، وصل شخصٌ . أيكوان قد جاء ؟ انهضي ، ماري فاسيلييفنا ، وخذي الخبز والملح ، هنا .

(١) بالخبز والملح : علامة الترحيب في روسيا .

المدعوة الثانية : ضعي قطعاً ذهبية في المماحة — ليعيشا عيشةً غنيّة .

ماري فاسيلييفنا : ايفان ميخايلوفتش ، أعطني .

ايفان ميخايلوفتش : في الحال ، وضعتُ بعضاً منها . (الخادمت

والمربية ينظران إلى الأبواب ؛ يصطف الموسيقيون)

انظروا ، منذ أن يدخل الباب (للخدم) . قدّم الشعبانينا ،

ثم السمك بعد ذلك و . . . لقد وصلنا !

(يتناول الخبز وينتصب ويقف في وسط الغرفة) .

المدعوة الأولى : يا لهذه اللحظة الجليلة !

المدعوة الثاني : بمـ يحسّ الأب والأم ؟

ايفان ميخايلوفتش ، يقبل ماري فاسيلييفنا ، والاموع في عينيه : يا

عزيزتي ، أهنتك . إنه لفرحٌ عظيمٌ لنا .

ماري فاسيلييفنا : آه ! جان . ما أشدّ خوفي وما أعظم سعادتي ، وأنا

أجهل نفسي . . . قل لي في الوقت المناسب ، وإلاّ

ارتبكتُ . . . لقد وصلوا هل ينبغي أن أقف هنا ؟

(تسمع خطوات ، يتخذ الأب والأم وضعهما ، يُحيطُ بهما الأقرباء)

المشهد — ٢ —

« يدخل نيكولايف » .

ايفان ميخايلوفتش : لم وصلت بدون العروسين ؟ (يشير إلى الموسيقيين)

هس ! . . . بئنه !

(يتوقف الموسيقيون) .

نيكولايف ، أشعث الشعر : لا ، لم أر في حياتي مثل هذه الندالة .
(يرمي قبّعه في الأرض) . لقد تنبأت لك بذلك ، أيها
الأحمق العنيف ! لا ، يا صديقي ، لن أسمح لأحد بأن
يَهْزَأَ مني . لم أعد أخاك أو صديقك ، ولا أحب أن
أُعرّف عليك بعد الآن ! هذا ما عندي ! (لزوجته) .
صوفيا اندريفنا ، لنذهب .

ايفان ميخايلوفتش : ماذا يقول ؟ ما به ؟
ماري فاسيلييفنا : وأين العروسان ؟ جان ، سأرتبكُ .
نيكولايف : نعم ، اذهب وقبّلهما ، الحق بهما ! ...
ايفان ميخايلوفتش : نكن ما الذي جرى ؟ لا تُعذّبني ، ما بك ؟
لماذا ؟ ...

نيكولايف : لقد سافرا . هذا ما بي . بصقاً في وجوهنا جميعاً
وسافرا .

(يجلس على أريكة فيتجمّع الأفراد حوله) .

المربية : وكيف ، بلامباركة ؟

المدعوة الاولى : هذا غير ممكن !

المدعوة الثانية : هذا لا يُصدّق !

ماري فاسيلييفنا : آه !

(تنهالك على مقعد فتُهرع المربية إليها) .

ايفان ميخايلوفتش : وهو ما يزال ممسكاً بالصينية : نيكولايف ،

لا مَزَحَ بهذه الأشياء . . . أين هي ؟ سألك . (للخدام) .
أين العروسان ؟ تكلم !

الخدام : سافرا .

ايفان ميخايلوفتش : هل جئنتُم ، أنتم الآخرون ، أم ماذا ؟ هل
رأيتهما بعينك ؟

الخدام : وكيف إذن ؟ أنا وفيدور وضعناهما في العربة .

ايفان ميخايلوفتش : في العربة ؟ في آية عربية ؟ سأقتلك ، يا وغد !

(يرمي بالصينية ويهجم على الخدام الذي يفرّ) .

ماري فاسيلييفنا : جان ، ماذا تفعل ؟ من فضلك . . .

(ايفان ميخايلوفتش يقف ويعود متفكراً .)

نيكولايف : نعم ، يا صديقي ، هذه هي البدعة ، آخر بدعة : أنا
أرثي لك وأشتهي أن أضحك . أقدمُ على الحماقات إن
شئت ، لكن لا تَضَعُ الآخرين في مواقف حمقاء . لولا
أنني أعطف عليك لتركْتُك دون أن أقول لك كلمة .

المدعوون : لكن ما الذي حدث ؟ وكيف يسافران بلا مباركة ؟ . . .

الوسيط : وكيف بعربة ؟ هذا مستحيل .

نيكولايف : تنبأت أنه ستحدثُ دُناءةٌ ، وكنت أتوقع ذلك ،
لكنه طمأنني كثيراً حتى ذهبتُ إلى الكنيسة . ولقد جاء
هذا القليلُ الأدبُ إلى الكنيسة بالسُرة الرسمية وبالبنطال
الأزرق . . . طيب . أردت أن أقود الخطيبة ، حسب
العادة ، لكنه أضعدها إلى مركبته . قلتُ في نفسي : آه ...

وقررتُ ألا أذهب . ألّحت علي صوفيا اندريفنا . . .
انتظروا . . . ماذا حدث بعد ذلك ؟ . . . قالت لي : ستجرح
ليوبا . . . فهو يجهل العادات . . . قلتُ : طيب ، سأذهب .
أنا أعطف على ليوبا .

ايفان ميخايلوفيتش : نيكولايف ، أنت تمزح . من فضلك ، فكّر ،
في . . . أنا أب . . .

نيكولايف : ولمّ أمزحُ ، يا صديقي ؟ لا بدّ أنهم وصلوا محطة
لاشنيغور .

ايفان ميخايلوفيتش : وبعد ذلك ؟ تكلم ، تكلم . . .

نيكولايف : كان لا بدّ لي من أن أبذل جهداً باعتباري صديقاً
قديماً ، لكنني كنتُ أعلم أن خسة ستحدث . . . ومع
ذلك فقد كنتُ أحدثُ نفسي بأن كاتباً ، سوقياً ، لا
يستطيع أن يهينني . فذهبتُ إذن . طيب . عجّأتُ وأسرعت
مع صوفيا اندريفنا ووصلنا . . . فاذا الوصيفُ وحده . . .
وإذا الشقةُ أوسخ من حظيرة الخنازير ، وقد تناثرتُ عايتها
الحبال . وكان فيها صديقٌ للعريس ، نذلٌ مثله ، يرتدي
ما يشبه المبدل ، وقريبٌ له ، كاتبٌ . وماذا تظنّ أنه
فعل . أدّارَ ظهره لنا ، ووضع قبّعتَه ثم انصرف هو
والصديق .

ايفان ميخايلوفيتش : وفي أي شيء سافر العروسان ؟

ماري فاسيلييفنا : كيف ، بدون خادمتهما ؟ دنياش هنا . اوه ! يا إلهي !

ايفان ميخايلوفتش : كيف سافرا ؟ اقتلني ! خذ ! اشرب دمي ! ...

نيكولايف : في عربة مغطاة . رأيتُه بعيني . . .

ايفان ميخايلوفتش : نيكولايف ! . . . انتبه . . .

نيكولايف : مالي وللانتباه ؟ عليك أنت أن تنتبه إذ اخترتَ هذا الزوج لا بنتك . . .

ماري فاسيليفنا : هل كان بيروشا هناك ؟ . . . ما هذا كله ؟

المدعو الثاني : لعلهم آذياه ؟ . . .

المدعو الثالث : لا ، يبدو أنهم أعطوه كل شيء قبل الزواج .

المدعو الأول : ربما كان مجنوناً . صدّقوني هذا مجنون .

المدعو الثاني : شيء واحد يدهشني : كيف أمكنها أن توافق ؟

المدعو الثالث : أخذها عنوة .

المدعو الأول : هذا درس مفيد لايقان ميخايلوفتش .

المدعو الثاني : الكبرياء دائماً .

ايفان ميخايلوفتش : هل كان بيروشا هناك ؟ يا ساشكا !

ماري فاسيليفنا : جان ، من فضلك . . .

ايفان ميخايلوفتش : أغريبي عن وجهي ! . . .

الخادم ، وهو يدخل : فيم يرغب سيدي ؟

ايفان ميخايلوفتش : أين بطرس ايفانوفتش ؟

الخادم : لا أعلم ، يا سيدي . . .

ايفان ميخايلوفتش : سأعاطمك كيف تعلم ! لِيُؤْتَ به في هذه اللحظة ، أسمعني أيها اللص ؟ (يتوقف فجأة) . سأُريكَ إنْ كان يمكن الهزءُ مني . (يهرب الخادم) . .

الخادم الثاني ، يدخل ومعه رسائل : سافر بطرس إيفانوفتش مع كاترين ماتفييفنا والطالب ، وأمروا أن أساطمك شخصياً هذه الرسائل .

ايفان ميخايلوفتش : ماذا ؟ (يأخذ الرسائل) . أين سافروا ؟ متى سافروا ؟

الخادم الثاني : لا أعلم ، يا سيدي . قال : إلى بطرسبرج .

المدعو الأول : يا للمفاجأة !

المدعو الثاني : نعم ، لا تأتي المصيبةُ وحدها .

نيكولايف : هذه هي أفكارك الجديدة . . . نتيجة أطوارك الغريبة .

ايفان ميخايلوفتش ، فاتحاً رسالةً : يا سادتي ، أنا شديد الاغتمام . ارحموني ! . أعلمُ أن كل شيء من غاطتي . لا فائدة من الاستتار . . . لا أستطيع القراءة . . . اقرأها أنت ، أنت مثلاً (يتصفح الرسالة ويناولها الوصيف) . اقرأها . . . انتظر . هيه ! (للخادم) . اربط الجياد الأربعة بالمركبة . وقلْ للحوذي فيلكا إنه إنْ لم يقرّ بها في مدى دقيقة ، فإنْ أترك في فمه سنّاً واحدةً سأكسر أسنانه كلها . أقول ذلك على الملأ ، ثم ليُحاسبني الله وقيصري ! نعم انقضى أجلك ! . هيا ! اقرأ .

الوصيف ، يقرأ الرسالة : « سيدي بريبيشيف ! »

ايفان ميخايلوفتش : مِمَّنْ الرسالة ؟

الوصيف : من كاترين ماتفيفنا .

ايفان ميخايلوفتش : طيب : هذه الحمقاء أيضاً سأصنّفِي لها حسابها .

الوصيف ، يقرأ : « مع أن الاتجاهات الاجتماعية ، غير الناضجة بعد ، التي أبديتها في هذه الآونة الأخيرة بوضوح أكبر من قبل قد أشعرتنا أنك بدأت تزعزع هدوء وسطك المحافظ المتطرف ، بل والرجعي المتطرف ، البليد والمعجب بنفسه ، الذي تحيا فيه ، ومع أن ذلك بعث فينا الأمل بأن نراك تتجه فجأة إلى المذهب الجديد ، إلا أن انتصار الفكر لم يَغنِدْ بعد انتصاراً للفعل ، أحبُّ أن أقول ببساطة إن المسافة السحيقة التي تفصلنا عن أسرتك يتضح أثرها ذاتياً بقوة جهنمية . إن الأحداث الأخيرة التي حدثت في وسطكم أبرزت أسس الجهل والفساد والتحجّر التي كانت مخبئة فيه . وبما أننا اجتمعنا على كرهٍ فلا يمكننا أن نتحد . كان كل واحد منا يعيش منعزلاً . وقد قررتُ أن أعود إلى بطرسبرج ، لأنضوي تحت راية المذهب النسائي الجديد . وبما أن ضميرك بدا وكأنه يتجه نحو طريق شريفة ، فقد قدرتُ أن مما يهَمُّك أن تطّاع على نجاح نشاطنا في سبيل القضية المشتركة التي لها طابع واقعي حقاً . إن بعض الأشخاص السابقين ، وبعض الطبايع المستقيمة تجرّبُ تعايشاً حرّاً بين الرجال والنساء على أسس جديدة

وأصيلة . هذه المؤسسة سُمِّيت « المشاعية » . وقد صرّت
عضواً فيها(١) .

نيكولايف : هذه المؤسسة ، يا صديقي موجودة منذ زمن بعيد ،
وهي تُدعى بكل بساطة . . .
(يهمس باسمها في أذنه) .

ايفان ميخايلوفتش : تابع . . . أهي طويلة أيضاً ؟

الوصيف : لا ، ستنتهي (يقرأ) . « وعندما أعيش في المشاعية ،
وسط جماعة في مستواي ، فسأشارك في الصحف الأدبية
وسأُنشر ، في نطاق قواي ، أفكار العصر بصورة نظرية
ربصورة محسوسة على حد سواء . سأكون حرةً ومستقلة .
وداعا ، بريبيشيف . لست أهتمك بشيء . وأنا أعلم أن
وحل وسطك قد لوّثك حتماً ؛ ولست أقصد ماري
فاسيلييفنا ؛ كُنْتَ مُكْرَها على أن تكون على ما أنتَ
عليه . لكنْ تذكّر هذا الشيءَ : هناك طبائع مُضَيّئة
لا تلين أمام ضربات الزمن وهذا ما ينبغي لك أن تنظر
إليه بكثير من الاحترام والعطف (وإلا فقدت الكرامة
الإنسانية) . إني لا أحترمك ، لكني لا أنكر على الإطلاق
مطامحك الإنسانية . أنا فوق اللوم » .

ايفان ميخايلوفتش : أهذا كل شيء ؟ انتظري فقط !

الوصيف : لا . . . « حاشية — أرجوك أن تبيع أرضي التي تساوي

على الأقل خمسين روبلاً الهكتار ؛ اتّكلُ على استقامتك ؛
» أرسلُ إليّ الفين وثلاث مئة روبل نقداً في أقرب وقت
ممكن . أما عائداتي فأرجو أن ترسل اليّ مئة وخمسين روبلاً
في البريد المقبل . »

إيفان ميخايلوفتش : جيد جداً . أخذتُ سابقاً مئتي روبل ، وكل
ملكيتها لا تغلّ أكثر من مئة وخمسين ؛ سأعطيكِ حظك
من التوبيخ ، يا صديقتي ! الرسالة الأخرى الآن ؛ هي
من الطالب ، على ما أفترض ، اقرأها .

الوصيف : » إيفان ميخايلوفتش ، طلبتُ منك سافّة قدرها اثنان
وثلاثون روبلاً . لا أستطيع أن أردّها لك الآن ؛ لكنك
إن لم تكن لثيماً فإن تباع بك الذمالةُ حدودَ اتهامي .
سأرسل إليك هذا المال حالما أستطيع تدبّر أموري ؛ من
عادة الأغنياء أن يحتقروا الفقراء . وكان ذلك يجري في
بيتك بوقاحة . سأسافر مع كاترين ماتيفينا ؛ ليكن رأيك
بها كما تشاء ، فأنا أعتبرها طبيعةً رفيعةً . ومن ناحية
أخرى : احتراماتي

إيفان ميخايلوفتش : هذا واضحٌ ومقتضبٌ : هل الجياد جاهزة ؟
سأنهكها جميعاً حتى ألحق بالجماعة ، وعلى الأقل سأجدُ
تسلّيتي في ذلك .

ماري فاسيلييفنا : ماذا تقول ، إيفان ميخايلوفتش ؟ ارحمهُ ، فالمسكين
وحده .

المدعو الأول : هناك ما يدعو حقاً إلى الرحمة !

ايفان ميخايلوفتش : هيا ، الرسالة الأخيرة أيضاً . . . أجهزوا عليّ . . .

الوصيف ، يقرأ : « أبي ! فكرتُ كثيراً في فاسفة عصرنا . والذي ينجمُ عنها أن أصحاب العصر الجديد حياتهم قاسية لأن الرجعيين يضطهدونهم . والكل يعلمون أن الأسرة تحولُ دون تطور الفردية . لقد حصلتُ على تطور كبير ، بينما أنت محافظٌ متطرف ، وأمي حمقاء - أنت نفسك قالتَ هذا - وإذن فالجميع يدركون ذلك . فلماذا أضيعُ انطلاقتي العظيمة وأتجحرُ ؟ في الثانوية ، الأستاذة ما يزالون قليلي التطور ، ولا أطيعُ ذلك . يحبسون الإنسان في حبس ! ... لقد انقضى عهد اوبلوموف (١) ، وأمام أصحاب التقدم انفتحت أبوابٌ جديدة . سأحضر الدروسَ في جامعة بطرسبرج والأستاذة فيها قد يرون ، وإذا كانوا سيئين فسأعمل وحدي . وإذا لم تكن أنتَ كيرسانوف (٢) جديداً أو طاعيةً ، فأرسلُ إليّ المالَ لأعيش . لأنني قد صممتُ على ذلك . وفضلاً عن ذلك ، لقد تأكدتُ أن فينيروفسكي رجعي أيضاً . إنه لا يعترف بحرية المرأة . وداعاً ، يا أبي . لعائنا سنلتقي في ظروف طبيعية ، رجلاً لرجل . قلتُ كل ما تجمّع في قلبي .

بطرس برييشيف .

(١) انقضى عهدا اوبلوموف : اوبلوموف نموذج للإقطاعي الروسي الذي يتولد كله من القنافة ، وذلك في الرواية الشهيرة لايفان غونتشاروف اوبلوموف ١٨٥٩ .
(٢) كيرسانوف : الأب النبيل في رواية تورغنيف « الأب والابن » ١٨٦١ .

ماري فاسيلييفنا : إلهي ! إلهي ! ما هذا ؟

نيكولايف : أنا أشفقُ عليكَ جداً ، جداً ، يا ايفان ، لكنّ
لا حيلةَ لنا في ذلك ، فالغلطةُ غلطتُك . هذه هي إذن
البدعُ الجديدة ! أين الجديد ؟ كل شيء قديم ، قديم جداً :
الكبرياء ، الكبرياء والكبرياء . منذ أن خلُق الكون والشباب
يرغبون في تعليم الكبار .

المدعو الأول : هذا صحيح .

المدعو الثاني : لكنّ لهذا نتائج بعيدة جداً .

المدعو الأول : هذا حقّ حقاً ، هذا مضحك حقاً !

ايفان ميخايلوفتش : يا ماري فاسيلييفنا ، أنت غبية ، لكنني أغبي
منك بألف مرة . هيه ! هل هي جاهزة ؟

الخادم : قدّمت العربّةُ يا سيدي .

ايفان ميخايلوفتش : قلّ لدينا ما أن تصطحبني . انتظرُ أين صكّ
الهيئة ؟ حسناً ! وداعاً ، يا سادة .

(يستأذن ضيوفه) .

الوسيط : ماذا قررتَ إذن ، ايفان ميخايلوفتش ، بصدد قضيتنا ؟

ايفان ميخايلوفتش : دونكَ ما قررتُهُ : ما لم أُجبرَ إجباراً بسكين
على عنقي ، فلن أعطي شبر أرض ، ولا كوبيكاً واحداً ،
ولا يومَ عمل واحد ، ولن ألغي أيةَ غرامة ! حسبنا
إدهاشاً للناس ! لا يا سيدي ، لقد تربّيتُ اليوم .

الخادم : المركبةُ جاهزةٌ ، يا سيدي .

ايفان ميخايلوفتش : معطفي ، يابن الكلب ! ماذا تعتقد ؟ أن الأمور ستسير كما كانت من قبل ؟ — معك حق ، ماري فاسيلييفنا ، كلُّ شيء يجرى إلى أسوأ . والبيان والمدارس والطلاب . . . كل ذلك سمّ ، هاوية ، وداعاً ، على شرط أن ألحقَ بهم ، ولو على الطريق . كم ستستريح نفسي ! بيتروشا ، سأضربه ضرباً شديداً ! نعم .

ماري فاسيلييفنا : ايفان ميخايلوفتش ، ارحمني ، لا توبّخ كثيرًا الكسي بافلوفتش ، فهو حقاً هزيلٌ ويدعو للثناء . كل ذلك فهو بسبب شبابه .

نيكولايف : تستطيع أن تعود بابنك ، لا أن تفسخ زواجَ ابنتك .

ايفان ميخايلوفتش : آه ! دَعْنِي من هذا الموضوع . (يدنو من المائدة ويشرب كأساً من النبيذ) . نعم ، نعم ، سأضربه ضرباً شديداً ، سأضربه بالعصا . وداعاً . اضحكوا ، اصرخوا ، اغضبوا لكنني سأضربه ضرباً شديداً ، سأضربه ضرباً شديداً ! وسيشكرني فيما بعد ، نعم !

ستار .

الفصل الخامس

« يُحْتَمَلُ المسرح صالة المسافرين في محطة للأبدال » .

المشهد - ١ -

« يدخل مدير البريد وكبير القرية » .

مدير البريد : ما هذا العَدُوُّ السريع ! لم نَرَ مثله منذ ماكاري (١) .
دورُ مَنْ الآن ؟

كبير القرية : دور آكيم ؛ لم يعد . لا بدّ أنهم أخّروه في لابشيفو .
ومن حسن الحظ أن البريد لم يصل بعد .

المدير : وبعد الساعة السادسة ستمرُّ خيلُ البريد من جديد . ما حيلتُنا
في ذلك ؟ سيُزْعِجُنا المسافرون في الوقت الحاضر .

كبير القرية : في الماضي ؛ في عهد تيخون موسيتش ، عندما لم
يَسْبِقْ جِياد ، كان يختبئ في مخزن العلف . أنا أيضاً
كنتُ كبيراً للقرية . وذات مرة جاءنا سكتيران من القوقاز ،
وأذاقانا الأمرين ! كلُّ الناس في المحطة ضُربوا ، وكلهم

(١) ماكاري : معرض مشهور في نيجني نوفغورود . ويسمى أيضاً معرض ماكاري .

هربوا . وسُحِبَ تِيخون موسيتش من قدميه إلى الخارج .
قال لهم : « أنا موظف ، لا يجوز لكما ! » فضرباه ضرباً شديداً !
أتصدّقني ؟ لقد جرّاه عبر القنّاء . وضحك الحاضرون كثيراً .

المدير : إذا فعل بي أحد المستهترين مثل ذلك فسأعلّمه الأدب .
كبير القرية : اوه ! أصبح المسافرين وديعين جداً الآن . لكنني أحبّ
أن أسأل سيادتك : لماذا يخاطبنا الجميع الآن ، نحن الفلاحين ،
بضمير الجمع ؟

المدير : جاء هذا من التعلّم ، أي من التقدّم . لست أحمق ؟
كبير القرية : لكننا لاحظنا مع الحوذين أن الذي يخاطبك بضمير
الجمع يجب ألا تنتظر منه حلولاً . بينما الذي يزعم كثيراً
ولا يوفرّ يده يعطيك بالتأكيد خمسة روبلات أو ستة ،
تستطيع أن تثق بذلك .

المدير يضحك : وأولئك أيضاً يبدوون ملاحظاتهم . « كفّك نظماً
للجواهر . انظر إلى هذه القلادة ، قل لهم أن يكتسبوا هنا ،
وامسح الطاولة على الأقل » . ما من مسافر لا ينزعج .
كل شيء يبدو لهم وسخاً . ومن الذي يوسّخ كل شيء ؟
هم أنفسهم دائماً . لا هم لهم إلا أن يوسّخوا وينصرفوا .
ولا شيء يبدو لهم كافي النظافة . (كبير القرية ينظّف) .
سأنام قليلاً . ها قد جاء مسافرون آخرون ، فيما أعتقد .
لا بد لهم من أن ينتظروا ، مهما يكن رأيهم .
كبير القرية : ليدفعوا الضِعْف ، ويأخذهم فلاحونا .
(يرنّ جملح) .

المشهد - ٢ -

« مدير البريد ، كبير القرية ، فينيروفسكي وليوبوف ايفانوفنا ،
شاحبةً جداً ، صامتة وحزينة . »

فينيروفسكي : أيها السيد مدير البريد ، أريد جياداً . وأنت ، يا كبير
القرية ، اذهب وقلّ لهم أن يربطوا لي الجياد بأسرع ما
ما يمكن . (لليوبوف ايفانوفنا) . آه ! ها نحن وحدنا .
هذا رائع ! منذ أن تخلصنا من تلك الحماقات الكريهة ،
الآن فقط أحسّ أنني إنسان . أنت مسرورة ، يا حلوتي !
ليوبوف ايفانوفنا : نعم . . . أنا مسرورة ، أنا متعبة .

المدير : الجياد كلها في العمل .

فينيروفسكي : أكرّر لك : هذه أوراقتي ، وهذا هو المال ، فقلّ
لهم أن يربطوا الجياد .

المدير : عندما نربّي جياداً أخرى سنربطها .

فينيروفسكي : تفضّل وقلّ لهم أن يربطوها أو أعطني الدفتر ،
فسأ تقدّم بطلب .

المعلم : هذا هو الدفتر . اكتب طلبك . رأينا كثيرين غيرك .

فينيروفسكي : آه ! حسن . حسن جداً ! نعم ، الاستقامة ستظلّ
طويلاً من حفظنا نحن وحدنا . . . ما هؤلاء التافهون !

(يجلس ، يتصفح الدفتر ، ثم يكتب) .

المعلم : مقترباً ، هائجاً : اقرأ الدفتر بالآخرى . تفضل وانظر :
البريد ، ٨ جيات في الساعة ٥ و ٢٣ دقيقة . لم تبلغ التاسعة ولم
يعودوا بعد . عقيد مع زوجته ٦ جيات في الساعة ٦ و ١٧
دقيقة . تفضل وانظر : العدد الكامل هو ٣٦ جواداً ،
نعم ، يا سيدي ، يجب أن تنظر قبل أن تصف بالتفاهة
الناس الذين ربما كانوا خيراً منك .

فينيوفسكي : دعني ، فليس في نيتي مناقشتك .
المدير : ما عليك إلا أن تكون أكثر حذراً في المستقبل . حتى
الجنرال الذي يسافر بمركبة الجياد الستة ، لا نسمح له
بذلك . . . بصرف النظر عن الأوباش . . .

(يخرج)

للشاهد - ٣ -

« الأشخاص أنفسهم ما علموا مدير البريد » .

فينيوفسكي : يا كبير القرية ، اثنني بسماور ، من فضلك . (ليوبوف
ايغانوفنا) . هل تتناولين شايًا ، يا خلوتي ؟ (لكبير القرية) .
وبالسكر والشاي !

كبير القرية : سعر السماور عشرون كوبيكًا ، أما السكر والشاي
فحاسب المعلمة .

فينيوفسكي : هات كل شيء . هل تتناولين شايًا ؟

ليوبوف ايغانوفنا : نعم . . . لا .

فينيروفسكي : يجب أن ترفعي خمارك .

ليوبوف ايفانوفنا : لا ، لا بأس بذلك .

فينيروفسكي ، جالسا بقربها : أنت ترين ، يا صديقتي ، الفرق المدهش الذي يفصلنا عن أهلك القدماء . نحن ننظر إلى الحياة ببساطة . هذا السيد ، بسبب وسطه وقناعاته ، يجد من الضروري أن يزعج الناس وأن يعاملهم بفظاظة . هذا طبيعي ، ومثل ذلك كون أهلك يعتبرون اجراءات الحماقة التي أفلتنا منها ضرورية . من دون شك ، نحن لا نستطيع تغييرها ، لكننا يجب أن نقول لهم ، باعتبارنا أشخاصا أذكيا : أنتم سيئون وحقراء ، وهذا شأنكم ، يا سادة ؛ لكن لا تمنعونا من أن نكون شرفاء وإنسانيين . متى أدركت هذا المفهوم ، يا حلوتي . . .

ليوبوف ايفانوفنا : لا تقل « حلوتي » ، هذا بشع .

فينيروفسكي : طيب ، لا يهم . لاحظي فقط كم سيدل هؤلاء الحمقى في مثل هذه الصدامات . لست أكرههم ، بل إنني احقرهم ، سيدلون ، وسيدركون ذلك عندما يفكرون . صدقيني ، إن أهلك الآن يحسون أنهم أغبياء . وهذا ما يلزمهم .

ليوبوف ايفانوفنا : وماذا فعل بك أهلي ؟ ولنفرض أن في تطورهم نقصا ، لكنهم ليسوا سيئين . هناك أسوأ .

فينيروفسكي : أنت ذكية ، يا حلوتي . صحيح ، هناك أسوأ . لكن منذ اللحظة التي ندرك فيها تفاوت قناعاتنا ، منطلقا ،

يجب أن يصفّ البعض إلى اليسار ، والآخرون إلى اليمين .
كل هذا بسيط جداً . لستُ أحترم الأغبياء والجهلة ، كما
لا أحترم اللؤماء والجامدين وأعداء الجديد ، مثل أهللك .
وإذن فلا أنت ولا أنا نستطيع أن نحترمهم . أنت موافقة ،
أليس كذلك ؟ غيري يتصرف بدبلوماسية ، ويخفي
قناعاته ، لكنني أقدرُ أن الحقيقة والشرف نافعان دائماً .

ليوبوف ايفانوفنا : لكن لماذا ؟ إن أبي ليس عدواً للجديد — على العكس !
فينيوفسكي : ألم ترَي أنه كان يخافني فقط وأنه منافق ؟ ثم إننا لا
نستطيع أن نحترم امرأة حمقاء لا تفهم شيئاً خارج النوم
والأكل .

ليوبوف ايفانوفنا : ومع ذلك ، كنتُ أحبهما . . .
فينيوفسكي : أحبّي ما هو حرّ وشريفٌ وعاقِل ! أحبّي الأشخاص
الذين يتجمعون في أنفسهم هذه الصفات ، ويستصبحون
إنسانية ، أما أن تحبّي امرأة لأنها ولدتك ، فلا معنى لذلك .
نعم ، يا صديقتي الرائعة ! إذا كنت تحبينني ، فإيس ذلك
من أجل جمالي ولا من أجل ذكائي ، ولكن لأن هذه
الصفات تجعلني فيّ ، نعم ، الأمر كذلك (يؤنّس
بالسماور) . أتعلمين الشاي ؟

ليوبوف ايفانوفنا : لا ، لا أريد شايّاً ، كل ذلك وسخّ وبشع .
انظري إلى هذه الفناجين . لا أريد شايّاً . . .

فينيوفسكي : نعم ، ليوبوف ايفانوفنا ، يا جلوتي الصغيرة بين
النساء . الآخرون يحصلون على هذه المعرفة بمشقّة لقاء

صراعات ودراسات طويلة ، وأيضاً فإن الطماع النادرة والقوية هي التي تفهم هذه النظرية بقوة ووضوح كفهمي لها ، بينما أنت يا حلوتي المحظوظة ، تحصيلين على ذلك كله بسهولة . يكتفيك أن تصغي وتحفظي ، ودفعة واحدة ترتفعين إلى العلو الذي ينهي أن يكون فيه إنسانُ الزمن الحديث . لكن لنُدعُ هذا الحديث . نحن الآن وحدنا ، ونحن حرّان . (يدنو منها) . لماذا لا تشررين ، يا حلوتي .

ليوبوف ايغانوفنا ، مكشّرة : آية فناجين هذه ! باللبشاعة ! كل الناس يشربون منها - وربما المرضى . لا أستطيع .

فينيروفسكي : لست نشطة اليوم . أمن الممكن ، يا عزيزتي ، ألا تسرك رحلتك هذه ؟

ليوبوف ايغانوفنا : سيات عندي ، أنا متعبة . لماذا لم تأت بدنياشا ؟

فينيروفسكي : عدت إلى دنياشا ؟ لا أري من حقي مضايقتك بالأسئلة . أنت حرةٌ مثلي ، وسيكون الأمر كذلك في المستقبل . إن رجلاً آخر في مكاني قد يري لنفسه حقوقاً عليك ، في حين أنني أنا أعترف بحريتك الكاملة . نعم ، يا فاتنتي ، ستتظم حياتنا بحيث تقولين عمّا قريب : هجرت السجن إلى الفضاء الطلق .

ليوبوف ايغانوفنا : لماذا لم تأت بدنياشا ؟

فينيروفسكي : كان سيكون ذلك تصرف رجل إقطاعي ، تصرفاً قبيحاً ، وكانت ستضايقتنا . (يقرب منها) . أمكن تقيلك الآن ،

ليوبوف ايغانوفنا : دَعْ هذا ! واغسلْ هذه الففاجين ! ما أوسخها !
فينيوفسكي مبتسماً : ليس هذا مهماً . (يعمل شايًا ويشرب) .
إذن يمكن تقييلك ؟ عندما تسمحين بذلك فقولي لي .
لعلك تريدان أن تستريحي ؟ سأخرجُ . لن أكدر حريرتك
أبدًا .

ليوبوف ايغانوفنا : لا . . . نعم . . . لا . . . لا أحتاج إلى شيء .
أنا ضجرة .

فينيوفسكي : أتظنين أنني لم أتوقع هذا الاحتمال ؟ على العكس .
لنسا رجال عمل من أجل جعل رفانة نصنعها . إننا
لا نتولّع بالأشياء تولعاً . كنت أعلم أنك ستضجرين .
أتريدان أن أقول لك لماذا ؟ لا تندهشي لأنني حوّرتُ
ذاك ، فليس في ذلك ما هو خارقٌ للعادة . لقد نشأت
في وسطٍ حقير . ولك طبيعةٌ "خيرة" ، لكنك اكتسبت ،
أثناء حياتك ، أشياء كثيرةً في جو البلادة والعفن ذاك .
ولقد بقيتْ هذه الأشياء فيك ، بصورةٍ غير ملحوظةٍ ،
وأنت لم تكوني تلاحظينها من قبل كما أننا لا نلاحظ الوحل
في اسطبل مليء بالزبل ؛ لكنك حين احتككت بالنقاء
وبالقوة ، غدا الوحلُ مرئياً أمامك وبهر النور عينيك .
وعندما تنظرين إليّ ، تَرَيْن أدراكك . . .
(يندرع الغرفة متفعلاً) .

ليوبوف ايغانوفنا ، بهدوء : آه ! دائماً عن نفسه .

فينيوفسكي : كيف ؟

ليوبوف ايفانوفنا : لا شيء . تكلم .

فينيوفسكي : لا تخافي من ذلك ، يا خلوتي ؛ فهو إحساسٌ عابرٌ .

الذين يخرجون من الظلمة لا يستحسنون الثور في اللحظة

الأولى ؛ لكن هذا انطباعٌ خاص بالتغيرات المفاجئة .

لماذا تنزعجين ؟ لأن العربية تبدو لك غير مريحة . لأنك

فقدت خادمتك ، ولأن الفناجين تبدو لك وسخة

كل ذلك يأتي من بلاد الملاك . فكّري إذن أن أمامك

حياة كاملة من الحرية ، ورجلاً تساهل مع التفاهة جهده ،

وأن . . .

ليوبوف ايفانوفنا : أنت لا تسمح إلا نفسك . . .

فينيوفسكي : أمدح ما يستحق المدح وألوم ما يستحق اللوم ،

أما أن تكون الجوانب الحسنة أو السيئة فيك أو في فليس

لذلك كبير أهمية . إن التواضع المزعوم هو أحد الأحكام

المسبقة التي استمرت بفضل الجهل والغباء . وهكذا فإن

أملك تدّعي أنها حمقاء . وهذا حسنٌ بالنسبة إليها .

هيه ! هيه !

ليوبوف ايفانوفنا : دّعني ، فقد ضجرت .

فينيوفسكي : حسناً ! سأسكتُ وسأقرأ قليلاً . وهذه الحالة ستزول

عندك . ربما كانت الحويصلة الصفراوية لم تصب محتواها .

وهناك ، لتحاشي ذلك ، وسائل فيزيائية . إن أغضب عليك

أبدأ . ومهما فعلت فسأبحثُ عن السبب ، وسأعثرُ عليه ،
وسأحاول إبعاده . سأسكتُ أنا ، أما أنت فخذني قليلاً
من الماء .

ليوبوف ايغانوفنا ، تنهض ، وتدنو من الباب وتُسأل : أعندكم امرأة ؟
أيمكن أن أدخل ؟

(يَجِيب صوتٌ : ادخلي إذا شئت . تخرج ليوبوف . تُسمعُ
جلاجل وأصوات) .

المشهد - ٤ -

« تدخل كاترين ماتيفينا » .

صوت تفيردينسكوي في الكواليس : يبدو أنه لم تبقَ جياد .

كاترين ماتيفينا : اسمح لي ، اسمح لي ، تقول : لم تبقَ جياد . إذن لماذا
يحمل هذا المكان اسم : محطة الأبدال ؟ المحطة تُقام ليكون فيها جياد ،
نعم أم لا ؟

(يدخل تفيردينسكوي ، بيتروشا ، كبير القرية . بيتروشا به
حازوقة) .

كبير القرية : قلنا لك أن جميع الجياد في العمل . هذان ينتظرانها
أيضاً .

(فينيروفسكي يشاهد التبادلين الجديد فيخرج دون أن يُرى) .

كاترين ماتيفينا : اسمح لي ، أنت لا تجيب عن سُؤالي . لماذا ترفضون
أن تعطوا الجياد ناساً لهم الحقوقُ ننسُها التي لأي جنرال .

بيتروشا : إغ . . . افهم إذن إغ . . . أننا ذاهبون إلى بطرسبرج ، ،
إغ . . . لم نأت من بعيد . . . إغ . . . جريبيشيفكا لنا .
إغ . . . أعطنا جياداً ، وإلا إغ . . . تعرضت لما يسوءك
. . . إغ . . .

كبير القرية : سأرسلُ إليكم مدير البريد .

(يريد أن يخرج) .

تفيردينسكوي ، يحتجزه : أيها الريفي المحترم ! أنت ترغب ، حسبما
استنتجتُ من كلامك ، أن تنفذ عمليةً تجارية . ونحن
لا نرغب أن نسهلها .

كبير القرية : كف عن المزاح ، يا سيدي ، ودعني وشأني .

(يدخل مدير البريد) .

كاترين ماتفيينا : اسمح لي أن أطلب منك جياداً . لنا من الحق مثل
الذي لأي رجل ذي رتبة . لقد مضى الوقت الذي يُحترم
فيه الجنرالات وحدهم ، ويُحتقر رجالُ العالم ،
وطلابه .

مدير البريد : ها قد مرّ ساعتان وليس عندنا أيُّ جواد ، تفضلوا
وانظروا إلى الدفتر . الناس متساوون ، عندنا وأنا أفهم
العصر الحاضر كأني إنسان .

بيتروشا ، لكاترين ماتفيينا : لا، اسمح لي ، إغ . . . سأقنعه . . .
: أستطيع أن أفعل ذلك . . . (لمدير البريد) : احكم
بنفسك . . . إغ . . . متى ستصل بطرسبرج . . . إغ . . .

إذا كنا عند كل محطة ... إغ ! ... ستحتاج إلى الجياد
حماً ... إغ ... أعطها ... احسب كم سيستغرق
ذلك ...

كاترين ماثيفينا : اسمح لي ، سأقتطعك .
المدير : لعلكم تريدون أن آتيكم بالدفتر ؟
بيتروشا ، لكاترين ماثيفينا : دعيني ... إغ ... سأقنعه ... إغ ! ...
نحن ذاهبون إلى المشا ... إغ ... عية .

المدير : أينما ذهبتُم فسيان عندي ...
فيلودنسكوي : يأخذ الدفتر : ذُكِرَ في هذا الدفتر أن ملازماً يدعى
ستياتوف كان مستعجلاً للعمل مُلح ، فتأخر بسبب تأخر
الأبدال .

كاترين ماثيفينا : سأقدم طلباً .
المدير : أرجوك ، يا سيّدة . لم يبقَ جياد ، وهذا كل شيء .
كاترين ماثيفينا : وأيُّ جهلٍ بواجباته فوق ذلك ، وأية وحشية !
فيلودنسكوي : اسمح لي ، سأصور في هذا الدفتر كل آلام نفسنا
وأخلاق مديري البريد القاتلة .

بيتروشا : لا ، دعوني اتصرف ، فعندي فكرة ... إغ ...
المدير : يسحب الدفتر منهم ، تهزؤون بي ، يا سادة ! لسنأ أقل
قيمةً منكم . إذا أحببتم أن تكتبوا فاكذبوا ، لكن لا
ينبغي أن تفتلوا أدبكم .

تفيردنسكوي : وهكذا ، يا كاترين ماتيفينا ، يُوقِفُ عائقٌ حقيرٌ
مسيرتنا نحو مشعل التقدم . هذا المواطن غاضبٌ . لِنَدْعُهُ

بيتروشا : إغ ! ... إغ ! ... إغ ! ...

تفيردنسكوي ، ضاحكاً : قلتُ لك إنك أفرطت في تذوق الخمر
الهنغارية .

بيتروشا : كيف ، يا سيدي ؟ إغ ! ... ليس في هذا ما يضحك ،
إغ ! ... على العكس ... لا أسمع لك بالضحك ...
إغ ! ...

تفيردنسكوي أية صبيانية في أن تستاء من كل شيء !

بيتروشا : وحدك صبي ... إغ ! ... أنا رجلٌ ... إغ ! ... حرٌ
... إغ ! ... قلتُ أنا نفسي ... إني ... إغ ! ...
ذاهب ... إغ ! ... إلى المشاعية .

تفيردنسكوي : نعم ، يا برييشيف الشاب ، فهذا أفضل لك .

بيتروشا : عبّرتُ عن رأيي بأنك أنت الصبي ... إغ ! ... لا أنا ،
أنت لا تعرف ... إغ ! ... حرية الفرد ... إغ ! ...
اسكت ... تخامتُ فقط وشربت هذا النبيذ ... إغ ! ...
وأنا أشعرُ بالغثيان ... إغ ! ... ولولا ذلك لأعربتُ ...
إغ ! ... عن آراء تدهشك ... إغ إغ ... أنا نغسان ،
(يجلس وينام في نومه) . عقبة ... ! ... ! ... للفردية !
ولـ ... إغ ! ... إغ ! ...

تفيردنسكوي : طيب ، لِنَنتظر . بل يمكن أن نتناول الشاي . لأنني
ضجرت . انظري ، ذاك واحد شرب هنا . يا ريفي ،

يا كبير القرية ، أيمكن أن نجد عندك الأداة التي تسمى

عادة : سماور ؟

كاترين ماتيفينا ، تجلس إلى الطاولة ، وتشعل سيجارة ، وترد :

شعركا إلى الورا : أحب طريقتك المرحية في النظر إلى

الحياة ، يا تفيردنسكوي . مهما تكن خطيرة الأحداث

التي تجري اليوم في حياتك ، فانك تدفن في أعماق نفسك

أفكارك السرية ولا تكف عن المزاح . كثيرون قد يبدونك

خفيفاً ، لكن هذا بالضبط هو ما أحبه فيك . وأنا أقدرك

من أجل هذا . نعم ، ها نحن قد سرنا الخطوة الأولى في

طريقنا الجديدة .

تفيردنسكوي : ما نفع الكلام دائماً ؟ إذا كنا نعلم أن القضية صحيحة

وأنا أحرار ومحققون ، فما المطلوب أكثر من ذلك ؟

لا أحب أن أستمع سلفاً . إذا جاءت ساعة العمل فأنا

عامل ومكافح ، وريثما تأتي ... يمكننا أن نبتهج بالمزح

الخفيف .

كاترين ماتيفينا : قل لي شيئاً واحداً : تساعات ، في الطريق ، لماذا

كان مؤسس هذه المشاعية رجلاً لا امرأة ؟

تفيردنسكوي : هيه ! المصادفة (يئؤتي بالسماور) . وإذن فمن الذي

سيقوم بصنع الشاي ؟

كاترين ماتيفينا : اسمع لي ، اعتقد أن المدي من الدواعي

كالتي لديك . اسمع : فلتضرع .

تفيردنسكوي : وهكذا ، فلنعهده إلى القدر الأعلى محل مشكلتنا .
 (يأخذ سيجارة ويخفيها وراء ظهره . تأخذ كاترين ماتفينا
 ملعقة وتفعل مثله) .
 كاترين ماتفينا : لا ، عليك أنت أن تحذر .
 تفيردنسكوي ، يمسك بذراعها ، ويلقي بسرعة نظرة دائرية حوله ،
 فيداعب ذراعها ويضغط عليه محرّكاً يديه : ومع ذلك
 فليست رديئة هذه الذراع المثلثة . الملعقة في هذه .
 كاترين ماتفينا ، مبتسمة : تفيردنسكوي ، لا تكن غيباً ، حذرت .
 سأحضر الشاي .

تفيردنسكوي كم يقرب الطريق بين الناس . أشعرُ باحساس غريب
 في جوارحي للمرأة . (يقترب منها) كم هو حسنٌ مثلك
 أنك لم تلبسي تنورة داخلية . وما هذه الثنية الصغيرة هنا ،
 ثنية قديمةٌ حتماً .
 (يشير إلى ظهرها) .

كاترين ماتفينا : تفيردنسكوي ، أعرف أبيات هوغو (١) ؟ هوغو
 رجل متخلف ، لكن حداثته الشعري نفذ إلى كثير من
 أمور المستقبل : لا تهينوا . . .
 تفيردنسكوي : ثنية من الطراز الأول . . . اسمحي لي أن أنشرها .
 لا أن أطويها ، بل أن أنشرها .
 (يلمسها)

(١) أبيات هوغو : استشهاد غير دقيق بالأبيات التي تبدأ كما يلي : « اوه ! لا تهينوا
 أبداً امرأة تسقط ! »

كاترين ماتيفينا ، ضاربةً يده : تفيردنسكوي ، عندما أعرفك معرفةً أوثق ، فسأروي لك حياتي . إن حياة المرأة شديدة غريب في مجتمع قليل التطور كمجتمعنا . (تبتعد) .
تفيردنسكوي ، لو كان تقديري لك أقل ، لشككتُ في صحة قناعتك . ماذا تفعلُ بذلك ؟

تفيردنسكوي : ما هذه الحالات الفريدة التي يمكن أن تحدث ! لقد عشنا ثلاثة أشهر معاً ، وتحدثنا فقط عن الأمور التي تثير التفكير ، والآن ، وفجأة ، تغير رأيي فيك كلياً . لماذا لا تريد أن أضع يدي هنا ؟ (يضعها على ظهر مقعد كاترين ماتيفينا) . لن أمس شيئاً دون إذن . لن أمس شيئاً .

كاترين ماتيفينا ، مشرقة : افحص أعماق ضميرك ، وحينئذ سأصغي بشرف إلى بوحك . لا أريدُ تولعات عابرة ، يجب أن تكون فوقها . لا تلمسني .

تفيردنسكوي : لستُ أَلَسُك ، ولستُ أَلَسُ شيئاً . لكن في نظرتك شيئاً مُفترساً ، شيئاً أعلى من المرأة . أجدُ رفاقي كانت له امرأةٌ صديقةٌ ، مربيةٌ . كنتُ نُسبتيها ~~فانوشكا~~ . أنت شبيهةٌ بها ، شبيهةٌ بها جداً . ما أَلَطَفَ هذه التنبؤ .

(يمسك بها ويضمها إليه) .

كاترين ماتيفينا : اسمح لي ، اسمح لي ، فكّر جيداً وافحص نفسك . الطريق التي . . . قل لي ، أيَّ حب تحبني ؟
(تنتزع نفسها منه وتنهض) .

تفيردنسكوي ، يتبعها : أنتِ عطرُ قلبي ، نوجيلة الأمل السماوي ،
أنتِ بخارُ نعلِ اصنامي المعبودة ، أنتِ كلُّ علوبةِ قبةِ
سماء الكون وكلِّ ضوئها . إني أحبكِ وأشتهي أن أشرع
في استغلالك ،

كاترين ماتيفينا : لا تنطقِ بحماقات ، فتمجرح في الكائن الشريف ،
لا المرأة . لستُ أميّر . أنتِ تقول : إني أفثناكِ بمذايبيتي ،
وأنا أعتبرك رجلاً كريم النفس ، فحللُ خاصيةَ هذه
الغاذية واشرحنها لي : حاولُ أن ترى الأشياءَ بموضوعية .
إن عقلاً محسوساً يمكن أن يصغي إليك . هذا ما عندي .

تفيردنسكوي ، يدنو منها ويمسكها بيدها : أيتها المرأة الإلهية ،
والحرة ! إن القدر يساعدنا . فرضيعُ « مينيرفا » (يشير إلى
بيتيا النائم) . طار بين ذراعي « مورفي » ، وغدونا وحدنا ،
يتنهشني الحب . (يمسكُ بها ويحاول تقبيلها) . المستقبل بين
يدي القدر ، والحاضر لنا . (يقبلها) . كفي إذن ، يا
عزيزتي !

كاترين ماتيفينا ، تدفعه بخوف : أنتِ تهينني . وبكِ أيضاً ، خُذِ عِـتْ .
سأصرخُ ، اتركني !

بيتروشا ، في نومه : الأسرة ... إلغ ! ... عِـقبةٌ ... لا .. فر ..
إلغ ! ... دية .

تفيردنسكوي ، غاضباً ، يتركها : هذا لا يليقُ بامرأة حرةٍ حقاً .
أن تفهم كل شيء بطريقتكِ قدرةٌ كبيرة .

كاترين ماتيفينا : يا إلهي ، إلى أين نزلت ! ... يا إلهي ! ... أكنيتي
فوق ... لا ... أنا فوق كل شيء .
(تلبس على حدة ، مضطربة وتستغرق في أفكارها) .

المشهد - ٥ -

كاترين ماتيفينا ، تفيردنسكوي ، فينيروفسكي وليوبوف
إيفانوفنا » .

ليوبوف إيفانوفنا ، تخرج ، وهي تلذف الدمع مدراراً : أين إذن
حرية المرأة إذا كنت تعذبني ؟ ... إني ضحرت ، ماما
كانت علي حق ... كاتنكا ! الكسي بافلوفيتش ، يا
صديقي ، وبيروشيا ! ماذا جرى ؟

تفيردنسكوي : مفاجأة مثيرة ! أنا ... نحن ذاهبون إلى بطرسبرج .

كاترين ماتيفينا : ليوبوف ! كنت محقة ! أكن دعي ... يجب أن
أفكر طويلاً .

(تتكىء على مرفقها وتفكر) .

بيروشيا ، يستيقظ فجأة وينهض : انتظروا ، سأروي أفضل ما
يروون ... يجب أن تعلمي أنت نفسك أن الأسرة ... لغ !
... في تطور الفرد ... لغ ! ... ربة . ذهبت وحدي إذن ،
أكن الكسي بافلوفيتش اكتشف أن هناك المشاعية ...
والمشاعية ... مؤسسة مذهشة ، آه إلا قيمة لذلك ...
أنا نعمة كثيرة ، أيقظتموني .

(يجلس) .

ليو يوف ايفانوفنا : ما به ؟

فينيروفسكي : لا شيء بخارق للعادة . كل شيء مفهوم . سكر الصبي .
ونجست عن ذلك فظاعة غير عادية .

بيتروشا ، ينهض : أنت نفسك فظاعة غير عادية . كل الناس يعلمون
أنك رجعي . قال لي الكسبي بافلوفتش وكاتريكا أنك تزوجت
من أجل المال . وهذه غفلة بحسب مفهوم
(ينام) .

ففيرفيسكوي : صبي ، في الواقع . ثق ، يا آفاتول له بيريفتش أنني
لم أقل ذلك ولا أراه ، لأن قناعاتنا . . .

فينيروفسكي : أن تقول ثم أن تنكر ما تقول ، هذا من شيمتك .
(لكاترين ماتيفينا) . أما معك ، يا آنسة فسأتكلم بحد .
عندما تفاهمتنا - هيه ! هيه ! هيه ! - في شقتي ، رجوتك .
ألا تتكلمي عن شخصي . وأجبرت على ومحيي بذلك .
إلا أنني أرى أنك لا تريد أن تقي بوعدي . وسأجبرك
في الوقت الحاضر على الوفاء به . هيه ! هيه ! هيه ! -
نعم . فنحن ، الرجال الأذكياء حقاً ورجال العمل ، نتميز
عن الثرثارين من جنس صديقك . . . وذلك بالضبط
لأننا لا نقاد بل نقود الآخرين ، كما قُدتك - هيه !
هيه ! هيه ! نعم . (بهدوء) . تتباهين بأنك حرة من
الآراء المسبقة ، لكن هناك أشياء لا تريد إعلانها ،
فاعلمي إذن . . .

كاترين ماتيفينا : اسمع لي ، اسمع لي . . .

فينيروفسكي : تنضلي .

كاترين ماتيفينا : لا ، لا شيء ؟ الحق معاك : دعني فقط انتهي من تفكيري (تجلس في الوضع نفسه) . اتركني ، من فضلك . سأجيبك فيما بعد .

فينيروفسكي ، لليوبوف ايفانوفنا : انتهيت الآن من هذه الأنسة . أما أنت ، فكنتي ، يا حلوتي . أنا متساهل مع الأشخاص الضعاف جسدياً وفكرياً ، وذلك شيء طبيعي ، لأنني أرى تماماً كل الطموحات الصغيرة . لكن عندما أعارضُ ، فمن عادي تحطيم العائق . تريد أن تُظهري أنك تماكين الإرادة . وهذا محمودٌ وإنساني ، لكن يجب أن يكون لك هدفٌ معقول .

ليوبوف ايفانوفنا ، بحرارة : أنت تعتقد دائماً أنك وحيدك العاقل . كاتنكا ، أنت لا تحبيني ، لكن قولي له الحقيقة ، من فضلك ، دافعي عني . أشعر بالضيق ، وبالضجر الشديد . لماذا تركتُهم جميعاً . لو كانت دنياشاً على الأقل معي ! كاتنكا ما بك ؟

(كاترين ماتيفينا تصمت ثم تجمب) .

كاترين ماتيفينا : ليوبوف ، دعيني انتهي من تفكيري . إن تحولاً كبيراً يجري في . أحسّ بذلك .

ليوبوف ايفانوفنا : أنت إذن ، الكسي بافاوفتش ، قل لي ، أكنت تعذب المرأة التي تحبها ؟ إنه يلوم أهلي ولا يُحِبني .

تفيردنسكوي : أنا في الحب ، ليوبوف ايفانوفنا ، حديثُ التنبُّر ،
بل إني كافرٌ بالحب .

ليوبوف ايفانوفنا : لا همَّ لكَ إلا المزحُ ، لكنني لا أمزح الآن . يا
إلهي ، لماذا سافرتُ .

فينيروفسكي : لماذا هذه الجمل الرنانة الكريهة ! كفى ! أقول لكِ
للمرة الأخيرة : حاولي أن تتبينني رغباتك ، ثم عبّري
لي عنها . الأمر بسيط . إني أعبر عن نفسي بشكل واضح
ومعقول . حاولي أن تفعلي مثلي .

ليوبوف ايفانوفنا : كاتنكا تتكلّم دائماً مثلك . أيمكن أن نقول كلَّ
ما نحسُّ به ؟ وكيف يمكنني أن أقوله ؟ . . . أنت لا
تتكلّم إلا عن نفسك . وأنت لا تحبّني ، ولم تفكّر فيّ
لحظة واحدة . . . فلماذا تضايقني فوق ذلك ؟ إني أضجر .
أنت لا تمدح إلا نفسك . بابا كان سيفهمني .

فينيروفسكي : قالتُ لك : إنني فوق هذه الجمل ولن تستطيعي إكراهي
على وَضْع قدمي في حَلَبَة هذه النقاشات التافهة التي
تدعينني إليها

المشهد - ٦ -

فينيروفسكي ، لكبير القرية : قلْ للفلاحين أن يربطوا خيولهم ،
سأدفع ضعف الأجرة .

كاثرين ماتفينا ، تنهض وتنفض شعرها : اسمحْ لي ، لقد أفلح
تفكيرِي . سأقول لكم في الوقت الحاضر كلَّ شيء . . .
إن علاقاتنا . . .

(تَسْمَع في الكواليس ضوضاء وصرخات) .

المشهد - ٧ -

« الشخص نفسهم وإيفان ميخايلوفتش » .

إيفان ميخايلوفتش : آ... آ... آ ! يا أصدقائي ! ها هم هنا الطيبون .
أمسكتُ بهم جميعاً معاً ! ...

تفيردنسكوي : أستطيع القول : إننا سنرى فضيحة صغيرة حادة .

فينيوفسكي ، يجلس على كرسي قبالة إيفان ميخايلوفتش ويحدق فيه
بوقاحة : هذا رجلٌ يحتاج إلى نقفة .

كاترين ماتيفينا : إيفان ميخايلوفتش ، أنا سعيدة برؤيتك .

ليوبوف إيفانوفنا ، مسارعةً إلى أبيها : بابا ، يا عزيزي ...

بيتروشا : ينهض من مكانه وينظر إلى إيفان ميخايلوفتش نظرةً
متبادلةً : اليوم ... إلغ ! ... كل الناس فهموا ... إلغ ...

إيفان ميخايلوفتش ، مُبعداً ليوبا بيده : حسناً ! (مخاطباً تفيردنسكوي)
تفضل بالاقتراب مني ، يا سيد .

تفيردنسكوي : أظن أنني مجبورٌ على أن أدفن نفسي إلى الأبد في
الريف ، من أجل عشرين روبلاً ؟ يبدو لي أنك تستطيع
أن تفهم بنفسك ...

إيفان ميخايلوفتش : لا ، يا صديقي العزيز ... هذه النعمة انتهت .
هل تعاقدت على تعليم ابني ؟

تفيردنسكوي : لعلك ترجو أن تُخيفني ... لكن (يخاف) . إن
الاقتصاد باللكم ليس حديثاً ...

ايفان ميخايلوفتش : « حديثاً » ؟ سَمِعْنَا بِذَلِكَ ! والذي تعهد بالعمل ، لم يترك عمله بدون سبب معقول فحسب ، لكنه يُضِلُّ الصبيَّ عن الطريق الصحيح ، ويُخْرِجُ به من بيت أبيه ؛ كيف تسمّي مثل هذا الرجل ، يا سيدي ؟ ألا تعلم ؟ يا خدّاع ! . . .

تفيردنسكوي : أنت وقع ، ولا أسمحُ لإنسان . . .

ايفان ميخايلوفتش : كيف ؟ (يهجم عليه) . لو كنت أكبر سنّاً ... لكنك جديرٌ بالثناء ، يا سيدي . . .

تفيردنسكوي : بدون شك ، هذا ما ننتظرُ من قليلي الأدب ومن المضطّهردين الصفاةعين .

(يراجع)

ايفان ميخايلوفتش ، يهجم عليه بعزمٍ أكبر : اخرج من هنا !
تفيردنسكوي : يلتقط صرّقه ويصرخ من الباب وهو ذاهب : رجعي حقير !

المشهد - ٨ -

ايفان ميخايلوفتش : دون أن يعير تفيردنسكوي انتباهاً : والآن ، جاء دورك ، يا صقري الصغير . (يدنو من بيتروشا) .
ساشكا ! (يدخل الخادم) . هل جئت بالعصي ؟

الخادم : تحت المقعد ، يا سيدي .

بيتروشا : الفردية ، الفر - د . . .

ايفان ميخايلوفتش ، للخدام : خذْ هذا السفينه ، وصبَّ على رأسه
سطلَ ماء ، أسمعني ؟ وضعه في المركبة . . .

بيتروشا : الطغيان ... و ... من الساطة الأبوية ... الفرد . . .

ايفان ميخايلوفتش ، يستدير فجأة ويصفعه على قذاله : لا تجادل !
امشِ ! ساشكا ، خذْهُ إلى البئر ، وغطَّسه بالماء ،
واحرسْه في المركبة . . .

بيتروشا : ولمَ ذاك ؟ ... أستطيع بنفسي أن . . .

ايفان ميخايلوفتش : أتذهب ؟ ...

الخدام : حسناً ! تفضّلْ واخرجْ ، بطرس ايفانوفتش . . .
(يخرج الخدام وبيتروشا) .

ايفان ميخايلوفتش ، لكاترين ماتيفينا : والآن ، أنتِ أيتها الطامحةُ
إلى التحرّر بشعرك المقصوص ، اسمحي لي أن أسألكِ :
أظنّين أن منزل عمك منزلٌ عمومي ، أو ماذا ؟ قولي ؟ .

كاترين ماتيفينا : ايفان ميخايلوفتش ! أشاطرك آراءك . . .

ايفان ميخايلوفتش : لا ، يا صديقتي ، دعي هذه الألفاظَ كلّها !
كنتُ أحمق ، لكني لن أكون كذلك بعد الآن . أكنتُ
ألتذُّ بإدارة أملاكك ؟ هل سرقْتُكِ ؟ أكان هناك مَنْ
يدفع لي نفقة لإقامتك ؟ دَخَلْتُكِ من أملاكك مئة روبل
في السنة ، وأنتِ . . . مِنْ الْمُقَرَف أن أتكلّم عن ذلك !

كاترين ماتيفينا : أنتَ محقٌّ تماماً ، ايفان ميخايلوفتش ، وطريقتي
في التصرف غير منطقية .

ايفان ميخايلوفتش : وماذا لقينا منك ، أنا ومازي فاسيليفنا ،
غير الاحتقار ؟ وبماذا توجت ذلك كله ؟ بالهرب وبهذه
الرسالة ! (يخرج الرسالة) لسبب قريبك ولا عمك ،
تفضلني واذهبي حيث شئت ، مع ذلك المدعي .

كاترين ماتيفينا : نعم ، يا صديقي العزيز ، نعم ، أنت تُعرب عن
الحقيقة ، نعم ، يا صديقي العزيز ، أدركتُ خطئي .
وأطلبُ نسيان ذلك . أنا امرأة شقيّة ، يا صديقي
العزيز .

ايفان ميخايلوفتش : حسبك خداعاً لي ، يا صديقتي . (يبصر
فينيروفسكي) . كفى !

فينيروفسكي : لم تنظر إليّ هكذا ؟ لا أكتمك ، ايفان ميخايلوفتش ،
أني تعبتُ من صراخك . عُدْ إلى بيتك ، فهذا أفضل
حقاً . فليس ها هنا أولاد حتى تخيفهم .

ايفان ميخايلوفتش : سأعود ، يا سيدي ، متى قاتُ كل ما في
نفسي .

فينيروفسكي : وماذا في نفسك ، أيمكن أن نعرفه ؟ سأصغي إليك
مع أنني أعلم سلفاً ما ستزويه لي . فلن يكون فيه شيء
جديد أو لطيف . . .

ايفان ميخايلوفتش : عندي الكثير ممّا سأقوله لك ، لكنني لن أفعل
ذلك بحضور امرأتك وابنتي . أتعجب من الشريف أن تحرّض
البنت على أبيها ، وأنا ، مع تخافني ، أعام أن المرأة التي

لا تقدّر أباه ، ليس لها شأن كبير ، والتي لا تقدّر زوجها
شأنها أقل .

فينيروفسكي ، لكاترين ماتيفينا : أظن أن هذا السيد ينوي أن يعالمني
الشرف ، هذا مضحك جداً .

كاترين ماتيفينا : هو على حق ، هو على حق تماماً ، لا تكلمني ...
(تدبير ظهرها) .

فينيروفسكي ، هازاً كفيه : يا كبير القرية ، قدّم الجياد - وأنت ،
إيفان ميخايلوفتش ، أنا أجلك مضحكاً ، مضحكاً لا غير .

إيفان ميخايلوفتش ، يصرخ : قلتُ لك : كفى . لندعُ هذا . اذهب
بسلام . (لليوبا) . جئتُك بدنياشا . خذها معك . كنا
حزينين ، حزنين جداً . . . لكن ، ليكنُ الله معك . -
عندما يصيرُ لك أولادٌ ستفهمين .

(يقبلها ، ليوبا تبكي) .

فينيروفسكي : اللعبةُ مُسلّتٌ تمثيلاً لا بأس به . لكنها بدأتُ تزعجني .
لنذهب ، ليونبكا لننتقل إلى الغرفة الثانية .

ليوبوف ايفانوفنا : بابا ، لا أريد ، لن أسافر ابتِ معي . (لفينيروفسكي)
دعني .

إيفان ميخايلوفتش : جُنِنتِ ! آنا تول دميريفتش ، يا صديقي
العزيز ، اعذرني إذا اهتجتُ . سنبقى . . .

فينيروفسكي ، يمسك امرأته بيدها : ليوبا ، لنذهب ، يستطيع أبوك
أن يستمرّ في رباطه مع كاترين ماتيفينا .

ليوبوف ايفانوفنا : بابا ، ماذا فعلتُ ؟ أنا أخافه ، وأكرهه .

(تخبّئ وجهها في صدر أبيها) .

ايفان ميخايلوفتش : أنت تهذين . ماذا تقولين ، ليوبا ؟ ليس هذا مسموحاً .

كاترين ماتيفينا ، نتقدم بمهابة ، وتردّ شعرها : الآن سأقول كل ما أفكّر فيه . اصغِ إليّ ، ايفان ميخايلوفتش ، اصغِ إليّ فينيروفسكي . يجب أن يهجر الحبّ هذا الرجل ، هذا الشخص الشقيّ الحقيّر .

فينيروفسكي ، يجهد في أن يطفى بصوته على صوتها : أنت امرأة حمقاء ، جاهلة ، عاهرة . اخرسي ، وإلاّ . . .

كاترين ماتيفينا : لا ، فينيروفسكي ، لن تخيفني . أنا طبيعة حرّة ، لن تغطّي صوتي ؛ أنوي أن أقول أنا نفسي كلّ شيء . أنت جبان ، والذي يقول لكّ هذا كائنٌ حرٌّ وليس امرأة . . . سيضيع ليوبا إن بقيت معه ، كما أضاعني قبل أن ينبذني . قبل نصف ساعة كنتُ أعدّ نفسي متفوّقة على الناس جميعاً ، أما الآن فأنا أشقى المخلوقات واجدّها بالرثاء ، وأتعسها .

فينيروفسكي : أنت غبيّة ، لا أكثر . وفعلاً لا يدهشني على الإطلاق ، لأنه ناجمٌ عن حمقك . ليوبوف ايفانوفنا ، أعرضُ عليك أن تسافري معي .

ليوبوف ايفانوفنا : لن أسافر إطلاقاً . أفضل أن أموت !

ايفان ميخايلوفتش : يابنتي المسكينة ! ماذا فعلتُ بكِ لنذهب . وداعاً ، يا سيّدي . الآن ، أستطيع أن أقول لك كلّ شيء .

أنت أردت أن تتزوج من أجل الثروة . وأنت لم تحب
ليوبوشكا ولم تحترمها . كان يلزمك شيء واحد :
المال ؛ وقد أخذته . وبما أنك أخذته هو والكائن الذي
لا تساوي خنصره ، فقد جليت له الشقاء وبصقت في
وجوه الذين لم يريدوا لك إلا الخير . الكبرياء والتفاهة !
الغلظة كلها غلطتي .

فينوفسكي ، يجهد في أن يغطي صوته ، ويمسك بيدها : كنت
أشفق على ليوبا التي كانت تدبل في أسرتك الحقيمة ؛
وقد أذقتها من فسادكم . ليوبا ، لنذهب ! لن أسمع
لأحد بالسخرية مني . سأسخر منكم . لنذهب !
(يسحبها بيدها) .

ليوبوف ايفانوفنا : أوجعتني ، لن أذهب ، لا أريد أن أكون
زوجة لك ، أنا أكرهك . . .

كاترين ماتيفينا : وهذا من أتباع المذهب الجديد ! مذهبا !

ايفان ميخايلوفتش ، هاجماً على فينيروفسكي : اتركها ! أسمعني ؟
(يقف أمام ابنته ، فينيروفسكي يريد أن يتقدم) . خطوة
واحدة ، وأحطمك قطعاً .

فينيروفسكي : هيه ! هيه ! هيه ! (يتراجع ، ويخرج ، على عجل ،
مسدساً من جيبه) . أنظن أنني لم أتوقع هذا ؟ توقعت كل
شيء ، باعتبار أنني أتعامل مع ناسٍ مثلك . توقعت
الشتيمة والمشاجرة . نحن رجال عمل ، ولا نسمح لأحد

بالضحك على حسابنا ، هيه ! هيه ! حاول أن تُسيءَ
إليّ .

(يصوّب مسدّسه) .

ايفان ميخايلوفتش : يقف أمامه ويهزّ رأسه : أحقق ! على مَنْ
تريد إطلاق النار ؟ حسناً ، افعل ! ليوبا ، لنذهب .

(يخرجان) .

فينيروفسكي ، وحده : هل استطعتَ إذن أن تهزأ مني ؟ — هيه !
هيه ! لا ، لسنا مثل تفيردنسكوي ... حتى يمكن أن
نُطْرَدَ ... بيكاشوف على حق ، فمع هؤلاء الأوغادِ
يجب أن يتخلى المرء عن مبادئه كلها . كنتُ شريفاً أكثر
من اللازم معهم ، لكن المرأة ، من ناحية أخرى ، حرّة ،
ولستُ أجدُ لي حقاً على امرأتي . آه ! نعم ، هناك أيضاً
صكّ هبةٍ أملاكها (١) .) يدخل الخادمُ ليمسحَ عن
الشال .) تعال إلى هنا ، خذْ هذه الورقة إلى سيّدك . لن
يفهموا أنني أعيد إليهم هذا الصك . هيه ! هيه ! لأن
العلاقات في هذا الوسط المتجمّد ما تزال متوحّشة وفظة .
أو لعلنا نحن قد أسرفنا في سبّقنا لهم ، وقد وُلِدنا
قَبْلُ الألوان بمئة سنة ، بحيث لن يكون بيننا وبينهم أيّ
اتّفاق ممكن .

ستار

(١) صك هبة أملاكها : تناقض واضح . فالصفحات السابقة أوهمت أن الصك لم يعط .

المقطر الأول
مسمية في ستة فصول
١٨٨٦

الشخصيات

فلاح

شيطان

إبليس

شيطان الموظفين

شيطان الفلاحين

العامل

الجار

المرأة

فتاة

شيخ

الأم

الشيخ الأول

الشيخ الثاني

الشيخ الثالث

الشيخ الرابع

الفصل الأول

حقل

المشهد - ١ -

فلاح

الفلاح يَحْزَنُ الأرضَ وينظر إلى السماء : ها قد انتصف النهار !
وحان وقتُ حَلِّ الدابة . هُو ، دي ! شُدِّي ! أعْيَاكَ
التعبُ ، يا مسكينة ! اصبري ، سنستريح ؛ شُدِّي
هذه المرة لآخرٍ نلْمِ ، وبعد ذلك سنأكل ... ما أحسنَ
هذه الفكرة وهي أنني حماتُ معي لقمةَ خبز . أنا في
غنى عن العودة إلى البيت . سأكل هنا ، قرب البشر ،
وسأَغْفُو قليلاً ، بينما ترعى الفرسُ شيئاً من العشب ،
ثم أستأنفُ بعد ذلك عملي ، بعون الله . الحمد لله ، سأنهي
عملي في ساعة مبكرة .

المشهد - ٢ -

« الفلاح . يظهر شيطانٌ في دغل » .

الشيطان : ما أَطْيَبَهُ ! إنه يَبْتَهِلُ إلى الله دائماً . انتظرُ قليلاً ،
سَتَبْتَهِلُ إلى الشيطان أيضاً . . . لناخذُ أولاً لقمةَ خبزِه .

سيشرع في البحث عنها ، ثم ينال منه الجوعُ ، وسينتهي به الأمرُ إلى النجديف وإلى الابتهاال إلى الشيطان !
(يختطف قطعة الخبز ويحملها إلى خاف الدغل حيث يجلس ليتابع من هناك ما سيجري) .

الفلاح ، يحل أحزمة عُدّة الفرس : باركني ، يا ربي ! (يُخرج فرسه من العريش ويُطلقه ويتّجه إلى الموضع الذي وضع فيه قفطانه) : آه ! أنا شديدُ الجوع . أعطتني زوجتي قطعةً كبيرة من الخبز ، سأكلها كلها . (يقرب من قفطانه) . ليست هنا ! لا بدّ أنني خبأتها تحت القفطان . (يرفع قفطانه) . وهي ليست هنا أيضاً ! هذا غير مقبول .
(يأخذ قفطانه وينفضه) .

الشيطان ، المختبئ خلف الدغل : احث ، احث ! انظر ، هذه هي ! . . .
(يجالس على قطعة الخبز) .

الفلاح ، يرفع حطبة وينفض قفطانه مرةً أخرى : هذا غير مقبول . لم يمرّ أحدٌ من هنا واختفتْ خبزتي ! لو أن الطيور أكلتها ل بقيَ منها فتاتٌ ! . . . لم أرَ أحداً . لا بدّ أن يكون قد أخذها أحدٌ مع ذلك .

الشيطان ، ينهض : صه ! ها هو يوشك أن يبتهل إلي .
الفلاح : باه ! ليكن . . . لن أموت من الجوع . أخذتْ خبزتي ؛ حسناً ! ليمّاكلها مَنْ أخذها على صحتي ، وجزاه الله خيراً ! . . .

الشيطان ، يبصق من الغيظ : آه ! يا له من فلاحٍ لعين ! لم يَبْسُقْ عليه إلا أن يُجَدِّفَ . ، ويقول « جزاه الله خيراً » . من المؤكد أنني لا يمكن أن أجني فائدة منه .

(يضطجع الفلاح على الأرض ويرسم علامة الصليب وينام) .

الشيطان ، خارجاً من خيف الدغل : لم أصلُ إلى نتيجة . ورئيسي إبليس يقول لي دائماً : « أنت لا ترسلُ لي إلى جهنم إلا القليل جداً من الفلاحين . في كل يوم يصاني جمهورٌ من التجار ، والإقطاعيين ، والناس من كل الأوضاع ، لكنك لا تكاد ترسلُ أحداً من الفلاحين » . وهو طيب القلب أيضاً ! لا أستطيع أن أدنو منهم ، فكيف أصطفي منهم أصدقاء ؟ هل يمكن أن نبتكر شيئاً أدهى مكرراً من سرقة قطعة الخبز الوحيدة لهذا الفلاح ؟ ومع ذلك فلم يَفُقهُ بأي تجديف . لا أدري ما الذي سأبتكره بعد ذلك . سأذهب لأقدم تقريري لرئيسي .

(يختفي في باطن الأرض) .

ستار

الفصل الثاني

جهنم

« يشغل ابليس المقعد الرئيسي . عند قائمة العرش يجلس الشيطان الكاتب وأمامه طاولة عليها محبرة . على الجانبين ، يقف الحرسُ . إلى اليمين خمسة شياطين في مظاهر شتى إلى اليسار قرب الباب : المحاجب . يقف أمام الرئيس شيطان أنيق الملبس » .

الشيطان الأنيق الملبس : في السنوات الثلاث المنصرمة ، تسلمت ما مجموعه ٢٢٠٠٠٥ مئتان وعشرون ألفاً وخمسة أشخاص . وكلهم تحت سلطتي حالياً .

ابليس : حسنٌ جداً . شكرًا : مُرَّ .

(يمرّ الشيطان المتميّز اللباس إلى اليمين) .

ابليس ، للكاتب : تعبتُ . هل بقي كثيرٌ من القضايا ؟ ممّنُ وصلّتنا التقارير وممّنُ لم تصلّ ؟

الكاتب ، يعدّ على أصابعه ، مشيراً إلى الشياطين الواقفين إلى اليمين والذين يتحنون كل بدوره ، عند تفقّد أسمائهم : حصّرَ شيطان الإقطاعيين وأعلن عن قبض ٨٣٦ شخصاً : وشيطان القضاة ٣٤٢٣ ؛ وشيطان النساء الذي وصل تقريره

في هذه اللحظة وهو يُعلن عن ١٨٦٣١٥ امرأة متزوجة و
١٧٤٣٨ بنتاً . بقي علينا أن نستمع إلى اثنين فقط : شيطان
الموظفين وشيطان الفلاحين . . المجموع في هذه الساعة هو :
٢١٧٦٥٥ .

ابليس : يمكننا إذن أن ننتهي من ذلك بسرعة . (للحاجب)
أَدْخُلْهُ . (يدخل شيطان الموظفين وينحني أمام ابليس) .
حسناً . ما عندك . كيف تسيرُ أموركُ ؟

شيطان الموظفين : أموري ! (يفرك يديه وهو يضحك) . بيضاء
كالسناج ! غنيمةٌ لا أذكر أنني وقعتُ على مثلها منذ
خَلَقَ العالم .

ابليس : آه ! آه ! قَبَضْتُ على كثيرين ؟

شيطان الموظفين : اوه ! ليس الرقم هو المهم ، وهو غير مرتفع ،
١٣٥٠ لا أكثر ؛ لكن ما أجسرهم ! أشخاص قادرون
على أن يقوموا بمهمة الشياطين . وهم أمهرُ منا في تعذيب
الناس . وقد علّمْتُهُم طرائق عملية جديدة .

ابليس : طرائق عملية جديدة ؟

شيطان الموظفين : ها هي : كان كِتَابُ المحاكم قديماً يتفقون مع
القضاة من أجل سفالاتهم . وقد استدرجْتُهُم ليستقلوا
بأنفسهم ، فلا يدافعون إلا عَمَّنْ يدفع مالا أكثر . لو
رأيت حميتهم ! إنهم يعثرون على الوسيلة التي يكونون

نافعين بها حيث يمكن الاستغناء عنهم بسهولة . أكرر
لك : إنهم يعدّون البشر أفضل من الشياطين .

ابليس : سأرى ذلك . (يمرّ شيطان الموظفين إلى اليمين . إبليس
للحاجب) . أدخل الأخير .

(يدخل شيطانُ الفلاحين وهو يحمل قطعةً من رغيف ، ينحني
أمام إبليس حتى الأرض) .

شيطان الفلاحين : ليس بوسعي أن أحيا هكذا . اعهدي إليّ بمهمات
أخرى .

ابليس : أية مهمات ؟ بمّ تهدي ؟ اقرب وتكلّم بوضوح أكبر
... . هات تقريرك . هل كسبت كثيراً من الأصدقاء بين
الفلاحين ؟

شيطان الفلاحين ، باكياً : ولا واحد .

ابليس : ماذا ؟ ... ولا واحد ! تقول ، ولا واحد ؟ ... وماذا
فعلت طوال هذا الوقت ؟ تسكّعت . . .

شيطان الفلاحين ، متباكياً : لا ، لم أفسد ... وتعذّبتُ عذاب الكلاب .
كل ذلك بلا جدوى . . . لم أستطع أن أحصل على شيء ...
انظر ، لقد اختطفْتُ من أحد الفلاحين ، وبحضوره ،
خيزته الوحيدة . أظنُّ أنه أقسم بالشياطين ؟ أبداً ، لا ...
تمنّى العافية لمن يأكل غداءه .

ابليس : ماذا ؟ ماذا تحكي ؟ . . . امتخطُ وتكلّم بوضوح . فلسنا
نفسهم شيئاً من غمغمتك .

شیطان الفلاحین: التضمیةُ أن أحد الفلاحین كان یحرث . وكنْتُ أعلمُ أنه یملكُ قطعةً من الخبزِ غداءً له ، لا غیر . فسرقْتُ له قطعه . كان ینبغي بعد ذلك أن یستشیط غضباً . آه ! كل ما قاله هو : « لقد أخذوا مني خُبزتي ؛ جَزَى الله خیراً مَنْ سیأ کأها . وها أنا أحملُ إلیک الخبزةَ ، خذها ، ها هي ذي .

ابلیس : طیب ! والآخرون ؟

شیطان الفلاحین: الآخرون ! لكنهم یتشابهون جميعاً . لا سبیل إلى قبْض واحد منهم .

ابلیس : کیف تجرؤ أن تَمثلَ أمامي ویداك فارغتان ! وفوق ذلك ، جئت تنشر الوباء بهذه الفضلة القنرة من الطعام . ما هذا ! أتراك تهزأ بي ؟ أتظنُّ أننا سنطعمك في جهنم من أجل سواد عینیک ؟ الآخرون یُتعبون أنفسهم ویکدّون . انظرْ إلیهم (یشیر إلى الشیاطین) . هذا کسبَ لي ١٠٠٠٠ نفس ؛ وهذا ٢٠ ٠٠٠ ألف ؛ الآخر ٢٠٠ ٠٠٠ ؛ أما أنت ، فانك تأتبنی وأنت غیر مسرور من نفسك ، وتُخرجُ لي فضلةً من الخبزِ قديمةً ، وتروي لي هذا الهُراء ! لست سوى ثرثار وكسول . الفلاحون یسْخرون منك ویُفْلِتون من یدیک . انتظرْ قليلاً ، یا صديقي ، سأفتَح لك عینیک .

شیطان الفلاحین: لا تَمُتْ لني ! دعني اتكلم . . . الآخرون جميعاً

مهمتهم سهلةً مع الإقطاعيين والتجار والنساء . لاشيء
أيسر : فمن أجل قبعة من الفرو ، ومن أجل قطعة أرض
ينخلع الإقطاعي ويسعد إلى آخر الدنيا ؛ والشيء نفسه
مع التاجر : أره المال فتستطيع أن تقوده وكأنما تقوده برسن
دون أن تخشى إفلاته . أما النساء فكل واحد يعلم أننا
نفعل بهن ما نشاء بالكلام الحلو وبالخلي . لكن الأمر مع
الفلاحين مختلف . إنهم يشتغلون من الصبح إلى المساء ،
بل وفي طائفة من الليل ، ولا يفتوتهم أبداً أن يبتهلوا
إلى الله ، قبل الشروع بأي عمل . فما الوسيلة إلى التأثير في
هؤلاء الناس . يا أبي ، أعفني من الاهتمام بالفلاحين . إنني
أخضّ دمي في ذلك ، وأجرّ على نفسي غضبك .

ابليس : أنت تكذب ، أيها الخامل ! دَعِ الآخرين وشأنهم .
وإذا اقتنصوا التجار والإقطاعيين والنساء فلأنهم يعرفون
كيف يداهنونهم ، لأنهم يبتكرون أبداً حيلة جديدة .
انظر ، إن المكلف بالموظفين ابتكر منذ قليل وسيلة
جديدة كلّ الجدة — ابتكر أنت شيئاً جديداً بدلاً من
أن تفخر بخبرة تافهة سرقتها . — يا لهذه المأثرة ! —
انصب حبالك حول الفلاحين فسيتهون بالوقوع في
الفخ . أنت تقضي وقتك كله في الثروة ، وبالطبع ،
إنهم يستفيدون من ذلك ، ويسردون قواهم . لم يعودوا
يأسفون على خبزهم ! وإذا أخذوا يتبنون هذه العادات
ويحولون إليها نساءهم ، فسندفقدهم تماماً . هيا ، ابتكر
لي شيئاً ! اجتهد في ذلك ما وسعك الاجتهاد !

شيطان الفلاحين: لاهمّ لي سوى الابتكار . ضَعْ أحداً مكاني . لم أعد .
قادراً على شيء . . .

ابليس بغضب : لم تعد قادراً ! لعلي أنا الذي سيشتغل مكانك ؟
شيطان الفلاحين: لا أستطيع .

ابليس : لا تستطيع ! انتظر ! هيه ! خذوا السيّاط واجلدوه .
(يمسك الحراس بالشيطان ويجلدونه) .

شيطان الفلاحين: آي ! آي آي !

ابليس : هل وجدت ؟

شيطان الفلاحين: آي ! آي ! لا أستطيع أن أجد شيئاً ؟

ابليس : اجلدوا ! اجلدوا ! هل وجدت ؟

شيطان الفلاحين: وجدت ، وجدت !

ابليس : آه ! قلّ لنا ماذا وجدت !

شيطان الفلاحين: وجدت وسيلةً أكيدةً لقبضهم كلهم . أعطني

فقط الأذن بأن أشتغل بالأجرة عاملاً عند أحد الفلاحين .

لا أستطيع أن أقول لك أكثر من ذلك الآن .

ابليس : ليكن . لكن لا تنسَ أنك إذا لم تستحقّ قوتك في

ظرف ثلاث سنوات فسأسلخ لك جلدك .

شيطان الفلاحين: في ظرف ثلاث سنوات ، سيكونون كلهم لي .

ستار

الفصل الثالث

« مخزن للغلال ؛ طنابر مملوءة قمحا » .

المشهد - ١ -

« الشيطان في ثياب عامل . يملأ مكياًلاً من القمح المأخوذ من طنبر .
ثم يحمله الفلاحُ إلى مخزن الغلال » .

العامل : هذا سابعُ مكيال .

الفلاح : وكم « تشيتفيرنا (١) » ؟

العامل : بعد أن نظر إلى العلامات الموضوعة على الباب : ستة
وعشرون . ومع هذا المكيال تصبح سبعة وعشرين .

الفلاح : لن يخل القمحُ كله . امتلاً المخزنُ .

العامل : سوّه جيداً .

الفلاح : هذا ما سأفعله .

(يأخذ المكيال) .

(١) تشيتفريت : مكيال روس يساوي ٢,٠٩٧ هيكولتر .

المشهد - ٢ -

« العامل ؛ يبقى وحده ، ويرفع قبعته فنشاهد قرنيه »

« سينشغلُ فترةً ، وسأستغلّ غيابه لأقوم ، قرنيّ قليلاً . (يقوم قرنيه) . وأنزع حذائي ، وذلك مالا أستطيع أن أفعله أمامه . (يسحب جزمته فترى قدماء الظلّفاوان . يجلس على العتبة) . هذه السنة الثالثة الجارية ؛ وعمّا قريب لا بدّ له من أن يردّ لي حساباتي . . . هو لا يجد مكاناً يخزن فيه قمحه ؛ بقي أن نعلّمه آخر حيلة في طريقي . وبعد ذلك ، قد يأتي الرئيسُ ذاته ، وسأُريه شيئاً ما . سيدفع ثمنها غالباً ، قصة الخبزة .

المشهد - ٣ -

« يدخل الجار ؛ يخفي العامل قرنيه » .

الجار : طاب يومك .

العامل : طاب يومك .

الجار : أين معلّمك ؟

العامل : إنه يكدّس القمح في مخزن الغلال . لم نتمكنْ من إدخاله كله .

الجار : حظّه عظيم ! ألاّ يجد مكاناً لمحصوله ! هذا هو الصيف الثاني الذي يُدهشنا فيه بمحصوله من القمح . كأنّ هناك منْ يُعلّمه مسبقاً . في السنة الماضية ، في الجفاف ، بنر

قَمَحُه في الأراضِي المنخفضة . لم يحصد أحدٌ في البلد
شيئاً ، وملأتم أنتم مخزناً للغلال بكاماه . في هذه السنة ،
سنة المطر : زرع هو ، الشاطر ، في الأراضِي العالية ،
وبينما تعفنُ الزرعُ وهو قائم في كل مكان آخر ، كان
القمح وفيراً عندكم أنتم . وأيّ قمحٍ !

(ينثر بيده حفنةً من القمح ويضع بعض الحبات) .

المشهد - ٤ -

« الشخصان ثم الفلاح » .

الفلاح ، الذي يخرج من المخزن وهو يحمل مكيالاً فارغاً : طاب
يومك ، يا رفيق .

الجار : طاب يومك . كنتُ أسألُ عاملَكَ كيف استطعتم أن
تنبؤوا بالمكان الملائم للبذار . كل الناس يَغْبطونك . جاءك
الكثيرُ من القمح ، الكثير من القمح حتى إنك لن تستطيع
أن تأكله كله في عشر سنوات .

الفلاح : كل ذلك ، فهو بفضل بوناب . (يشير إلى عامله) .
إنه ذو ذكاء وحداقة . في السنة الماضية ، أرسلتهُ بحرثُ ،
وحلده . وعندما رأيتُ أنه حرث لي السبعة شتمتهُ ،
صدّقني . إيه ! ... ومع ذلك أقنعني بأن نزرع هناك ،
فزرعنا . وكانت النتيجة جيدة . وهذه المرة أيضاً كان
تنبؤهُ صحيحاً : بنر في الأراضِي العالية .

الجار : كأنه يعرف الطقسَ في السنة كلها . . . آه ! ما أعظم
محصولك . (صمت) . قل لي ، جئتُ أطلب منك
نصف مكيال . فقد نفدت مؤنتي . وسأردّها لك في السنة
القادمة .

الفلاح : خذْ ، خذْ .

العامل : بصوت خافت للفلاح ، وهو يدفعه . لا تُعطه .

الفلاح للجار : لا حاجةَ إلى الشروط . تقدّمْ ، خذْ .

الجار : شكراً ، سأذهب لآتي بكيسٍ .

العامل ، بينه وبين نفسه : لم يفقد بعد هوسه القديم بالعطاء ؛
وهو لا يتبع نصائحي كاه . باه ! بعد بعض الوقت سيفقد
هذه العادة .

(يخرج الجار) .

المشهد - ٥ -

« الفلاح والعامل »

الفلاح ، جالساً على العتبة : ولمَ لا نُعطي مثل هذا الرجل الطيب ؟

العامل : باه ! إن كان يسرّك . . . فأعطِ ؛ لكنك لن تستردَّ
حبةً ممّا تُعطي . العطاء سهل ، مثل التدرّج عن الجبل ؛
لكن الاسترجاع صعبٌ ، مثل صعود الجبل ، كما يقول
الكبار .

- الفلاح : دَعْنِي وشَأْنِي . فعندي الكثير من القمح . . .
- العامل : طيب ! . . . وبعد ذلك ؟ . . .
- الفلاح : عندي ما يكفيني ، لا للموسم القَادِم فقط ، بل لستين بدءاً من اليوم . عندي مالا أعرف كيف أفعلُ به .
- العامل : لا تعرف كيف تفعل به ؟ لكنني سأصنع لك بهذا القمح ، بقمحك ، شيئاً ثميناً ، يُفرحكَ طوال حياتك .
- الفلاح : وما ذاك ؟
- العامل : شرابٌ ، شرابٌ يمنحك القوةَ إذا أحسستَ بالضعفِ ، وبمنحك الشهيةَ إذا أحسستَ بالشبع ، وبمنحك النوم إذا عجزتَ عن النوم ، وبمنحك الإقدام إذا أحسست بانحطاط قواك . هذا هو الشراب الذي سأصنعه لك .
- الفلاح : أذتَ تُضحكني .
- العامل : على راحتك . لم تصدّقني عندما نصحتُك في المرة الأولى أن تزرع في السبخة ، وفي المرة الثانية أن تزرع في الأراضي العالية . وقد رأيتَ النتائج مع ذلك . وسترى أيضاً بالنسبة إلى هذا الشراب .
- الفلاح : لكن بماذا ستصنعه ؟
- العامل : بهذا القمح نفسه .
- الفلاح : ولن يكون ذلك إثماً .
- العامل : يا لها من فكرة ! أي إثم تريد أن يكون ذلك ؟ كل شيء مُعطى للإنسان كي يتمتع به .

الفلاح : قل لي ، يا بوتاب ، من أين جاعك هذا العامُ الوفير ؟
إني ألاحظُك ؛ أنت مُكبّ دائماً على عملك بعيداً عن
الادعاء ؛ فمنذ سنتين وأنت تعمل عندي لم يتسنَّ لك نزع
حذائك ، مع ذلك فأنت تعام كل شيء . أين تعلّمتَ
ذلك كله .

العامل : اوه ! تجوّاتُ قليلاً في أماكن شتى .

الفلاح : أنت تقول إذن : إن هذا الشراب سيمنحني القوة ؟

العامل : سترى . ليس له إلا النتائج الحسنة .

الفلاح : وكيف ستصنعه ؟

العامل : ليس ذلك صعباً . يكفي أن تعلم . أنا بحاجة فقط إلى قدرٍ
ووعاءين من المعدن المسبوك .

الفلاح : أهو الميذُ الطعم .

العامل : حلوا كالعسل . إذا ما ذُقْتَه لم تستطع الاستغناء عنه .

الفلاح : هيا ! سأسأل الجار إن كان قدره ما يزال عنده . يجب
أن نرى ذلك .

ستار

الفصل الرابع

« في مخزن الحبوب . في الوسط ، وُضع على المنار قلدراً أُغلقَ
إغلاقاً محكماً ، يتصل بوعاء من المعدن المسبوك ، له حنفيّة » .

المشهد - ١ -

الفلاح والعامل

العامل ، يمسك بكأس تحت الحنفيّة ويلبّس ماء الحياة : يا معلّم ،
صار الشراب جاهزاً .

الفلاح ، الذي قرفص وأخذ ينظر : شيءٌ عجيب ! عجبتُك
بُعطي ماءً . لعلك تصبّ الماءَ أولاً ؟

العامل : ليس هذا ماءً . هذا هو الشراب نفسه .

الفلاح : كيف ؟ هو صافٍ ؟ ظننتُ أن سيكون له لونُ الجعة ،
كأذه ماءٍ عذب .

العامل : لكنْ ، أيّة رائحة هذه !

الفلاح ، ينشق الرائحة : هيه ! أيّ عطرٍ هذا ! دعني أذفقه .

(يهم بأخذ الكأس من بين يدي العامل) .

العامل : انتظرْ ، ستقلبُ كل شيء . (يُخلق الحنفيّة ، يشرب ،
ويصفق بلسانه) . هي فلجعة . خذْ ، اشرب !

الفلاح ، يشرب جرعةً أولاً ، ثم جرعةً أخرى ؛ وعندما يشرب كل ما في الكأس يناولها إياها : مات أيضاً ، كان ما فيه أقل بكثير من أن أحس مذاقه .

العامل ، ضاحكاً : استسغته ، أليس كذلك ؟

(يملأ له كأسه) .

الفلاح ، يشرب : ليس رديئاً ، هذا الابتكار . . . يجب أن أنادي المرأة . . . يا مارفا ! صب لي قليلاً ! صار جاهزاً للشرب . . . تعالي ، تعالي .

المشهد - ٢ -

« الفلاح والعامل والمرأة وفتاة » .

المرأة : ماذا ؟ مالك تصرخ هكذا ؟

الفلاح : ذوقي شيئاً ممّا صنعناه هنا . (يمدّ إليها الكأس) شمّي لي هذا .

المرأة ، بعد أن شمّت : عجباً ، عجباً !

الفلاح : اشربي .

المرأة : ألا يؤذيني هذا ؟

الفلاح : اشربي ، يا حمقاء .

المرأة ، تشرب : هيه ! نعم ؛ هو لذيذ .

الفلاح : وقد ثملَ قليلاً . صدقتكِ أنه لذيذ . لكن انتظري ،
ستريّن . بوتاب يقول إنه يزِيل تعبَ الجسد . وبه يُصبح
الشبابُ شيوخاً . . . لا ! بمَ أهذي ؟ قصدتُ أن الشيوخ
يصبحون شباباً . . . لم أشرب سوى كأسين صغيرين ،
أليس صحيحاً ؟ . . . وأحسّ بقواي تعود إليّ . (يبدو
عليه الافتخار) . أرايتِ ؟ ما رأيك ! سنشربُ منه ،
نحن الاثنين ، وسنعود شابين . هيه ! هيه ! مارفا . . .

(يقبلها)

المرأة : ما هذا ، ما الذي دهاك ؟ أدار لك الشرابُ رأسك .
الفلاح : صدقتِ ... آه ! كنتِ تتهميننا ، أنا وبوتاب ، بتضييع
القمح . انتظري ماذا فعلنا منه . لن تشكّي الآن ؟ أهو
لذيذ ؟

المرأة : لا شك أنه لذيذ ، بما أنه يُعيد الشباب إلى الشيوخ ...
ها أنتِ الآن فتى شديد القوى . . . والواقع أنني أحسّ
بالمرح يملؤني . آه ! لنُغنّ ! آه ! آه ! آه ! ...

(تُغنّي) .

الفلاح : انتظري ، انتظري ! كلّنا شباب ، كلنا فرحون .
المرأة : يجب أن تُحضّرَ أمّك . فهي دائماً متدمّرةٌ ، متكدّرةٌ
المزاج ؛ سنغيّرُها لك . سيردّ لها الشرابُ شبابها وستغدو ،
من غير شك ، أكثر لطفاً .

الفلاح : وقد سكر تماماً : صحيح ، نادي أُمي . (للفتاة) . هيه !
هيه ! ماشكا ! اركضي وأحضري الجدة . . . أحضري
المعجوز أيضاً . . . أنا أمره بالنزول عن الموقد ، وماذا
يصنع عليه ؟ سنردّه شاباً . هيا . اسرعي . كان ينبغي أن
تكوني هناك . اجري !

(تخرج الفتاة راكضة) .

الفلاح للمرأة : ما رأيك ؟ أتريدين كأساً أخرى ؟ (العامل يملأ
الكأس ويعطيها الفلاح) . مفعول الشراب يبدأ أولاً
من فوق . . . من اللسان الذي يعود إليه شبابه ، ثم يأتي
إلى اليدين . . . وها هو يصل إلى القدمين الآن . . . نعم ،
أحسّ أن قدميّ تستعيدان نشاطهما . انظري ، هاهما
تنظلقان .

(يرقص) .

المرأة ، بعد أن شربت بدورها : اعزف لنا ، يا معام بوتاب ،
لحناً راقصاً .

(يتناول بوتاب البلايكا ويعزف . يرقص الفلاحُ وامرأته .
يعزف العامل في مقدمة المسرح ، ويضحك وهو يغمز بعينه ، وفجأة
يقف عن العزف ، لكن الفلاح وامرأته يتابعان رقصهما) .

العامل : ستدفع لي غالياً ثمن كسرة الخبز ! إن هذين المستهترين
في الحالة التي أويدهما لهما . وسيظلان في قبضتي زمناً
طويلاً . فليأت ، ذلك الرئيس العظيم !

« الأشخاص أنفسهم ، تدخل الأم العجوز ، غصّة الإهاب ،
وشيوخ محتلّ بالبياض » .

الشيخ : ما هذا ! جنّنتم ؟ الناس يشتغلون وأنتم ترقصون !
المرأة ، تغني وهي ترقص وتصفّق بيديها : أوهي !
أوهي ! أوهي ! أذنبتُ أمام الله . الله وحده بلا ذنب !

الأم : كيف ، يا حقيرة ! ... ترقصين بدلاً من أن تحضري
القرن !

الفلاح : كفتي عن ذلك ، يا أمي ، ليتك تعرفين ما الذي أصابنا !
... عندنا الوسيلة التي تردّ الشيوخ شباباً . خذي ، اشربي
هذا فقط .

(يمدّ إليها كأساً مملوءاً من ماء الحياة) .

الأم : في البئر ماءٌ كثير . (تشمّ ماء الحياة) .
ماذا دسّستم فيه ؟ . . . ما هذه الرائحة الغريبة !

الفلاح والمرأة : لكن اشربي .

الأم ، تذوق ماء الحياة : عجباً ، عجباً ! . . . لكن يقتلني هذا ؟
بالتأكيد ؟

المرأة : على العكس ، سيُنشئُ لك هذا . ستعودين شابة . . .
تماماً .

الأم : حقاً ؟ (تشرب) . آه ! ... هنا للذيد ... ألذ من العجعة .
وأنت ، أيها الأب العزيز ، ذُقْهُ أنتَ أيضاً .
(الشيخ الجالس يهزّ رأسه) .

العامل : دعوه . . . لكن صبّوا للجدة كأساً أخرى .
(يتقدّم لها كأساً) .

الأم : أخاف أن يؤذيني هذا . . . أي ! لأنه يُحرق ! . . . ومع
ذلك فهو يستهويني . . .

المرأة : اشربي ... ستحسّين كيف يسيل في عروقك .

الأم : آه ! لنشرب !

(تشرب)

المرأة : ماذا ! هل نزل إلى قدميك ؟

الأم : ها هو ينزل . . . نعم ، ها هو . . . آه ! كم أحسّ أنني
خفيفة . . . في الواقع ! لنشرب قطرةً أيضاً . (تشرب) .
آه ! الحقّ أنني غدتُ شابةً . . .

الفلاح : هذا ما قلته لك .

الأم : ليت رجلي الذي غاب يراني مرةً أخرى كما كنتُ في
أيام شبابي !

(العامل يعزف ، الفلاح وزوجته يعزفان) .

الأم : ، تتقدّم إلى وسط المسرح : ما هذه الطريقة في الرقص ؟

سأريكم أنا ، كيف ترقصون . (ترقص) . ثم هكذا . . .
وهكذا . . . رأيتم ؟

(يذهب الشيخ ويفتح حنفية القدر . يسيل ماء الحياة على الأرض .
وما أن يرى الفلاح ذلك حتى يهجم على الشيخ) .

الفلاح : ماذا تفعل أيها اللص ! تضيع كل هذه الثروة ! أيها
الغبي العجوز . (يدفعه ويضع قدحاً تحت الحنفية) . لقد
سأل كل شيء .

الشيخ : هذه ثروة ؟ هذا هو الملاك الأبدي . إن الله أطلع قمحك
ليكون غداء لك ولقريبك . وأنت صنعت منه شراباً
شيطانياً ، لن يكون ذلك لخبرك . دغ هذا كله . . .
أتظن ذلك شراباً ؟ لا . بل هو نار ، نار تحرقك .

(يأخذ شعلة من النار التي تحت القدر ويقربها من ماء الحياة السائل
فيشتعل . يرتعب الجميع) .

ستار

الفصل الخامس

داخل كوخ خشبي

المشهد - ١ -

العامل وحده: يرى قرناه وقدماه الظلّغاوان : القمحُ كثيرٌ هذا العام أيضاً ؛ ولا نعرف أين نضعه ، وفلاحنا قد استساغ الكحول. قطّرنا مرةً أخرى ، لكن ماء الحياة ، هذه المرة ، في البرميل ، في مأمنٍ من الفضوليين . لم نعد نقدّم الشراب مجاناً . ولنا نقدّمه إلا للذين ينتظرُ خدماتٍ منهم . وهكذا فقد دعا ، بناءً على نصيحتي ، جميع مستغاثي البلدة القدماء إلى الشراب عنده اليوم ، لكي ينقّسوا الملكية بينه وبين جدّه ، بحيث لا يَبْقَى لجدّه شيء . واليوم أيضاً هو نهاية التزامي . لقد انقضت السنواتُ الثلاث . وكل شيء جاهز . يستطيع الرئيس أن يأتي. ليس عندي ما أخجلُ به أمامه .

المشهد - ٢ -

ابليس والعامل

ابليس : خارجاً من الأرض : حسناً ! ها قد انتهى الموعدُ المفروب. هل استحققت لقمة الخبز ؟ وعدتك أني سأتي بنفسي . هل صنعت شيئاً من فلاحتك ؟

العامل : بالطبع . وستحكمُ أنتَ بنفسك . سوف يهتمون هنا بعد قليل ، فاختيمُ في القرن ولاحظُ ما سيجري . سوف تُسرُّ .

ابليس ، ينسلّ الى القرن : سوف نرى .

المشهد - ٣ -

« العامل وإبليس . الفلاح يصبّجه أربعةُ شيوخ . تتبعه امرأته . يجلس الرجال حول المائدة . ترتّب المرأةُ المسحون وتضع على المائدة طبقاً من العمير المجدد وصحناً من الفطائر المحشوة . يتبادل الشيوخ والعامل التحيّات » .

الشيخ الأول : حسناً ! وهل صنعتَ هذه السنة أيضاً شيئاً من شرابك ؟

العامل : أجل ، كمية لا بأس بها . ولم نَدَعِ القمح يضيع ؟

الشيخ الثاني : وهل نجح الشراب ؟

العامل : هو خيرٌ من السنة الفائتة .

الشيخ الثاني : وأين تعلّمتَ ؟ . . .

العامل : بالسفر نتعلّم كثيراً من الأشياء .

الشيخ الثالث : صحيح ، صحيح ! أوه ! إنه يعرف كثيراً من الأشياء .

الفلاح : اشربوا .

(تحمل المرأةُ ابريقاً وتصبّ لهم ليشربوا) .

المرأة : على صحتكم ، يا ضيوفنا !

الشيخ الأول : يشرب : على صحتك ! . . . آه ! هذا للذيذ . . .
هو يُلينُ المفاصل . . . شراب رائع ! . . .

(يردد الشيخ بالتتالي الجواب نفسه . يُظهر إبليس رأسه من
فتحة القرن . يأتي العامل ليقف بجانبه) .

العامل لإبليس : تأمل الآن ما سيَجْري . عرقلةٌ ماهرةٌ لتلك
المرأة الساذجة ستقلبُ لها كأسها . . . لم يكن بأسف قديماً
على خبزها ، فاسمع ما سيقوله الآن من أجل كأسٍ من
ماء الحياة .

الفلاح : يا امرأة ، هلا صبيت . . . جولةً أخرى . . . للاشبين
هناك ، ثم للعم ميشيل .

(تدور المرأة حول الطاولة وهي تصبّ الشراب لكل واحد منهم :
يُعرفها العامل فتتعرّض فتكبّ شراب كأسها » . . .
المرأة : آه ! يا إلهي لقد أوقعته . . . لكن لماذا تنحسر أنت
يا شيطان بين ساقَي .

الفلاح ، هائجاً على امرأته : آه ! يا امرأة الشيطان الملعونة ! إنها
خرقاء كالكتّماء وتسمح لنفسها بأنهام الآخرين . أيّ
كثرة أرقّة على الأرض !

المرأة : لم أفعل ذلك عمداً .

الفلاح : أرجو ذلك . . . نخدي حذرك ، ان نهضت فسأعاقبك

كيف تكبّين ماءَ حياتي . (للعامل) وأنت . أيضاً ، لم
تدورُ حولَ المائدة ، أغربُ عني إلى الشيطان ! .

(تصب المرأة الشرابَ للشرب مرةً أخرى) .

العامل مقرباً من الفرن ، لإبليس : رأيتَ ؟ قديماً كان فقدانُ كسرة
الخبز الوحيدة لا يدعوهُ إلى الأسف ، أما اليوم فمن أجل
كأس حقيرةٍ من ماء الحياة يوشك أن يفرب امرأته ويرسبل
بي إلى الشيطان . . . إليك .

إبليس : جيّد . اهتئكت .

العامل : واصبر قليلاً . فسوف تبهتني ، عند نهاية الزجاجة . ها
هم قد أخذوا يقولون الكلام اللطيف والمعسول ؛ وعما
قريب يأتي التماقُ ، وسوف تستمع حينئذ إلى حيل هذه
الثعالب القديمة .

الفلاح : حسنًا ! أيها الشيوخ المحترمون ، ما الذي قرّرتموه بشأني ؟
إن جدّي الذي كان يعيش معنا والذي كنتُ أطعمه ،
قد عاد إلى بيت عمّي . وهو يطلب حصّةً من أرضي
ليُعطيها ابنه . . . أعلم أنكم ستسوون هذه القضية أحسن
تسوية . فأنتم رجالٌ أذكاء . آه ! يا إلهي ! لولاكم ،
لما كنا سوى جسم بلا رأس . . . لا شبيه لكم في القرية .
إيفان فيدوتتش ، مثلاً رجلٌ من الطراز الأول . . . كل
الناس يقولون ذلك . . . أما أنا ، فإذا شئت أن أكلمك
بصراحة ، يا إيفان فيدوتتش ، قلتُ لك : إنني أضمر

لك من الحب أكثر مما أضير لأبي ولأمي . . . الأمر هكذا .
وميشيل ستيانيتش . . . هذا الصديق القديم . . .

الشيخ الأول ، للفلاح : إن الحديث مع الرجل اللطيف فَرَحٌ للقلب ،
وغنىٌ للعقل . . . وأنتَ ، أنتَ رجلٌ طيبٌ ، والحق
أنك أنتَ أيضاً لا مثيلَ لك .

الشيخ الثاني : أنتَ ذكي ومحبوب . ولذلك أحبّك .

الفلاح الثالث : إني أحمل لك الكثير من الحب حتى إن الكلمات تُعْوزني
للتعبير عنه . قبل قليل كنتُ أقول ذلك لأمراتي .

الشيخ الرابع : أنتَ صديقٌ ، صديق حقيقي !

العامل لابليس ، وهو يدفعه : أرأيتَ كيف يكذبون . إذا أداروا ظهورهم
أَوْسَعَ كل واحدٍ جارةً شتداءً . . . لكنْ انظر إليهم ،
إنهم كالثعالب التي تُحرّك أذنانها . هذا من تأثير شرابي .

ابليس : شرابٌ جيد ! شرابٌ ممتاز ! . . . إذا بدؤوا يكذبون
على هذا النحو فهم جميعاً لنا . مرحى ، أهذاك .

العامل : انتظر حتى يشربوا زجاجةً ثانية ، وسترى ما الذي يكون .

المرأة ، تحمل ماء الحياة أيضاً : هيّا ، اشربوا . على صحتكم !

الشيخ الأول : لعلنا قد أكثرنا ؟ . . . على صحتك . (يشرب)
من المجتمع أن يشرب المرء مع شَرَبٍ كبرام .

الشيخ الثاني : لا سبيل إلى الرفض . . . على صحتكما : السيد والسيدة !

الشيخ الثالث : يا أصدقائي ، أشربُ على صحتكم

الشيخ الرابع : آه ! ما ألدَّ هذه الجمعة ! . . . هيا ، لنسوّي الأمر كله . . . أريد ذلك .

الشيخ الأول : تريدُ ذلك ! لستَ أنتَ الذي يأمرُنا ، وإنما نحن القدماء .

الشيخ الرابع : آه ! نعم . أنتم أقدمُ ، لكنكم أغبى أيضاً . أغربُ من حيثُ أتيتُ .

الشيخ الثاني : مهلاً ، لمَ تَشْتُمُ الناسَ ، أنتَ ، يا غبي !

الشيخ الثالث : الحقُّ معه ، على كل حال . لم يُقَمِّ صاحبُ البيتْ مَأدبته من أجل سواد عيوننا . يريد أن نسوّي له شؤونَه الصغيرة . . . يمكننا أن نفعل ذلك له . . . لكن . . . يجب أن يَسْقِينَا . . . أليس صحيحاً ؟ . . . ثم . . . يجب أن تُبدي احترامَكَ ، كما تعلم ؟ . . . لأننا نحن . . . الناسُ يَسْتَخَفُّونَ بنا . . . أما أنت . . . فأنت بحاجة إلينا ثم إنك أنت . . . لستَ سوى خنزير . . .

الفلاح : احك عن نفسك . مالك تصرخ ؟ رأينا الكثير من أمثالك ، كما تعلم . امضوا ، أنتم جميعاً لا تصلحون إلا للأكل .

الشيخ الأول : كفاك خبثاً ، أنت ، أسمع ؟ . . . وإلا فَرَكَتْ أَنْفُكَ .

الفلاح : سنرى .

الشيخ الثاني : آه ! ياله من شخص قبيح ! . . . انظر إليه ، لينأخذ
الشیطان ! . . . لا أريد حتى أن أتحدث مع هذا الحيوان !
سأنصرف .

الفلاح ، مسكاً به : مهلاً ، ابق .

الشيخ الثاني : دعني ، وإلا ضربتك .

الفلاح : لا ، لن أرخيلك . ليس لك الحق . . .

الشيخ الثاني : خذ ، هذا هو حقّي .

(يصر به)

الفلاح : ساعدوني ، أنتم الآخرون !

(تدافع عام . الفلاح والشيخ الأربعة يتكلمون معاً)

العامل ، لإبليس : حسناً ! هل رأيت ؟ أليس دمُ الذئب هو الذي
أخذ يجري في عروقهم ؟ نعم ، ها هم جميعاً شربون
كالذئاب .

إبليس : شرابٌ ممتاز ! تهاني .

العامل : انتظر ، انتظر ، حتى يُفرغوا زجاجتهم الثالثة . ستري
مفاجآت أيضاً .

ستار

الفصل السادس

« شارع في القرية . إلى اليمين ، عجائز جالسات على جسور خشبية مع جدّ الفلاح . في وسط المسرح نساء وبَنَات وفتيان يعتقدون حلقات ويرقصون ويغنون . ومن كوخ خشبي تصل أصوات وضوء صادرة عن سكارى ؛ يخرج أحدهم وهو يصرخ بصوت مخمور . الفلاح الذي يخرج وراءه يجره إلى الكوخ الخشبي .

المشهد - ١ -

الشيخ ، وحده : آه ! آية خطيئة هذه ، آية خطيئة هذه ! ماذا يلزمهم غير هذا ! أي شيء أمتع ، في يوم العيد ، من أن نستريح من عمل الحقول ، وأن نتزيّن بعض الشيء ، وأن نُعيد أدواتنا ، ثم أن نجلس في البيت لتتدق مع الأسرة فرحة الاستراحة ، أو أن نذهب للتزّهة في الشارع ونحدث عن مصالح القرية ؟ هل يمكن أن يتمنى الإنسان خيراً من ذلك ؟ إذا كنّا شباباً فهناك حانات الرقص ، وها هم يلهون ما أجمل لهم ! يسرّ الناظرين ! هذا شريف ، وبهيج . (صرخات في الكوخ الخشبي) . أمّا ذلك فما هو ؟ عذاب للناس وفرح للشياطين . وكل هذا يأتي من الوفرة والغنى .

المشهد - ٢ -

« فتيات وفتيان وشيوخ وفلاحون . رجال سكارى يخرجون وهم يرتحون من الكوخ الخشبي . أشاعوا القوضى ، وهم يصرحون ، في الحانات وأخذوا يضربون الفتيات » .

البنات : دَعْنِي ، عمّ كارب ، ماذا دهاك ؟

الفتيان : هياّ إلى الشارع الثاني . لا نستطيع أن نلهو هنا بسلام .

(يخرجون جميعاً ما عدا السُّكاري والجدّ) .

يدنو الفلاح من الجد ويهزأ بحركاته منه : أتراك تقدّمت ؟ . . .
سيتمضي لي الشيوخُ القداماء بالحصة كاملةً . وهذا لك
خُذْ ... عَضْ . أعطوني كل شيء ، ولم يتركوا لك شيئاً .
وهم هنا ليُخبروك بذلك .

الشيخ الأول : لأن فكري ، أنا ، مُرْهَفٌ ، يميّز الحقيقة .

الشيخ الثاني : سأرفعُ صوتي فوق جميع الأصوات . أنا لا أخاف .

الشيخ الثالث : هذا الصديق ! هذا الصديق الوفيّ ! هذا الصديق
الممتاز !

الشيخ الرابع : إلى الأمام أيها الكوخ ، إلى الأمام أيها الفرن ! ان يبتئ
للسيدة بيت ! عاش الفرح !

(يخرج الشيوخ متشابكين اثنين اثنين وهم يتعرجون . يتّجه
الفلاح إلى كوخه لكنه يتعثّر ويقع ويرسل مهمةً تذكّر بهمة
الخنزير . ينهض الجدّ والفلاحون ويتفرقون) .

المشهد - ٣ -

« إبليس والعامل يخرجان من الكوخ » .

العامل : هل رأيت ؟ دمُ الخنزير هو الذي يظهر الآن . لقد تحوّلوا
من حيوانات متوحشة إلى خنازير . (يشير إلى الفلاح) .

انظرُ إلى هذا الخنزير القمطر الذي يتمرغ في الطين وهو
يجهل .

ابليس : هيا ، ستكون لك حصتُك أثناء التوزيع . كانوا ثعالب
في أول الأمر ، ثم ذئاباً ، ثم خنازير ، كانوا حقاً ذلك
كله . رائعُ شرابُك ! أعطني كيف حضرتُه . لا بدّ
أنك أدخلت فيه دم الثعالب والذئب والخنزير ؟

العامل : إطلاقاً ، لا ، وإنما وفّرتُ لهذا الرجل محاصيل تتجاوز
حاجاته . فعندما كان يسجنني كمية من الحبوب لا تكاد
تكفيه ، كان يستطيع أن يستغني عن الخبز دون أن يتذمّر .
أما عندما جاءه من القمح ما لا يعلمُ كيف يفعل به ،
تحركَ فيه دمُ الثعالب والذئب والخنزير . هذا الدم كان
فيه منذ الأزل ، لكن لم يملك إمكانَ الظهور

ابليس : يا صديقي الجسور ، لقد استمحتمتَ خبزناك . ما عاينهم
الآن إلا أن يشربوا ماء الحياة وسيظلّون في قبضتنا إلى الأبد .

ستار

الاقطاعى الذي افنقر
مشاهد دراميّة في عشر لوحات
١٨٨٦

1. The first part of the paper discusses the importance of the study of the history of the United States. It is argued that the study of the history of the United States is essential for a full understanding of the country and its people. The paper then discusses the importance of the study of the history of the United States in the context of the current political and social climate.

الاقطاعي الذي افتقر مشاهد درامية في عشر لوحات

اللوحة الأولى

« أمام باب الكنيسة ، يقف الخدم ومعهم محفّة ، ينتظرون الإقطاعي وزوجته » .

المشهد - ١ -

« الخادم الأول والخادم الثاني والخادم الثالث » .

الخادم الأول : وها هو يذهبُ إلى الكنيسة !

الخادم الثاني : تأخّر حتى ذهب ! فمئذ عشرين سنة وأنا في خدمته ، لم يذهبُ إلى الكنيسة مرة واحدة !

الخادم الثالث : لا شك أنه يريد أن يتوب .

الخادم الأول : بدأ بالتوبة متأخراً ! لقد أجرى كثيراً من الدموع !

وأمرَ بقتل بطرس ، واختطف زوجة سيميون ، ابنة

تيودور ، وعذب المساكين ؛ الناسُ يلعنونه ، لكنه لا

يكفّ عن قصفه وترفه . وهو يشرب من المساء إلى الصباح ،

ويمارس الصيد ، ويتنزّه ؛ ولا يتصدق على الإطلاق ؛

بل إنه لا يدعُ المسؤولين يدخلون فيناه . فكيف يخفّرُ

اللهُ مثلَ هذه الذنوب !

الخادم الثاني : أظنّ حقاً أنه سيتوب ؟ ليس ذلك من شيمته . سوف

يدنس ، بالأحرى ، شيئاً في الكنيسة ! (في هذه اللحظة ،

تخدّد البروقُ السماءَ ويَقْصِفُ الرعدُ) . يا إلهي ! ماذا
جرى ! السماءُ صافيةٌ وها هو الرعدُ يَقْصِفُ !

المشهد - ٢ -

« يخرج من الكنيسة خادمٌ يركضُ » .

الخادم : شيءٌ مروّعٌ ، ما فعله سيدنا !

(الناس جميعاً يحيطون بالخادم ليسألوه) .

الخادم الأول والخادم الثاني والخادم الثالث جميعهم في آن واحد :
ما الخبر ؟ ماذا جرى ؟ احكْ ، بسرعةٍ !

الخادم : اسمعوا ! لقد دخل القدّاسُ قبل قليل ، وقبّعتُهُ على رأسه
وجلس في الوسط ونظر حوله . في هذه اللحظة ، صعد
الشماسُ ليقرأ الأناجيل . وقرأ هذا المقطع الذي جاء فيه :
« ويلٌ للذين يعيشون في الرخاء (١) . . . » فصرخ سيّدنا :
« أنت تكذب ، أعطني هذا الكتاب المقدّس » . وأمّسك
بالكتاب المقدّس وأخذ يمزّقه بجنون . لكنه ما كاد يبدأ
بتمزيق الكتاب المقدّس حتى بدأ الرعدُ يَقْصِفُ ، حينذاك
هربتُ .

المشهد - ٣ -

« يخرج الإقطاعيُّ وخافه الجمهور » .

الإقطاعي : انظروا إلى هذا ! لقد تجرّأ على القول : إن المتسولين

(١) استشهاد غير دقيق من انجيل لوقا : ٦ - ٢٣ .

سَيَصْبَحُونَ سَعْدَاءَ وَأَنْ الْأَغْنِيَاءَ سَيَفْتَقِرُونَ ! وَكَيْفَ ذَلِكَ ،
 مِنْ فَضْلِكُمْ ؟ كَيْفَ أَفْتَقِرُ وَعِنْدِي مِثْلُ قَرْيَةٍ ، وَالْمَقَاطَعَةُ
 كَالهَا خَاضِعَةٌ لِسُلْطَتِي ؟ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ
 الْمَقْدَسِ كَذِبٌ ! وَلَا يَجِبُ أَنْ نَنْشُرَ الْكَذِبَ ؛ وَلِذَلِكَ
 انْتَزَعْتُ هَذِهِ الصَّفَحَاتِ وَوَضَعْتُهَا فِي جَيْبِي ؛ وَهَكَذَا لَنْ
 يَقْرَأَهَا أَحَدٌ . وَأَنَا الَّذِي عَاشَ حَيَاتَهُ غَنِيًّا ، سَأَقْضِي بَقِيَّةَ
 حَيَاتِي فِي الرِّخَاءِ . (مُخَاطَبًا الشَّعْبَ) . حَسَنًا ! وَأَنْتُمْ
 مِمَّنْ تَخَافُونَ ؟ أَلَمْ يَعْبُرْكُمْ أَنْكُمْ يَجِبُ أَنْ تَسْتَعْدُوا لِحَوْشِ
 الطَّرَائِدِ . امْضُوا ! اسْرِعُوا . سَأَعُودُ إِلَى بَيْتِي لِأَتَنَاوَلَ فُطُورِي ،
 ثُمَّ نَسِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ مُبَاشِرَةً فِي طَرِيقِنَا .

(يَصْعَدُ إِلَى الْمَحْفَةِ ؛ يَسِيرُ بِهِ الْخَدَمُ . الرَّعْدُ يَقْصِفُ . بَرُوقٌ
 خَاطِفَةٌ لِلْأَبْصَارِ) .

الْإِقْطَاعِي : تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرْعَدَ . لَسْتُ أَخْشَاكَ . ارْعَدْ ! ارْعَدْ !

اللوحة الثانية

« الْغَابَةِ . يُسْمَعُ صَوْتُ الْبُوقِ . يَصِلُ صَيَادَانِ » .

المشهد - ١ -

الصياد الأول : هَلْ رَأَيْتَ سَيِّدَنَا .

الصياد الثاني : إِيْهِ الْا . لَمْ أَرَهُ مِنْذُ أَنْ تَرَجَّلَ عَنْ جَوَادِهِ .

الصياد الأول : كَيْفَ حَدَّثَ أَنَّهُ تَرَكَ جَوَادَهُ يَنْصَرِفُ ؟ عِنْدَمَا كَانَ
 عَلَى جَوَادِهِ ، جَرَحَ أَيْلًا ، فَابْتَهَجَ بِذَلِكَ ، وَتَرَجَّلَ
 وَأَرَادَ أَنْ يُجْهَزَ عَلَيْهِ ، لَكِنِ الْإَيْلُ : نَهَضَ عَلَى قَوَائِمِهِ

وأفلت منه . فانطلق هو راكضاً في إثره . وهرب جواده .
أردنا أن نالحق به فلم نُفلح .

(يصل صياد ثالث) .

الصيد الثالث : ماذا تفعلان هنا ؟

الصيد الأول والثاني معاً : ننتظر سيّدنا .

الصيد الثالث : أنتما كمن يجري وراء نهار أمس . لقد عاد سيّدنا .

الصيد الأول : كيف ! وجواده !

الصيد الثالث : أمسكوا به واقتادوه إليه . وامطاه عند النهر .

الصيد الثاني : أنت تكذب .

الصيد الثالث : بالتأكيد لا ! رأيته بعيني . أنا أمسكتُ له بالركاب .

(يذهبون)

المشهد - ٢ -

« يرى أيلٌ يقف جامداً وراء مُنسفة . يبرز الإقطاعي حاسر
الرأس وفي قبضته خنجرٌ » .

الإقطاعي : أين هو ؟ أين تراه يكون ؟ يا للشيطان ! لكنني واثقٌ أنه
كان هنا قبل قليل . يا لهم من أوباش سيئين ! أين كانت
عيونهم ؟ تركوا جوادي يهرب . انتظروا قليلاً . عندما
أعود فسأمر بـجَلْدكم جميعاً ! (يثبُ الأيل فجأة ،
فيجري الإقطاعي في أثره ، يُريان من بعيد وهما يظهران
ويختفيان) .

(تُمثّل ، إن أمكن ، ساقيةً يعبرها الأيل سباحةً ، والإقطاعي
يسبح في أثره ، بعد أن ترك ثيابه الفخمة على الشاطئ) .

اللوحة الثالثة

« الغابة . . إن كان هناك ساقية ، فيجب أن يكون الإقطاعي عارياً ،
وإن لم يكن ، فيجب أن يكون مجرداً من بعض ثيابه ، بلا بندقية ،
ولا بوق صيد ، ولا سكين ، حاسر الرأس » .

المشهد - ١ -

الإقطاعي: يا شياطين ! يا أنذال ! يا أوباش ! انتظروا قليلاً حتى
أمر بجلدكم جميعاً . ولا يُعجبون . انتظروا قليلاً !
ستدفعون ثمن ذلك كله ! يا بذرة الشيطان ! لقد ذهبوا
وتركوني وحدي ! آه ! لا تفقدون شيئاً في انتظاري !
(يصيح السمع) . لا أحد ؟ (يتمدد على الأرض) . آه !
ذلك الأيتل الملعون ! إلى هنا أوصلني ! سأُضطر إلى قضاء
الليل في الغابات ! أيها الأوباش القذرون ! أيها الأوغاد !
ستعرفونني عندما أمر بجلدكم ! الواحد تلو الآخر ،
أولاً . لن ينجو أحد ! لن يُفلت أحد ! وسوف يتكرر
الجلد ! لن ينسوا هذا العقاب في زمن قريب ! يا ناس !
يا ناس ! . . . لا أحد ! . . . أهنالك أحد ؟ (ينهض)
لا بدّ مع ذلك من أن أجد أحداً أو أن أبلغ النهر ، الذئاب
قد تهاجمني هنا . يا ناس ! (يصرخ أبداً) . جفّت
حنجرتي تماماً ! إذا استطعتم أن تحصوا الجلدات فاحصوها !
سأحطم لكم ظهوركم ! يا ناس ! يا ناس ! .

المشهد - ٢ -

« يصل قُطَاع الطرق وهم مدجّجون بالسلاح ؛ يحملون أكياساً ثقيلةً . يُشعلون ناراً عظيمةً » .

قاطع الطريق الأول : قديماً ، كان المارةُ يخافون قُطَاع الطرق ، أما الآن فنحن الذين نخافُهم ؛ هذا بسبب ذلك الصيد اللعين للإقطاعي في هذه الغابة ؛ لا سبيل إلى الهدوء !

القاطع الثاني : أجل . يا لسوء الحظ ! انقضى النهارُ ولم نجد شيئاً ، لم نهب شيئاً ! يجب علينا ، في نهار غد ، أن ننهض مبكرين لنطوف الدروب بحثاً عن الغنيمة !

القاطع الأول : ليس هناك من داعٍ شديد للشكوى من حياتنا ، لكن ، ها نحن غير مرتاحين ! .

القاطع الثالث : ولم تخافان الإقطاعي إلى هذا الحد ؟

القاطع الأول : ألا تفهمُ إذن ، يا غبي ، أن الإقطاعي ليس فلاحاً بسيطاً ؛ فهو عندما يخرج ، يصطحب مئة فارسٍ بسلاحهم ، ومئتي راجلٍ ، ولو خالفنا الحظَّ وعرفنا فلن يبقى منا أثرٌ .

القاطع الثاني : صحيح ! ولذلك هربنا !

القاطع الأول : ماذا تظن ؟ يجب ألا تُنازع غنيّاً ولا تُصارع قوياً . كل هذه الغابات التي تراها فهي له ، والقرية كلها له أيضاً ؛ هذا رجلٌ له شأنه ؛ إنه قوي جداً . وهو قاطع طريق مثلنا ، لكنه من طبقة أخرى لا أكثر . (في هذه

المحظة تُسمع نداءات الإقطاعي ولعناته خلف المسرح) .
آه ! آه ! يا شياطين ! يا لصوص ! انتظروا قليلاً ،
سأُريكم مقدرتي ! يا ناس ! يا ناس !

المشهد - ٣ -

« قُطَاع الطرق يصيحون السمع) .

القاطع الثالث ، واثباً على رجليه : عجباً ! كأنه غول ؛ هذا غولٌ
يعوي !

القاطع الثاني : انتظرْ لأذهب وأرى إن كان غولاً حقاً . (يرى
الإقطاعي وهو يقترب) . رأيت أنه ليس غولاً ! هذا
شخص ضل طريقه ؛ وهو سكران ، من دون شك . يا
صاحب الأناقة ! أنت !

الإقطاعي : ، يُشاهدُ قُطَاعَ الطرق : آه ! ها أنتم هنا ! تركتم
بنذالة سيدكم ومعلمكم وجلستم هنا مرتاحين حول النار !
لكن انتظروا قليلاً !

(يتقمضٌ عليهم ويأخذ بضربهم . ينهضُ قاطعُ الطريق الأول
ويمسك به من قبة ثوبه .

القاطع الأول : آه ! قل لي ، أنت باسل ! أنت محارب !
(يمسكُ بيديه ويهزه) .

الإقطاعي : يا قذر ! يا حقير ! يا وغد ! يا شيطان ! انتظرْ قليلاً .

(يتخبط)

القاطع الأول : هل رأيتم قط أرعن مثل هذا الأرعن ! اعطني حَبَلًا !

الإقطاعي : ماذا ! تَجْرؤون على ذلك ! ألم تعرفوا سيدكم ؟ سأَسْلَخ لكم جلودكم ، حتى إذا سلختها شققتم من أرجلكم !

القاطع الثاني ، رابطاً يديه خلف ظهره : يا سيدور ! أَحْكِمِ الربطَ بينما أَجْلِدُهُ أنا حتى أعلمه كيف يَنْسَى سيادته .
(يأخذ سوطاً) .

القاطع الثالث : ليس له هيئةُ الإقطاعي على الإطلاق .
الإقطاعي : نعم سأمر بشقةكم .

القاطع الأول ، يجلده بالسوط أول جلدة : هذه واحدة ! هيّا ، يا سيد ! اقفز قليلاً ، اقفز !

الإقطاعي : آي ! آي ! لا لا !

القاطع الأول : وهذه الثانية ! أهكذا كنتَ تَنوِي أن تَجْلِدَنَا أم بطريقة أخرى ؟

الإقطاعي : آي ! آي ! اوه ! أقسم لكم أنني سيدكم !
القاطع الأول : طبعاً ، صدقتُكَ ! ومن أجل ذلك بالضبط أَجْلِدُكَ ! (ينفجر ضاحكاً) .

(ينفجر ضاحكاً) . انتظر ، يا صديقي ! سوف أعريك ، وهكذا سنرى بصورة أفضل أنك السيد الإقطاعي .
(يَضْرِبُه قِطَاعُ الطرق ، ويربطونه بشجرة ، ويعرّونه) .

اللوحة الرابعة

المشهد - ١ -

« الصباح ، في الغابة ؛ الإقطاعي مربوطٌ بجذع شجرة وهو عارٍ تقريباً . إنه يئنّ » .

الإقطاعي : اوه ! آي ، آي ! ماتت ذراعي ! اوه ! كم سيكون انتقامي عظيماً ! سأمرُّ أن يُجلِّدوا بقضبان الحديد ! اوه ! ظهري مُوجعٌ ، محطَّمٌ ! ستدفعون ثمن ذلك كله ! انتظروا حتى ألقاكم ، أيها المستهترون ! ستدفعون ثمن ذلك ، أيها اللؤماء ! آوه ! آه ! جئتُ حنجرتي تماماً ! سأسجنكم في الزنانات ! في السجون الخفية ! سأدعكم تهلكون فيها من الجوع .

المشهد - ٢ -

« يصل راعيان : شابٌ وعجوز » .

الراعي الثاني ، العجوز : آه ! يا للمصيبة ! يا للمصيبة ! مَنْ الذي ارتكب هذا الذنبَ البشع ؟ لا شك أن قطاع الطرق هم الذين نهبوه وربطوه .

الإقطاعي ، وقد رآهما : هلا استعجلتما ، أيها الغبيان ! مالكما تقفان هناك جامدين ؟ أسرعاً ! عجلًا ! خالصاني على عجل !

الراعي العجوز : أولئك ناسٌ لا يخافون غضبَ الله ! . . انظر كيف

عذبوه . (يدنو ويفكّ الحبال) . أرأيتَ هذه العُقدَ
المُحكّمة ! أعطني سكينك ، يا جان .

الإقطاعي : كفّك قراحياً ! لم تتباطأ ، أسرع ، أيها الغامل !
الراعي العجوز ، يقطع الحبال : وبعد ، يا صديقي ! أتريد شيئاً من
الماء ؟ جان ، هات ماءً وخبزاً !

الراعي الشاب ، يحمل إبريقاً من الماء ورغيفَ خبز : خذ ، يا صديقي
الطيب ، كل واشبع .

الإقطاعي ، يستلقي على الأرض ويثن ، هائجاً : يا لقطاع الطرق
الحقراء ! ماذا فعلوا بي ؟ لكنهم لن يفلتوا من انتقامي !
الراعي الشاب : يا عمي ، إنه يهدّد .

الراعي العجوز : دعه وشأنه ؛ إنه يهذي ، وسيثوب إلى نفسه .
يجب أن نغطيه . (يخلع قفطانَه القديم ويهمّ بتغطية الإقطاعي) .
خذ ، يا صديقي المسكين ، ضع هذا الرداء عليك .

الإقطاعي ، ينظر إلى القفطان القديم دون أن يشكره : أنت مجنون !
أتجرؤ أن تُلقني عليّ هذه القذارة ! هذه البشاعة ! أتعرفُ مَنْ
أنا ؟ أنا سيّدك ! اخلع بلوزتك ، ولبدتك ، ونفّضهما
بعناية ؛ وحينئذ ربما قبلتُ أن ألبسهما ! وبعد ذلك على
الفور خذني إلى القصر ، قصري ، قصر سيّدك ومعاصمك .

الراعي العجوز : لا مجال للنقاش ! فهو ، بلاشك ، مجنون ؛ إذ
يزعم أنه السيّد الإقطاعي ؛ لقد رأيتُ سيّدي أمس ،

أمس بالذات ، رأيته بعيني هاتين ، لكنه كان ممتطياً
جواده الجميل ، وكان يجري نحو قصره . (مخاطباً
الإقطاعي) . هذا يكفي ؛ ضَعْ على ظهرك ما أعطيناك ،
وامضْ إلى القرية ، وهناك ستستريح !

الإقطاعي ، واقفاً على قدميه : آه ! أنت حقاً كالأخرين ! لست خيراً
منهم ! ستنال العقاب نفسه ! كيف تجرؤ أن تكلم سيّدك
وقبعتك على رأسك . (ينزع عنه بعنف قبعة اللبد الكبيرة
ويدحرجها على الأرض) أعطني بلوزتك .
(يضعُ يده على بلوزة الراعي العجوز) .

الراعي العجوز : يلتقط قبّعه ، ويدفع الإقطاعي عنه ، بلطمة مفاجئة ،
ويبتعد : لننصرف ، يا جان . تعال ، يا صغييري . فهو
مجنون تماماً .

الراعي الشاب : كيف ! فككنّاك من الشجرة ، وأطعمناك ،
وأعطاك قفطاته ، وتنوي أن تضربه ؟ دَعُهُ وشأنه أو
حذار !

(يرفع سوطه ويدفع الإقطاعي بعنف شديد حتى يُصاب بالدُعر .
يبتعد الراعيان ، بينما يستلقي الإقطاعي ويأخذ بالأنين) .

المشهد - ٣ -

الفلاحون يمرون ببلورهم : انظروا ، هذا رجل مستاق هنا .

الإقطاعي : أيها القرويون ! اجروا إلى قصري لتعلنوا أن سيّدكم قد
عُشِّرَ عليه . ليرسلوا إليّ عربةً وخداماً ، وخُدُوني ، في
أثناء ذلك ، إلى كوخِ لكي أستريح .

الشيخ : ماذا تحكي ؟

الإقطاعي : إنني سيدكم !

الشيخ : كيف ، أنت سيدنا ! سيدنا في بيته ، ثم إن سيدنا لا يجري وقدماه حافيتان .

الإقطاعي : أنت غبي ، لا تفهم شيئاً . كنتُ أطارِدُ أَيْلًا ، وضللتُ طريقي . أنا سيدكم الوحيد ، وهم يبحثون عني .

الشيخ : كفى كذباً . سيدنا مرّ أمامنا أمس ، وقد رأيناه بذاته ، وفي هذا الصباح ، جاء أحدُ حجّابه ليرانا . ونحن نعلم جيداً أن سيدنا في بيته .

الإقطاعي : يا عصابةً من قطاع الطرق ! أنتم تكذبون ! وسترون ! صبراً !

الشيخ : كفى كلاماً ، يا صديقي الطيب ؛ لقد ركلَكَ الراعيان ، على ما يبدو . ألم يكفاك هذا ؟ أتريد ركلاً بعد ؟ اهدأ ! إذن وامض في طريقك !

الإقطاعي : هم يرفضون أن يفهموا شيئاً ! اصغوا قليلاً . أنت ! ألسنتُ تصدّق أنني سيدك ؟ أعطني ورقةً وريشةً وسأكتب إلى زوجتي ! ستعرف خطّي وسأضيفُ شيئاً لا يعرفه أحدٌ غيرها وغيري .

الشيخ : كفى ثرثرة ! انصرف ! اغربْ عن وجهي !

الفلاح الأول : على كل حال ، ليكتب ! ولناخذهُ إلى القرية .
(ينهضون الإقطاعي السريع الغضب ويحماونه إلى القرية) .

اللوحة الخامسة

المشهد - ١ -

- كوخ -

الإقطاعي : اوه ! ما أشدّ تعبِي ! لكنّ لماذا لا يأتون ؟ كان يجب أن يكون الجوابُ هنا ! إن زوجتي النبية ستسعدُ حين تراني على قيد الحياة . آه ! جاء شخصٌ أخيراً . (يصل رسولٌ) .
ما معنى ذلك ؟ أين عربتي ؟ وأينَ خدمي ؟

الرسول : ما أكثرَ عجالتكَ ، أنتَ ؟

الإقطاعي : كيف تجرؤُ على مخاطبتي بهذه اللهجة ؟

الرسول : أجرؤُ لأن سيّدنا قد أمرني بذلك .

الإقطاعي : أي سيّد ؟

الرسول : السيد الحقيقي . وهو ليس مثلك . قال ما يلي : لِيُطْرَدَ من هنا ، وأحبّ ألا أسمعَ باسمه بعد الآن ! فهمتَ ، إنه لا يريد أن يسمعَ باسمك بعد الآن .

الإقطاعي : آه ! يا إلهي ! يا إلهي ! وزوجتي ! بم أجابت ؟

الرسول : زوجتُك ، لا أدري بم أجابت ، لكن زوجة سيدي قالت : « هذا لا يُصدّق ! كيف يمكن أن يوجد مثل هؤلاء

الغشاشين ؟ اطروده ، هذا الغشاش ! »

الإقطاعي : يا إلهي ! يا إلهي ! ماذا سيحلّ بي ؟

(ينهار ، ويبكي) .

صاحب الكوخ : يا لها من قصة ! يا صديقي ، فشأتْ حياتُك ! انصرفْ

برعاية الله !

اللوحة السادسة

« فناء مزرعة ، الإقطاعي مشغول بتقليب الزبل بصحبة فلاّحة » .

الفلاحة : هذا رجل لا يُحسن أن يُمسك بالمدرة ! (تلتقط المدرة

من يده بحركة نَزَقَة) . أعطني المدرة . تبدو كأنك سيّد

أُخرق !

الإقطاعي : وَدَدْتُ لو أَحسنُ ذلك ، لكنني لم أستطع .

الفلاحة : لكنك تُحسن أكلَ خبزي !

الإقطاعي : آه ! ما هذه الحياة ! ما هذه الحياة البائسة ! الموتُ أفضل

منها !

الفلاحة : ضع نفسك في هذا العريش وجُرّ .

(يطيعُها الإقطاعي ، يربط نفسه ، ويشدّ بجهود مضنية ويقع) .

الفلاحة : لستَ صالحاً حتى لهذا ! أنتَ لا تصلحُ لشيء ! ما

هذا الشخص الحقير الذي أُرْسِلَ إليّ !

الإقطاعي : آه ! ما أجملُك ، يا عزيزتي !

الفلاحة : آه ! وها أنتَ تغازلني الآن ! (يصل الفلاح) ما هذا الشخص الحقير الذي أرسلتهُ إليّ . هو لا يصلح لشيء . وهو يغازلني .

الفلاح : ماذا ؟ سأعلمك كيف تعيش معي . اغرب عن وجهي ؛ يا لك من إقطاعي ! .

اللوحة السادسة

لمشهد - ١ -

« قرية . يمرُّ الإقطاعي حافي القدمين ، حاسر الرأس ، مرتدياً ثياباً ممزقة ، رثةً ؛ يضطجع مُنهكاً على حافة الطريق » .

الإقطاعي : ها أنا أخيراً على الطريق الصحيحة ! سأصلُ الآن إلى بيتي . فاذا وصلتُ بيتي عرفتُ بنفسِي . لا يريدُ أحدٌ هنا أن يصدق أنني السيّد ؛ كلهم يُهينونني ، ولا شيء غير ذلك ! إن لم أكشف عن شخصي تصدقوا عليّ ، لكنّ ، ما أن أعرفهم بنفسِي حتى يطاردوني . لم أكل شيئاً طوال هذا اليوم . طيّب ! لن أقول بعد الآن : لأنني السيّد .

(يدنو من كوخ ، وهو يتكلّم ، ويدقّ على النافذة) :

الرحمة ، أعطوني شيئاً أكأله . (تنفتح النافذة ؛ ويرى رأسُ فلاحة يبدو من إطارها) .

الفلاحة : عجباً ! متسول ! أنت ، متسول ؟ ألا تحبّجُل ؟ أنت

في صحة تامة ، سليمُ الجسم ، ويمكّنك أن تشتغل ؛
أتبأغ بك الوقاحةُ أن تطلب الصدقة ؟

الإقطاعي : لكنني لستُ متسوّلاً ، أنا السيد !

الفلاحة : السيد لا يأتي ليرقّ على نوافذ الناس .

(تُغلق مصراعي الخشب وتوارى) .

المشهد - ٢ -

« على الطريق يسير متسوّلان ، أحدهما أعمى والآخر مقطوع
اليدين . يقتربان بدورهما من النافذة » .

المتسوّلان معاً : بجاه المسيح !

(تفتح الفلاحةُ بجنرٍ نافذتها ، تنظر وتعطيها خبزاً
وهي تقول :)

الفلاحةُ : خُذْ ! امسك ! بجاه المسيح !

(يجلس المتسوّلان ويأكلان ، بينما تُغلق النافذة) .

الإقطاعي ، يندو منهما : الرحمة ! أطعماني .

الأعمى : وإذا لا تطلب الصدقة بنفسك ؟

الإقطاعي : طلبتها ! وألححتُ في الطاب فأبوا أن يعطوني شيئاً .

المقطوع اليدين : هيّا ! خُذْ ! أعطاه خبزاً .

(يعطيه قطعة خبز يلتمها التهاماً) .

المسؤولان ، بسألانه : قلْ لنا ! مَنْ أَنْتَ ؟ من أين جئتَ ؟
 الإقطاعي : أوه ! لم أعدْ أشتهي أن أرويَ ذلك ! فما ان اتكلم حتى
 يسبّني الناس ويضربوني . لا يريد أحدٌ أن يصدقني .
 لستُ أحسنُ العمل ؛ وأشتهي أن أكل ! أنا جائع !
 ارحماني ! خذاني معكما ! سأكافئكما مكافأةً عظيمةً ؛
 ستكونان « هيدين » ، سأبني لكما سعادتكما !
 المقطوع اليدين : ولمَ لا ! سنأخذُه ! وسيَحْمِلُ الكيس .

الأعمى : إذا شئتَ ، فنحن موافقان !
 (ينهض المسؤولان ويمضيان ، وهما يقودان الإقطاعيَّ معهما) .

اللوحة الثامنة

المشهد - ١ -

« في بلاط قصر الإقطاعي . خَدمٌ . الناس في كل مكان يعزفون
 ويرقصون . ومن البوابة الكبرى المفتوحة ، يُرى المسؤولان والإقطاعي
 وهم يدخلون مرةً تلين الصلوات » .
 البوّاب ، يتقدّم نحوهم : الدخول ممنوعٌ هنا . انصرفوا ! افسحوا
 المكان !

صيادٌ : حذار ! حذار ! وإلا أُطلقتُ كلابي !
 (يتابع الإقطاعي التقدم وحده . تنفضُ الكلاب عليه لتعضّه) .
 حوذيُّ : انظرْ إلى هذا البطل ! انتظر ، يا صديقي . ستعضُّ الكلابُ
 ربلات ساقيك .

(أثناء هذا الوقت تعضّ الكلاب ساقى الإقطاعي المشتدّ) .

الإقطاعي : آي ! آي !

(يُمسك به البواب من قبة سترته ويجرّه إلى المخرج ، ويهزه بعنف) .

البواب : أغرب عني ، ما دمت حياً ! هيا ! اخرج !

الإقطاعي : جئتُ . . .

(في هذه اللحظة ، يرى إقطاعي آخر وهو يتطاع من أعلى النافذة . ينظر الإقطاعي المتسوّلُ وهو فاغرُ فاه ، ويصمت) .

الإقطاعي المتسوّل ، وقد عادتْ إليه ثقته بنفسه : يا إلهي هذا أنا الذي هناك ! في هذا البيت ! هذا أنا آخر في النافذة . لقد جُئْتُ ! ماذا جرى ؟

الإقطاعي ، من النافذة ، ويشير بيده : دعوا المتسوّلين يَدْخُلُوا . هذا لهم . (يرمي بكيس مملوء نقوداً) . ليُغْنِ المتسوّلان والأعمى ، وقدّموا لهم الطعام . ولْيَدْخُلْ بيتي ذاك الذي يحمل كيساً .

(يترنم المتسوّلون بصلواتهم) .

اللوحة التاسعة

المشهد - ١ -

« غرفة في داخل قصر الإقطاعي . الإقطاعي المتسول وحده على المائدة والخدمُ يخدمونه » .

الإقطاعي المتسول : ماذا يمكن أن يعني ذلك ؟ أنا آخر في النافذة !
ما أصفى وجهه وما أعظم الطيبة التي تشيع فيه !
لقد تصدّى للدفاع عني وسمح لي أن أدخل قصره . لم
أبلغ إذن غاية شقائي . انتهت حياتي . لن يتعرف عليّ
أحد أبداً ! قدّري أن أموت في الفقر . لكن ، يا للسماء !
آية أعجوبة ! آية معجزة !

(يظهر النور ، ويخرج من هذا النور صوت يقول) :

الصوت : أتعرف ذلك السيد الجاحد ؟ كان سيداً قوياً ، غنياً ،
ومتكبراً ، أتعرفه ؟ وهو لم يؤمن بكلام الإنجيل وكان
يؤكد أن الغنى لا يمكن أن يفتقر . أتعلم الآن ما نفعُ الغنى
في هذه الدنيا ؟ أتعلم أنه لا يمكن الاتكالُ عليه ؟ أدركتَ
أن ذلك كله لم يكن سوى خيال زائل ؟ وهل أدركتَ
لمَ آتتكَ هذه الرؤيا ؟ هل تتوبُ عن كبريائك ؟ هل
ثبتَ من غطرتك ؟

الإقطاعي : نعم ! لقد ثبتُ ولا أريد أن أعيش بعد الآن كما كنتُ
أعيشُ في الماضي .

الصوت : عدُ سيداً من جديد وكن جديراً بمركزك .

(تتحول ثيابُ الإقطاعي وتغدو جميلةً وفخمةً ؛ تدخل زوجته
وتقبّله بحنان . يُحيّيه الخدم باحترام) .

اللوحة العاشرة

« مائدة يُقدّم عليها الطعامُ ببذخٍ ، وحوها يجلس المتسولان ،
بينما يخدمهما الإقطاعي وزوجته » .

ستار

سلطان القلماء
درامکافینجکت، فصول و مت لوحات
۱۸۸۶

سلطان الظلمات

دراما في خمسة فصول وست لوحات

« أمّا أنا فأقول لكم : ان كل من ينظر
الى امرأة ليشتهيها فقد زنى في قلبه .

فان كانت عينك اليمنى تُعثرُك فاقطعها
والأفقها عنك ، لأنه خيرٌ لك أن يهلك أحد
أعضائك ولا يُلْقَى جسدك كله في جهنم » .

متى ٥ : ٢٨-٢٩

الشخصيات

بطرس : ٤٢ عاماً ، فلاح غني ، متزوج للمرة الثانية ، عليل .

نيكيثا : ٢٥ عاماً ، مُدَّعٍ للجمال ، عامل عند بطرس .

آكيم : ٥٠ عاماً ، والد نيكيثا ، فلاح نحيف وورع .

ميتريش : عامل قديم ، جندي متقاعد .

والد خطيب آكولينا ، فلاح مشاكس .

زوج مارينا .

دركي .

خطيب آكولينا :

حوزي :

شاهد زواج :

قيّم القرية

آنيسيا : ٣٢ عاماً ، فلاحّةٌ مغناج ، زوجة بطرس .

ماتريونا : ٥٠ عاماً ، زوجة آكيم .

آكولينا : ١٦ عاماً ابنة بطرس من زواجه الأول ، صماء قليلاً ، ومتخلفة عقلياً .

آنيوتكا : ١٠ أعوام ، ابنة بطرس الثانية .

مارينا ، ٢٢ عاماً ، يتيمة .

مافرا : العرّابة .

مارفا : أخت بطرس .

جارة :

الفتاة لأولى :

الفتاة الثانية :

خطابة :

الشعب .

مدعوون :

نساء :

فتيات :

الخطبة

الخطبة هي من أهم أركان الإسلام، وهي التي تذكّر الناس بالله تعالى، وتبين لهم ما يجب عليهم من أعمال، وما يحرم عليهم من أعمال. وهي التي تذكّرهم بالله تعالى، وتبين لهم ما يجب عليهم من أعمال، وما يحرم عليهم من أعمال.

الخطبة

الخطبة هي من أهم أركان الإسلام، وهي التي تذكّر الناس بالله تعالى، وتبين لهم ما يجب عليهم من أعمال، وما يحرم عليهم من أعمال.

الخطبة هي من أهم أركان الإسلام، وهي التي تذكّر الناس بالله تعالى، وتبين لهم ما يجب عليهم من أعمال، وما يحرم عليهم من أعمال. وهي التي تذكّرهم بالله تعالى، وتبين لهم ما يجب عليهم من أعمال، وما يحرم عليهم من أعمال.

الخطبة هي من أهم أركان الإسلام، وهي التي تذكّر الناس بالله تعالى، وتبين لهم ما يجب عليهم من أعمال، وما يحرم عليهم من أعمال.

الخطبة هي من أهم أركان الإسلام، وهي التي تذكّر الناس بالله تعالى، وتبين لهم ما يجب عليهم من أعمال، وما يحرم عليهم من أعمال.

الخطبة هي من أهم أركان الإسلام، وهي التي تذكّر الناس بالله تعالى، وتبين لهم ما يجب عليهم من أعمال، وما يحرم عليهم من أعمال.

الخطبة هي من أهم أركان الإسلام، وهي التي تذكّر الناس بالله تعالى، وتبين لهم ما يجب عليهم من أعمال، وما يحرم عليهم من أعمال. وهي التي تذكّرهم بالله تعالى، وتبين لهم ما يجب عليهم من أعمال، وما يحرم عليهم من أعمال.

الفصل الأول

« تجري الأحداثُ في الخريف . في قرية كبيرة . يُمثّل المسرحُ بيت بطرس الخشبيّ الكبير . يجلس بطرس على مقعد ، ويُصلح لأكليل جواد . آنيسيا وأكولينا تغزلان .

المشهد - ١ -

« بطرس ، آنيسيا وأكولينا . المرأتان تغنيان » .

بطرس ، ناظراً من النافذة: ها إن الجياد ذاهبةٌ مرةً أخرى ! سيقتلون مهري حتماً ! نيكيتا ! نيكيتا ! يا نيكيتا ! لقد صُمّت أذناه ! (يصغي ويخاطب المرأتين) كفاكما غناء ، أنتما !
لسنا نسمعُ شيئاً !

صوت نيكيتا ، في الخارج : ماذا ؟

بطرس : أعدِ الجياد .

نيكيتا : بعد قليل ، انتظر !

بطرس ، هازأً رأسه : اوه ! هؤلاء العمال ! لو كنتُ مُعافئاً لما كان عندي أحدٌ منهم أبداً ! هم منيعٌ للخطايا بالنسبة إلى أصحاب العمل ! (ينهض ويجلس ثانية) نيكيتا ! عبثاً تصرخُ

. . . (ملتفتاً إلى المرأتين) . لتذهب واحدةً منكما . . .

آكولينا ، اذهبي ، وأعيديها !

آكولينا : الجياد ؟

بطرس : ماذا ؟

آكولينا : على الفور .

(تخرج)

المشهد - ٢ -

« بطرس ، آنيسيا » .

بطرس : يا له من خامل ، هذا الولد ! إنه لا يُتقن عمله ! قبل أن
يكلّف نفسه النهوض وال... ماذا أقول ؟

آنيسيا : يحقّ لك الكلام ! أنت أكثر حركةً منه ، أنت ! يَخْتَلُّ
من الموقد إلى المقعد ويتشدّد مع الآخرين !

بطرس : لو لم تشدّد معكم أنتم ، لبحثنا عنكم سنة في البيت !
آه ! ما هؤلاء الناس !

آنيسيا : أنت تحشر عشر شغلاتٍ معاً ثم تتنمّر بعد ذلك . ليس
بالصعب على المرء أن يأمر وهو متمدّد على الموقد (١) .

بطرس ، متنهلاً : لو لم يتسلّط المرضُ عليّ لما احتفظتُ به يوماً
واحداً .

(١) متمدّد على الموقد : في البيوت الخشبية الروسية ، كان الموقد واسعاً جداً وكان من
الممكن النوم عليه .

(صوت آكولينا وهي تسوق الجياد ، يُسمع صهيل المهر ، وتدخل الخيول من الباب الكبير . الأبواب تُصْرُ) .

بطرس : المزاحُ ، هذا دأبه ! آه ! لولا المرض لما احتفظتُ به ،
حتماً !

آنيسيا ، تقلّده : لما احتفظتُ به ! . . أودُّ لو أراك تعملُ ، وبعد ذلك تستطيع أن تتحدّث .

المشهد - ٣ -

« بطرس ، آنيسيا ، آكولينا » .

آكولينا ، داخلةٌ : آه ! تعذّبتُ حتى أدخلتها . فالحمار كان يرفض الدخولَ ، على عادته ،

بطرس : ونيكيتا ، أين هو ؟

آكولينا : نيكيتا ؟ في الشارع .

بطرس : وماذا يفعل في الشارع ؟

آكولينا : ماذا يفعل ؟ هو في الزاوية ، يثرثر .

بطرس : آه ، من هذه ! لا ينتفع المرءُ منها بشيء ! ! . . . ومع مَنْ يثرثر ؟

آكولينا ، ثقيلة السمع : ماذا ؟

(تصدر عن بطرس حركة تدلّ على الغيظ ؛ تتابع آكولينا غزلاً) .

المشهد - ٤ -

« الأشخاص أنفسهم ، آينوتكا » .

آينوتكا ، داخلةً على عجل ، لأمها : أبو نيكيتا وأمه هنا . هما يريدان أن يأخذاه إلى البيت . . عسى أن أموت إن لم يكن ذلك صحيحاً !

آيسيا : صحيح ؟

آينوتكا : صحيح ! عسى أن أموت ، على الفور ! (تضحك) .
كنتُ مرةً وإذا نيكيتا يناديني . قال لي : وداعاً ،
آنا بافلوفنا ! لا تنسي أن تأتي لتسلي في عرسي . وقال
لي : أنا ذاهبٌ من عندكم . . . » وأخذ يضحك .

آيسيا ، لزوجها : أرأيت ! الناس ليسوا بحاجة شديدة إليك هنا !
هذا نيكيتا ينصرف من ذاته . وهو ، يقول : « سأطرده ! »

بطرس : وماذا في ذلك ؟ لينصرف ! ألن أجده غيره ؟

آيسيا : والمال المسلف ؟

(تتقدم آينوتكا إلى الباب ، تُصني وتنصرف) ،

المشهد - ٥ -

« آيسيا ، بطرس ، آكولينا » .

بطرس ، مقطّاباً حاجبيه : المال ! إن كان الأمرُ هكذا ، فسوف
يعوّضني عنه بالعمل ، في هذا الصيف .

آيسيا : نعم ، أنت مرتاح جداً لطرده . سيقبلُ مقدارُ الخبز
المأكول ! وعلي أن أكدح طوال أيام الشتاء ، كالحصان
العجوز المسكين . البنتُ ليست نشطةً في العمل ، وأنت
تظلُّ متمدداً على الموقد ، أنا أعرفك ، كفأك كلاماً !

بطرس : لا حاجة إلى اللعنة بلسانك قبل أن تعرفي ما الموضوع .

آيسيا : الاصطبلُ مليءٌ بالماشية . فأنتَ لم تبع البقرة ، واحتفظت
بالخراف للشتاء . ولا فكاد نجد الوقتَ الكافي لإعداد الماء
والعلف ، وتريد فوق ذلك أن تنصرف الخادم ! حسناً !
وأنا أيضاً ، لا أريد أن أعمل فلاحةً ، وسأتمدّد مثلك
على الموقد ، وليذهب ذلك كله إلى الشيطان ! افعل
ما تشاء !

بطرس ، لآكولينا : اذهبي وأحضري العلف ، مالك ! حان الوقتُ .

آكولينا : العلف ؟ طيب !

(ترتدي قفطانها وتأخذ حبلاً) .

آيسيا : لا أريدُ بعد الآن أن أشتغل لك ، كفاني شغلاً ! لا أريد .
اشتغلُ أنت نفسك !

بطرس : كفى ! ماذا أكلت اليوم ؟ أنت كالحروف المسعور !

آيسيا : أنت وحدك مسعور ! لا يأتينا منك لا العمل ولا الفرح !
أنت تلتهم حياتي ! آه ! أيها الكلبُ العجوز الراجف !

بطرس ، يبصق احتقاراً ويرتدي ثيابه : سامحني الله ! سأذهب لأرى
ما الأمر .

(ينصرف)

آنيسيا : أيها الشيطان العفّين !

المشهد - ٦ -

« آنيسيا ، آكولينا » .

آكولينا : لماذا تشتمين والدي ؟

آنيسيا : انصرفي ، يا حمقاء ، واخرسي !

آكولينا ، متقدمةً نحو الباب : أعرف لماذا تشتمينه ! أنت نفسك
حمقاء ! كلبة ! أنا لا أخافك !

آنيسيا : ماذا تريدن ؟ (تنهض وتبحث عن شيء تضرب به
آكولينا) . حذار ، سأضربك بالمدراة !

آكولينا ، فاتحةً الباب : كلبة ! شيطانة ! أنت شيطانة ! كلبة !
كلبة ! شيطانة !

(تخرج)

المشهد - ٧ -

« آنيسيا ، وحدها » .

آنيسيا ، مشغولة البال : آه ! قال : تعالي إلى عرسي ! « ماذا يدبر ؟
سيزوجونه ! حذار ، يا نيكيتا ! إن كانت هذه أفكارك ،

فسوف أنعمّ به . . . لا أستطيع أن أحيا بدونه ، لن أدعّه
يذهب .

المشهد - ٨ -

« أنيسيا ، نيكيتا » .

نيكيتا ، يدخل بحذر ، يتطلّع إلى جميع الجهات ، وحين يرى
أنيسيا وحدها ، يدنو منها على عجل ويقول بصوت خافت :
يا صديقتي ، الأمور ليست على ما يُرام ! جاء والذي
وهو يريد أن يأخذني معه . لقد أمرني بالعودة إلى البيت .
قال لي : « سنزوّجك حتماً وستعود إلى البيت » .

أنيسيا : حسناً ! تزوّج ! ماذا يهمّني من ذلك ، أنا ؟

نيكيتا : آه ! صحيح ! أنا أسعى لتدارك الأمور وهي تحبّني على
الزواج ! (غامزاً بعينه) ولمّ ذاك ؟ هل نسيت ؟

أنيسيا : نعم ، تزوّج ! فهذا لا يخصّني .

نيكيتا : لماذا تشاكسين ؟ ما هذا ؟ إنها لا تريد أن ألاحظها ! مابل ؟

أنيسيا : ما بي أنك تريد التخلّي عني ، وإذا كنت تريد التخلّي عني
فأنا لم أعد بحاجة إليك ، هذه هي القصة كلها .

نيكيتا : مهلاً ، أنيسيا ؟ أنساك ؟ أبداً ، لا ! لن أتخلّي عنك ،
قطعاً ، وانظري كيف أفكر : حتى عندما يزوّجونني
فسأعود لألقاك ، بشرط ألا يحتجزوني في المنزل .

أنيسيا : وهل أحتاج إليك عندما تتزوّج ؟

نيكيثا : لكن ، ما الحيلة ، يا صديقتي ! لا سبيل ، مع ذلك ،
للإفلات من مشيئة الأب .

آنيسيا : تُلقني كلَّ شيء على عاتق أبيك ، وكلُّ الأفكار منك .
أنت تُحضّر ذلك كله منذ زمن طويل مع حبيبته القذرة
« مارنكا » . هي التي خدعتك . وهي أم تأتٍ لوجه الله
حين جاءت تحوم حول البيت ، في هذه الأيام الأخيرة .

نيكيثا : مارنكا ؟ أنا بحاجة إليها ؟ هناك عددٌ لا بأس به مثلها
يُلاحقنني !

آنيسيا : لمَ جاء أبوك إذن ؟ أنت وضعتَ هذه الفكرة في رأسه ،
كنتَ تخدعني .

(تبكي)

نيكيثا : آنيسيا ، أتؤمنين بالله ، نعم أم لا ؟ لم يخطر ببالي مثل هذا ،
حتى ولا في الحلم . قطعاً ، لم أكن أعلم شيئاً من ذلك .
العجوز هو الذي يتحمل مسؤولية ذلك كله .

آنيسيا : إن كنتَ لا تريد ، فلا يمكن جرّك بالرسن .

نيكيثا : هكذا أفكر . لا سبيل إلى مقاومة الوالد . لكن هذه ليست
مشيئتي .

آنيسيا : قاوم ، هذا كل ما في الأمر .

نيكيثا : أعرفُ واحداً أخذ يقاوم هكذا ، فداعبوا ظهره بعصي
البلدية . هذا بسيط جداً لكنني لا أشتهيه . هذا يُدغدغ ،
على ما يبدو .

آنيسيا : كفى دعاية ! اسمع ، يا نيكيتا ، إذا أخذتَ مارنكا
فلا أدري ما الذي سأفعله بنفسي . . . سأقتل نفسي ! لقد
ارتكبتُ إثماً ، وخالفْتُ القانون . . . ولا أستطيع العودة
عن ذلك . وإذا ما ذهبتَ فسوف أتدبر أمرى بحيث . . .

نيكيتا : ولمَ أذهبُ ؟ لو كنتُ أريدُ الذهابَ لذهبتُ منذ زمن
بعيد . البارحة بالذات ، عرضَ علي إيفان-سيميونيتش
عروضه . . . يُريدني حوذاً . . . فلم أقبل . وأية حياة
مع ذلك ! كلُّ الناس يريدونني ، وأنا أعلم ذلك جيداً .
آه ! لو لم تكوني تحببني لاختلف الأمر !

آنيسيا : تذكرُ ذلك جيداً ! سيموتُ العجوز بين لحظة وأخرى
وسنسوي وضعنا . سنترجُ وتصبح أنت السيد !

نيكيتا : لمَ التفكيرُ في أشياء بعيدة ؟ وماذا يهمني من ذلك ؟ إنني
أعمل كما أعمل لنفسى . رب العمل يُحببني ، وربةُ العمل
أيضاً ، وإذا كانت النساءُ يركضن ورائي فلا يد لي في
ذلك ، الأمر بسيطٌ جداً . . .

آنيسيا : ستحببني ؟

نيكيتا ، يقبلها : هكذا ! من كل قلبي ودائماً مثل . . .

المشهد - ٩ -

« نيكيتا ، آنيسيا ، ماتريونا »

ماتريونا ، تلخل وترسم علامة الصليب طويلاً أمام الصورة المقدسة ،
نيكيتا وآنيسيا يفرقان بغتة : لم أر شيئاً ! لم أسمع شيئاً !

داعبت امرأةً صغيرةً . حسناً ! العُجول ، يا إلهي ،
تأعب هكذا في المرعى . . . ولمَ لا ؟ هذا هو الشباب !
وأنت ، يا بني ، المعلمُ يناديكَ من الفناء .

نيكيثا : أنا ، جئتُ بحثاً عن الفأس .

ماتريونا : أعلمُ ، أعام ، يا عزيزي ، ما الفأسُ التي تطلبها .
إنها فأسٌ توجد ، على الأغلب ، قرب النساء .

نيكيثا ، ينحني ليتناول فأساً : طيب ، يا أمي ، الأمرُ جدُّ إذن !
تريدون أن تزوجيني ؟ أعتقدُ أنك مخطئة . وقبل كل
شيء فأنا غيرُ حريصٍ على ذلك .

ماتريونا : لمَ تزوجكِ ، يا عزيزي ؟ عشٌ كما كنتَ تعيش من
قبل ! هذا كله من تخیلاتِ العجوز . اذهب ، يا صغيري ،
سندبرُ أمورنا بدونك .

نيكيثا : الامرُ مضحكٌ مع ذلك . فتارةً تريدون تزويجي ، وتارةً
أخرى لا تريدون . قطعاً ، إني لا أفهم شيئاً من ذلك .

المشهد - ١٠ -

« آنيسيا ، ماتريونا »

آنيسيا : خالة ماتريونا ، هل تريدون حقاً أن تزوجه ؟

ماتريونا : وبأي شيء تزوجه ، يا فراولتي الصغيرة ؟ كل هذا كلامٌ
في الهواء ، من عجوزي . تزويجه ، تزويجه ، ليس
أمرأً بمقدوره . تعلمين أن الخيل لا تعاف الشوفان . إن كنا
بخير فلماذا نبحثُ عن الأفضل ؟ هذه هي حالتنا . أأستُ
أرى إلى أين وصات الأمور ؟

آيسيا : حسنًا ! خالة ماتريونا ، ليس لي أن أخبّي نفسي عنك .
أنتِ تعرفين كل شيء . لقد أثمتُ وأحببتُ ابنتكِ .

ماتريونا : آه ! يا له من شيء جديد ! وكأن الخالة ماتريونا لم تكن تعلمه ! آيه ! الخالة ماتريونا ، يابنتي ، امرأةٌ مأكرة ، سيّدة الماكرات ! الخالة ماتريونا ، يا فراولتي ، ترى على عمق مترٍ تحت الأرض . أعرفُ كلَّ شيء ، يا فراولتي ! أعرفُ لماذا تحتاج النساءُ إلى المسحوق المذموم د وقد جثتُ بذلك معي (تفك طرفاً من شالها وتخرج منه كيساً من المسحوق) . ما يازم ، أراه بوضوح ، وما لا يلزم ، لا أريد أن أعرفه ! الخالة ماتريونا كانت شابةً هي أيضاً ! ذلك انه لا بد ، مع عجوزي الأحقر ، من تدبير الأمور لنعيش . أعرفُ السبع والسبعين طريقةً ! إني أرى ، يا فراولتي ، أن عجوزك قد وضع قدماً في القبر . علام هو قادر ؟ اضربه ضربةً بالمذراة لا تسيل منه قطرة دم . وفي الربيع ، على أبعد مدى ، سندفنه . لا بد لك حينئذ من أحد في البيت . . . وابني . . . ألن يكون رجلاً نافعاً ؟ ليس أسوأ من الآخرين ، فما فائدتي من منع ابني عقد صفقةٍ رابحة ؟ أنا عدوةٌ ، ابني ؟

آيسيا : بشرط أن يظلّ معنا ؟

ماتريونا : سيظلّ ، يا عصفورتي . تلك حماقات . تعرفين عجوزي . ليس له عقلٌ راجح ، لكن إذا دخلت الفكرة رأسه لم يُخرجها منه سوى الشيطان بذاته .

آنيسيا : من أين جاء إذن هذا المشروع ؟

ماتريونا : أتت تعرفين ابنتنا ، يا فراولتي الصغيرة . تعرفين كيف يحبُّ النساء . ولا خلاف في أنه جذاب الشخصية . . . وكان ، كما تعلمين ، مستخدماً ، في السكة الحديدية ، وكانت هناك صبيّة ، يتيمة ، طاهية ، بدأت تلاحقه .

آنيسيا : مارنكا ؟

ماتريونا : نعم ، هي ! عسى أن يحطّم الشلل عظامها ! لا أستطيع أن أقول لك إن كان بينهما أو لم يكن بينهما شيء ، غير أن عجوزنا عَامَ بالأمر . أجمعت هي تثرثر أم أن الناس تحدّثوا عن ذلك ؟ . . .

آنيسيا : أهي جريئة ، العاهرة !

ماتريونا : وإذا بالعجوز يتحمّس ! ذلك الغبيّ ! « سنزوّجه ، سنزوّجه ! للتكفير عن الإثم ! لنعدّ به إلى البيت ، ولنزوّجه ! » هكذا قال . وقالتُ كل ما بوسعي أن أقوله . فلم يُفد قولي شيئاً . عند ذاك قلت في نفسي : حسناً ! سأقلّبُ لك مشروعاتك . . تعلمين ، يا فراولتي الصغيرة ، أن هؤلاء الأغبياء ، يجب أن نوافقهم دائماً على ما يقولون ، وعندما نَسْتَقِل من القول إلى الفعل ، نفعل ما نشاء . في وقت قصير ، تستطيع المرأة أن تُقلّب في رأسها سبعاً وسبعين فكرةً . كيف تريدن أن يفهمونا ؟ قالتُ له حسناً ، يا صديقي ، هذه صفقة ممتازة ، لكن لا بدّ من

التفكير فيها . لنذهب إلى الولد ! وسنطلب مشورة بطرس
اغناطيّتش ، وسنرى ما يقوله . وها نحن قد جئنا !

آنيسيا : آه ! ما العمل الآن ، خالة ماتريونا ؟ وإذا ألزّمه أبوه
بذلك إلزاماً .

ماتريونا : الإلزام ؟ سندسّه تحت ذنب الكلب . لا تخافي . لن تتمّ
القضية ! بعد قليل ، عندما نلتقي بعجوزك ، سأخلّ كل
ما يقوله نَحْلاً حتى لا يبقى منه شيء ، وإذا كنتُ جثتُ
مع الأب فلاكي أنقذ المظاهر . وكيف إذن ؟ ابني يعوم في
السعادة ، وهو مُقبلٌ على سعادة أكبر ، ثم أزوجه بعاهرة .
لستُ غيبّة إلى هذا الحد ! .

آنيسيا : مارنكا جاءت تلاحقه إلى هنا . أتصدّقيني ، يا خالة
ماتريونا ؟ عندما قيل لي : إنكم ستزوّجونّه ، كان ذلك
كأن سكّيناً غُرستُ في صدري . ظننتُ أنه يحبّها .

ماتريونا : آه ! عجباً ، يا فراولتي ، لا بدّ أن يكون مجنوناً حتى يحبّ
قنّرة لا مأوى لها ولا مقرّ . نيكيتا شابٌ له تفكيره ! ويعرف
مَنْ التي يجب أن يحبّها . وهكذا ، فبالنسبة إليك ،
يا فراولتي ، لا تخشَي شيئا ، لن نجيء به إلى البيت أبداً ،
ولن نزوجه أبداً . تعطوننا بعض الروبلات وسيبقى .

آنيسيا : يبدو لي أن ذهاب نيكيتا سيكون موتاً لي !

ماتريونا : حُبّ الشباب ! لا شك في ذلك ، أنت امرأةٌ في شَرخ
الشباب وتعيشين مع هذا الأخرق ! . . .

آنيسيا : صدّقيني ، يا خالة ماتريونا ! كم يُقَرّفني ، كم يُقَرّفني ،
هذا الكلب الحقير ! لم أعدُ أستطيع النظر إليه في وجهه !

ماتريونا : ليس هذا غريباً ! تعالي ، انظري . (تهمس وتتطالع إلى
جميع الجهات) . ذهبتُ إلى صديق لي من أجل المسحوق .
فأعطاني عقاراً لغايتين . انظري إليه . قال لي : « هذا مسحوق
منوم . أعطية كيساً صغيراً منه وسوف ينام نوماً ثقيلاً حتى
يمكن أن ترقصي على بطنه » وأضاف : « وهذا عقارٌ إن
أعطيته إياه في الشراب لا يتركُ أية رائحة ، لكن له
قوةٌ كبيرة ، وهو يُعطى على سبع مرات ، في كل مرة
قبضة صغيرة . قال : تُعطيه إياه على سبع مرات ، وسوف
تنالُ حريتها .

آنيسيا : آوه ! ما هذا المسحوق ؟

ماتريونا : لا يتركُ أيّ أثر . أخذَ روبلاً منّي . قال لي : إنه لا
يستطيع أن يبيعه بسعر أرخص ، لأن هذه المساحيق صعبةُ
التركيب . دفعتُ الثمن من مالي ، يا فراولتي . إذا لم ترغبي
فيه أخذتُه إلى ميخايلوفنا .

آنيسيا : آوه ! لكن ربما نتجّ عن ذلك شرٌّ ؟ . . .

ماتريونا : أيّ شر ، يا فراولتي ؟ الشرّ لو كان رجلاًك قوياً ، لكن لم
يبق فيه سوى النَفَس ، ولا يستطيع أن يعيش . كثيراتُ
يفعلن ذلك .

آنيسيا : آه ! يا رأسي المسكين ! أخشى كثيراً ، يا ماتريونا ،
أن يُصيبنا سوءٌ . آوه ! لا ! لا !

ماتريونا : إذن سأعيد المسحوق معي .

آنيسيا : قلتِ إذن : يجب تدويبه في الماء مثل غيره من المساحيق ؟

ماتريونا : في الشاي ، أفضل . قال لي « لا يبقى منه أيُّ أثر ، وليس له رائحةٌ أو أي شيء آخر » . الذي باعني إياه رجلٌ ذكيٌّ .

آني!يا ، تأخذ المسحوق : اوه ! يا رأسي المسكين ! أكنتُ أجازفُ وأقدمُ على هذه الأشياء ، لو لا حياة الأشغال الشاقة التي أعيشُها .

ماتريونا : لا تنسِي الروبل ! وعدتُ العجوز بأن آتيه به .. إنه يجهد نفسه هو أيضاً .

آنيسيا : بلاريب .

(تذهب نحو صوانها وتخفي فيه المسحوق) .

ماتريونا : خبثه جيداً ، يا فراولتي ، حتى لا يعرف أحدٌ عنه شيئاً .
وإذ ما حدث شيءٌ — حَفِظْنَا اللَّهَ مِنْ ذَلِكَ — فقولي :
هذا للحشرات . . . (تأخذ الروبل) . لأنه يصلحُ أيضاً
للحشرات ! . . .

(تتوقّف عن الكلام) .

المشهد — ١١ —

« آنيسيا ، ماتريونا ، بطرس وآكيم » .

« يدخل آكيم ويرسم علامة الصليب وهو ينظر إلى الأيقونات المقدسة » .

بطرس ، يدخل ويجلس : قالت ، إذن ، يا عم أكيم . . .

أكيم : أفضل ، يا اغناتيتش . . . لا بدّ من ذلك ، هذ أفضل !
حتى لا يجرّ علينا السوء ، بخلاعاته ! أود . . . أن أسألم
هذ الولد . . . العمل ، وأنت ، إذا كنت ترى غير ذلك . . .
فسنحاول محاولة أخرى . . . أفضل !

بطرس : طيّب ، طيّب ! اجلس ! ولنتحدّث (أكيم يجلس) . إذن
أنت تريد أن تزوّجه ؟

ماتريونا : لسنا مستعجلين على الزواج ، يا بطرس اغناتيتش ؛ أنت
تعرف الضائقة التي نحن فيها ؛ كيف تريد منا أن نتزوج
ونحن نتعذّب لنعيش بالتقتير ؟ كيف تريد منا أن نزوّجه ؟
بطرس : يا عذراء ! افعلوا أفضل ما يناسبكم .

ماتريونا : لسنا مستعجلين على الزواج . كما قلت لك . والرجال
ليسوا مثل توت العليق ، إنهم لا يسقطون إذا زاد نضجهم .

بطرس : إذا كانت المسألة مسألة زواج فهو شيء حسن .

أكيم : نودّ ذلك . . . نعم . . . لأنني لقيتُ عملاً صغيراً . . . في
المدينة . . . نعم . . . مربّحاً .

ماتريونا : تُسمّيه عملاً ! تنظيف المراحيض ! كم تقيّات ، كم
تقيّات ، في هذه الأيام الأخيرة ، عند عودته .

أكيم : في البداية ، نعم . . . كأنها . . . تزخم الأنف . . . لكن
عندما نتعوّد . . . مثل ثفل العنب . . . ثم إن ذلك مربح

أيضاً . أما الرائحة ، نعم . . . فليس لنا أن نغتاز منها ...
نحنُ المساكين . . . ثم . . . بإمكاننا تغيير ثيابنا . . . إذن ،
أنت ترى ، أننا نود لو يكون نيكيتا في البيت . . . يشتغل
في البيت شغلَ البيت ، وأنا . . . أكسب عيشي في
المدينة . . .

بطرس : تريد أن تحتفظ بابنك في البيت . . . أفهمُ هذا ، لكن المال
المسلّف ، في هذه الحالة ؟ . . .

آكيم : صحيح ، صحيح ، يا اغناتيتش ! . . . كلامك حقّ . . .
مَنْ أجبرَ نفسه فقد باعها ! ليبقَ إلى آخر المدة . . .
بمقدار المال فقط ، لكن بما أنه سيتزوج ، امنحه عدة
أيام . . . إن لاعمك هذا .

بطرس : هذا ممكن !

ماتريونا : المشكلة أننا غير متفقين . وسأفتح نفسي أمامك ، يا
بطرس اغناتيتش ، كما أفتحها أمام الله . . . اقضِ بيني
وبين رجلي . إنه يكرّر دائماً : « الزواج ! الزواج » .
اسأله : بِمَنْ ؟ . . . ليت الخطيبة كانت لائقة . . .
أأنا عدوةُ ابني ؟ لكنّ في البنت عيباً . . .

آكيم : هذا ، أنتِ محطّةٌ فيه . . . مخطئةٌ ، فهمتِ ، في إهانة
هذه البنت ! مخطئة . . . لأنها . . . هذه البنت . . . هذه
البنت نفسها لحقّتها الإهانةُ من ابنك ! هناك إهانة . . .
فهمت . . . هذه البنت . . . نعم !

بطرس : وما هذه الإهانة ؟

آكيم : وقع ذلك ، أنفهم ، . . مع ابني نيكيتا . . . مع نيكيتا ،
نعم !

ماتريونا : كُفَّ عن الكلام ! لساني أكثر طلاقةً ، دعني أتكلّم .
كان ولدنا ، كما تعلم ، يشغل قديماً في السكة الحديدية ،
وهناك تعالّقتُ به هذه البنتُ التي لا تَسَوَّى شيئاً ، كما
تعلم . . . اسمها مارنكا ، وكانت طاهيةً لفرقة عملها .
هذه البنتُ تصرّح الآن أن ابننا نيكيتا قد خدعها . . . كما
تقول .

بطرس : هذا عملٌ غير صالح .

ماتريونا : ذلك أنها بنتٌ غيرُ مستقيمة . إنها تتسكّع دائماً . . .
مومسٌ حقيقية .

آكيم : هذه عادتكِ ، يا عجوز ! ليس الأمر كذلك . . . ليس
كذلك أبداً . . . ليس كذلك ! .

ماتريونا : هذا كل ما تعرفه من كلام ، يا نسري ! كذلك ، كذلك !
ما « كذلك » ؟ لا يعرف نفسه ما « كذلك » ! . لا تسألني
أنا ، يا بطرس اغنايتيتش ، واسأل الناسَ عن أخبار هذه
البنت . سيقول لك الناسُ الشيءَ نفسه . متسكّعةٌ
قدرة .

بطرس ، لآكيم : طيّب ! يا عم آكيم ، إذا كان الأمرُ كذلك ، فلا
داعي لتزويجه . ليست الكنةُ حذاءً . نزرعه متى شئنا .

آكيم ، مغضباً جداً: العجوز ، تتكلم على البنت كذباً . . . نعم . . .
كذباً . . . ! لأن البنت ، نعم . . . طيبة . . . طيبة جداً ،
البنت ! أنا أشفقُ عليها . . . نعم . . . أشفقُ عليها . . .
تلك البنت !

ماتريونا : يا له من مبرّةٍ للإحسان ، يُحسن إلى الآخرين ويترك
أهله يموتون جميعاً ! يشفق على البنت ولا يشفق على
ابنه . طيب ! علّقها في عنقك وتجوّل بها . دعنا !
كفاك هذراً بهذه الحماقات !

آكيم : لا ، ليست حماقات !
ماتريونا : لا تقاطعني ! دعني أتكلّم .
آكيم ، مقاطعاً : لا ليست حماقات . أنتِ تحوّلين كل شيء على
حسب هواك ، إن كان بصدد البنت أو بصددك . . . لكن
الله ، أرايتِ ، الله . . . سيحوّل كل شيء على حسب
مشيئته . . . وسيكون أمرُ هذه . . . كذلك . . .

ماتريونا : ليس في الكلام معاك سوى إمتاع اللسان .
آكيم : بنتٌ شغوية . . . بنتٌ طيبة . . . لنفسها ولمن حولها . . .
نعم إنها تلائمنا ، مع فقرنا . . . ولن يكلف العرسُ غالياً ...
لكن أكثر ما يؤثر فيّ هو الإهانةُ التي لحقتُ بهذه البنت ،
نعم . . . يتيمةٌ ، هذه البنتُ ! والإهانة موجودة !

ماتريونا : هي حرةٌ في أن تقول . . .
آنيسيا : عم آكيم ، إذا كنتَ مستعداً لسماع النساء فسّيروين
لك ما تشاء من الحماقات .

آكيم : والرب ؟ الرب الرحيم ؟ أليست مخاوقةً بشرياً ، هذه الفتاة ؟ هي مخاوقة في نظر الرب الرحيم . ! أليس هذا صحيحاً ؟

ماتريونا : ها قد انطلق مرة أخرى !

بطرس : عمّ آكيم ، يجب ألاّ تصدّق دائماً ما تقوله البنات . فابنكم لم يمتْ لِنُحْضَرِه ولنسألهُ إن كان ذلك صحيحاً .
فلن يَحْلِفْ زوراً . ادّعيه . (تنهض آيسيا) . قولي له إن والده يطلبه .

المشهد - ١٢ -

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا آيسيا » .

ماتريونا : رأيك صائب ، يا صديقي . ليوضحْ لنا الأمرَ الشابُ بنفسه . لأننا لَنَسْتَطِيعُ ، في هذه الأيام ، أن نزوِّج ابنتنا بالقوّة ، ولا بد من أخذ رأيهِ أيضاً . لن يرضى أبداً بالزواج بها ، ويقبول العار . . . رأيي أن يبقى عندك يخدم سيّدَه ، بل لا حاجة بنا إلى أخذه في الصيف ، إذ نستطيع أن نستأجر رجلاً . أعطنا ورقةً بعشرة روبلات واحتفظْ به .

بطرس : سنُتحدّثُ عن ذلك فيما بعد ، يجب أن نسير في الأمور بالترتيب . ننتهي من شيء قبل أن نبدأ بالآخر .

آكيم : أنا قلتُ كل هذا . . . لأن هذا يوافقني . . . نحن نحاول دائماً أن نرتّب الأمور لأنفسنا على أفضل وجه . . . أما

الربُ ، نعم . . . فنحن ننساه . . . نفكر في ما هو أفضل...
ونسبغي جز كل شيء إلى مصاحبتنا ، فنخطيء بحق أنفسنا...
نفكر فيما هو أفضل . . . وبدون الرب الرحيم ، ينتج
عن ذلك الأسوأ .

بطرس : نعم ، لا ريب ، الرب ، لا يجب أن ننساه .
آكيم : ينتج الأسوأ . . . بينما لو سرتم بحسب القوانين وبحسب
تعاليم الرب للأ ذلك قلوبكم بالفرح ، نعم . . . هذا
يجذبكم إليه ! . . . هكذا فكرت ! . . . أزوج الولد
لحماته من الخطيئة . فيبقى هو في البيت ، أما أنا . . .
فأشتغل في المدينة . . . العمل لطيف ومفيد أيضاً .
هذا أفضل ، بحسب تعاليم الرب ! لأنها يتيمة . وهكذا
مثلاً ، ففي الصيف الماضي أخذوا خشباً من عند الوكيل...
ظنوا أنهم يخذعونه بهذه الطريقة . . . والواقع أنهم
خذعوه ، لكن الرب الرحيم . . . لم يخذعوه . . .
وحينئذ ! . . .

المشهد - ١٣ -

« الأشخاص أنفسهم ، نيكيتا وانيوتكا » .

نيكيتا : هل طلبتموني ؟

(يجلس ويتناول تبغ من جيبه) .

بطرس ، برفق وبشيء من اللوم : مالك ! ألا تعرف أصول اللياقة ؟
الأب يريد أن يستفهم منك ، وأنت تتسلى بتبغك وتجاس !
تعال إلى هنا ، قف !

(يجلس نيكيتا أمام الطاولة ، ويتكى بمرفقه عليها ، بعدم اكتراث ،
ويبتسم) .

أكيم : هذا إذن ما ينتج . . . ذلك أنك يانيكيتا . . . هناك شكوى ،
أفهمهم ، شكوى . . .

نيكيتا : وممن الشكوى ؟

أكيم : الشكوى ؟ من بنت ، من يتيمة . . . أفهمهم ، الشكوى ...
منها جاءت الشكوى . . . عليك . . . من مارينا نفسها ...
نعم !

نيكيتا ، وهو ما يزال يبتسم : هذا مضحك حقاً ! أية شكوى هذه ؟
من حملها ؟ أهي نفسها التي جاءت بها ؟

أكيم : أنا . . . أسألك الآن . . . وأنت . . . يجب أن تجيبني ...
ارتبطت بفتاة ، نعم . . . هل ارتبطت بها ؟

نيكيتا : لا أفهم قطعاً ما تسألني عنه .

أكيم : ارتكبت حماقات ، أليس كذلك ؟ معها . . . قل ،
حماقات ؟

نيكيتا : كانت هناك أشياء كثيرة . عندما نتضابق نلهو أحياناً مع
الطاهية . . . نعزف على الأكورديون وهي ترقص . . .
ما الحماقات التي تريدنا غير هذا ؟

بطرس : لا تتهرب من الجواب ، يا نيكيتا ، وجواب كما ينبغي ،
عما يسألك أبوك .

آكيم ، بلهجة مهيبة : نيكيتا ، تستطيع أن تخدع البشر ، لكنك لن تخدع الله . إذن فكّر في ذلك جيداً ، يا نيكيتا . . . لا تُقدّم على الكذب . . . هي يتيمة ، أنفهم . . . قد تُسيء إليها . . . يتيمة . . . نعم . . . تكلم ، أفضل لك . . .

نيكيتا : طيّب ! ليس لديّ ما أقوله . . . قطعاً ، قلتُ كلَّ شيء ، إذ ليس عندي شيء . . . (محتدّاً) . تستطيع هي أن تقول كلَّ ما تشاء ، كما لو كنتُ ميتاً . . . ألم تكلم هي أيضاً عن « فيدكا ميشيكين » ؟ أليس مسموحاً للمرء ، في هذه الأيام ، أن يلهو ؟ هي حرة في أن تروي ما تشاء .

آكيم : أيه ! نيكيتا ! حذار ! . . . الكذب ينكشف دائماً . . . هل كان بينكما شيء ، نعم ، أم لا ؟

نيكيتا ، بينه وبين نفسه : يا لهم من ملّاحين حقاً ! (بصوت عالٍ) . قلتُ لك : إنني لا أعلم شيئاً ، ولم يكن بيني وبينها شيء (غاضباً) وحقّ المسيح ، خذوا ! (يرسم علامة الصليب) . لن أغير كلامي ! لست أعرف شيئاً على الإطلاق ! (صمت . يتابع نيكيتا كلامه وهو يحتدّ شيئاً فشيئاً) . هل خطر لكم مثلاً أن تزوّجوني بها ؟ ستكون فضيحة حقاً . في هذه الأيام ، ليس لأحد الحق في تزويج الناس بالقوّة . الأمر بسيط جداً ، وأنا أقسمتُ على كل حال . لا أعرف شيئاً على الإطلاق .

ماتريونا ، مشيرة إلى زوجها : انظروا إلى هذا الأبلة ! إنه يصدّق كلَّ ما يُقال له . هل في الأمر ما يستحقّ أن يُدَلّ من

أجابه هذا الولد المسكين ! الأفضل له أن يثايع حياته عند
معالّمه كما كان من قبل ، ويُسْطِطِنَا المعالم ، بسبب ضائقنا
ورقة بعشرة روبلات ، وعندما يحين الوقت . . .

بطرس : ما قولك الآن ، عم أكيم ؟

أكيم ، متمطّقاً بلسانه ، لأبيه : تذكّر ذلك جيداً ، يا نيكيتا ،
إن اللطعة التي يُغيّر لها الوجه . . . لا تسقط جانباً ، بل
على رأسه ! تذكّر ذلك ، لكي لا ينجح . عنه . . . هذا !

نيكيتا : ليس لي أن أتذكّر ذلك ، تذكّره أنت نفسك .

(يجلس)

انيوتكا : يجب أن أذهب لأروي ذلك لما .

(تخرج)

المشهد - ١٤ -

« بطرس ، أكيم ، ماتريونا ونيكيتا » .

ماتريونا ، لبطرس : هو ، في كل شيء ، كما رأيت ، يا بطرس
اغشائيتش ، مشوش دائماً ! ولذا أهمل في رأسه شيئاً فلا سبيل
إلى إرجاعه عنه ! كل ما فعلناه هو إزعاجك دون نتيجة .
أمّا بالنسبة إلى الولد ، ففأسيجتَ هذا كما كان من قبل .
احتفظ به فهو في خدمتك .

بطرس : وأنت ، عم أكيم ، ما قولك ؟

آكيم : أنا ، نعم . . . لستُ أترعُ من الولد حرّيته . . . بشرط
أن . . . هذا . . . كنتُ أريدُ ، كما ترى ، نعم . . .

ماتريونا : بمَ تهلّس ؟ أنت نفسك لا تعرّفُ بم . ليبقَ الولدُ كما
كان من قبل ! وهو نفسه لا يريد أن يترك عمله . لا حاجةَ
بنا إليه . سنتدبّر أمورنا وحدنا .

بطرس : لكنْ ، يا عم آكيم ، إذا أخذتَه في الصيف ، فسوف
أستغني عنه في الشتاء . إذا أراد أن يبقى فليبقى السنةَ
بكاملها .

ماتريونا : بالتأكيد ، نعم ، سيأترم بالسنة كلها . وإذا احتججنا نحن ،
في الأعمال الصعبة ، إلى عَوْنٍ ، استأجرنا أحداً . أما
الولدُ فليبقى ، وستُعطينا أنت ورقةَ عشرة روبلات . . .

بطرس : لسنة تامة أيضاً ، إذن ؟

آكيم ، متتهللاً : إذا كان الأمرُ كذلك . . . نعم ، حينئذٍ . . .
أترى . . . وهو كذلك .

ماتريونا : نعم ، لسنة كاملة ، بدءاً من سبت القديس دميترى (١) .
أما الأجرة ، فلي تجور عينا فيها : وأما ورقة العشرة ،
فهاها الآن . ساعدنا !

(تنهض وتنحني أمام بطرس) .

(١) القديس دميترى : يقع هذا العيد في ٢٦ تشرين الأول .

المشهد - ١٥ -

« الأشخاص أنفسهم ، آنيسيا وآنوتكا . آنيسيا تجلس على حدة »

بطرس : هيا ! الأمور على ما يرام ، وبما أنها سوّيت هكذا ،
فانذهب إلى النزل ولنشرب كأساً ! هيا ، عم آكيم ،
إلى كأسٍ من ماء الحياة !

آكيم : لن أتناول شيئاً . . .

بطرس : تتناول الشاي ، إذن .

آكيم : الشاي . . . نعم . . . فأنا أحبه .

بطرس : والمرأتان ستشربان شاياً أيضاً . نيكيتا ، أنت ، أدخل
الخراف واجمع القش .

نيكيتا : طيب

(يذهب الجميع ، ما عدا نيكيتا . الظلام يهبط) .

المشهد - ١٦ -

نيكيتا ، وحده ، مشغولاً بسيجارة : يا لهم من ملحاحين ! « قلّ لنا
ماذا تفعل مع البنات ! » إذا كان لا بدّ من حكاية كل
شيء ، فإن تنتهي الحكاية ! كلّهم مجمعون على القول :
« تزوّج ! » إن كان ينبغي الزواج بهنّ جميعاً ، فكم
مرأة ستزوج ! لا داعي للزواج ، فأنا أعيش أفضل مما
يعيش المتزوج ! غيري يغار من المتزوج . . . هذا مضحك
مع ذلك . . . كأنهم دفعوني إلى حلف اليمين دفعاً عندما
رسمت علامة الصليب أمام الأيقونة المقدسة . . . وبذلك

قطعتُ عَينهم الطريق . . . يُغَال : إن اليمين الكاذبة شيء
خطير . . . يا للحماقة ! . . . ليست شيئاً . . . كلام
فارغ ، لا غير !

المشهد - ١٧ -

« نيكيتا ، آكولينا »

آكولينا ، تدخل وتضع حَبْلَها على المقعد ، وتخلع قفطانها وتذهب
إلى غرفة المهنات : كان يجب أن تُشعل الضوء . . .

نيكيتا : لكي انظر إليك ؟ لفي أراك جيداً بدون الضوء .

آكولينا : أتريد أن تسكت !

المشهد - ١٨ -

« آكولينا ، نيكيتا ، آنيوتكا »

آنيوتكا ، تدخل على عجل ، بصوت خافت لنيكيتا : نيكيتا ،
أسرع ، هناك مَنْ تسأل عنك . . . حقاً !

نيكيتا : مَنْ ؟

آنيوتكا : « مارينا » السمكة الحديدية ، هي في الشارع ، في الزاوية .

نيكيتا : غير صحيح .

آنيوتكا : أوه ! عسى أن أموت . . .

نيكيتا : وماذا تريد إذن ؟

انيوتكا : ترجوك أن تخرج . قالت : « ليس عندي سوى كلمة واحدة
أريد أن أقولها له » . لكنها سألتني إن كان صحيحاً أنك
ستذهب من عندنا فأجبتها أنا : لا . وقت لها : أبوه أراد
أن يأخذها ، ويزوجه ، لكنه رفض ، وسيبقى أيضاً سنة
أخرى . فقالت لي حينئذٍ : « أرسايه إليّ » ، بجاه الله !
فعندي كلمة سأقولها له . وهي تنتظر منذ وقت طويل .
اذهب إليها إذن !

نيكيتا : لتغرب من وجهي ! ولماذا أذهب ؟
انيوتكا : قالت إن لم يأت فسوف أدخل البيت ! عسى أن أموت
إنه لم تكن قالت : « سأدخل البيت ! » .

نيكيتا : لا تخافي ، ستصرف عندما تتعب من الانتظار . . .
انيوتكا : قالت : وهل سيزوجه بأكولينا ؟
آكولينا ، تتقدم لتأخذ مهرها : من الذي سيزوجه بأكولينا ؟
انيوتكا : نيكيتا .

آكولينا : ليس الأمر سهلاً إلى هذا الحد ! من الذي قال هذا ؟
نيكيتا : يا عنراء ! يتبدو أن هذا يقال . (ينظر إليها ويبتسم)
ما رأيك ، يا آكولينا ، أترضين بي ؟
آكولينا : بك ؟ قيل ، ربّما ؛ أما الآن فلا .
نيكيتا : ولم لا الآن ؟
آكولينا : لأنك لمن تحبني .

نيكيثا : ولمَ لا ؟
آكولينا : لن يُسَمَحَ لك بذلك .
نيكيثا : ومنَ الذي لن يسمح لي ؟
آكولينا : خالتي . إنها تجدّف دائماً ، وهي تراقبك طوال الوقت ...
نيكيثا ، ضاحكاً : رأيتم ! إنها تلاحظ بدقة .
آكولينا : أنا ! ليس لي ما ألاحظه ، لكنني لستُ عمياء . لقد
أوسعتُ أبي شتمةً اليوم العجوزُ العنيدة .
(تذهب إلى غرفة المهملات) .

آنيوتكا : نيكيثا ، انظر ! (تنظرُ إلى النافذة) . ها هي قد جاءت !
عسى أن أموت إن لم تكن هي ، سأنصرف .
(تخرج)

المشهد - ١٩ -

« نيكيثا ، آكولينا ؛ في المكتب ، مارينا » .
مارينا : ما الذي تَفْعَلُهُ بي ، يا نيكيثا ؟
نيكيثا : ما الذي أَفْعَلُهُ ؟ إني لا أفعل شيئاً .
مارينا : تريد أن تتنكّر لي ؟
نيكيثا ، يقف ، مغضباً : تأتين إلى هنا ؟ لا مثيلَ لهذا العمل !
مارينا : آه ! نيكيثا !
نيكيثا : انتنّ مضحكاتٌ ، حقاً ! ماذا جئتِ تفعلين هنا ؟

مارينا : نيكيٲتا !

نيكيٲتا : نعم ، أنا نيكيٲتا ! ماذا تريدن ؟ انصرفي ، قلتُ لك !

مارينا : نعم ، أرى أنك تريد أن تتخلّى عني . . تريد أن تنساني ..

نيكيٲتا : وما الذي عليّ أن أتذكّره ؟ هي نفسها لا تعرف ما هو ؟
كنت في الشارع ، وأرسلت آنيوتكا . . فلم أذهب ...
أنت تترين إذن أنني لست بحاجة إليك ، بكل بساطة .
حسناً ! انصرفي إذن !

مارينا : لست بحاجة ! الآن لم تعد بحاجة إلي ! ظننتُ أنك ستحبّني ،
والآن ، لم تعد بحاجة إليّ ، بعد أن قضيت عليّ !

نيكيٲتا : كل هذا ، كلامٌ لا يقدر ولا يؤخّر ، حماقات ! أنتِ
التي جئت وأخبرت أبي ؟ انصرفي ، انصرفي !

مارينا : أنت تعلم جيداً أنني لم أحبّ غيرك . ولن أغضب سواء
تزوجتني أم لم تتزوجني . . لكن بما أنني لم أخطيء
معك ، لم تعد تحبّني ؟ لماذا ؟

نيكيٲتا : ينبغي ألا نتكلّم كلاماً لا جدوى منه ! انصرفي ! اوه !
الغبيبات ، كلهن مجنونات !

مارينا : ما يؤلمني . . لا أن تكون قد خدعتني حين وعدتني
بالزواج ، بل لأنك لم تعد تحبّني . . وليس هذا فقط ...
بل لأنك فضّلت عليّ أخرى ، وأنا أعرف مَنْ هي ! ...

نيكيٲتا ، يتقدّم نحو وهو بادي الغضب : لا داعي لكثرة الكلام

معكن ، أنتن النساء ، فأنتن لا تُذعننَّ للحق أبداً .
قلتُ لكِ انصرفي ، وإلا انتهت الأمور نهاية سيئة !

مارينا : نهاية سيئة ؟ لعلاك تريد أن تضربيني ؟ حسناً ! اضربي !
لمَ تُدير وجهك ؟ أيه ! نيكيتا !

نيكيتا : قطعاً ، ليس هذا لائقاً . . . قد يأتي أحدٌ . ثم ما فائدة
الكلام ؟

مارينا : انتهى الأمر ، إذن ؟ ولم يبقَ شيءٌ ! تأمرني أن أنسى ؟
حسناً ! تذكر ، يانيكيتا ! كنتُ أحافظ على شرفي كما
أحافظ على يربو عيني ، فقضيت عليّ من أجل لا شيء ،
وخدعتني ، ولم ترأف بيئمة . . . (تبكي) . تنكرت
لي وقتاً ثني ، ومع ذلك فإستُ حاقدةٌ عليك . ليحاسبك
الله ! إذا وجدتَ خيراً مني فانسني ، وإذا وجدتَ أسوأ
فتذكرني ! وسرف تنذكرني ، يانيكيتا ! وداعاً ، بما أن
الأمر كذلك ! آه ! كم كنتُ أحبك ! وداعاً ، لآخر
مرة !

(تريد أن تقبله وتمسك رأسه بيديها) .

نيكيتا ، متخلصاً منها : كفى ثرثرة ! إذا كنتِ لا تريدن أن
تنصرفي ، فأنا سأصرف . وابقِ هنا .

مارينا ، تُرسل صرخة : وحش ! (على عتبة الباب) لن ينجح
الله السعادة !

(تخرج وهي تبكي) .

المشهد - ٢٠ -

« نيكيتا ، آكولينا » .

آكولينا ، خارجة من غرفة الحمام : يا لك من كابر ، نيكيتا !

نيكيتا : لماذا ؟

آكولينا : كم بكت !

(تبكي)

نيكيتا : وماذا يهمك من ذلك ؟

آكولينا : ماذا يهمني ! أهنتها ، وسوف تهينني كذلك أيضاً ،
أيها الكاب !

(تعود إلى المكتب) .

المشهد - ٢١ -

« نيكيتا ، وحده » .

نيكيتا ، بعد صمت : يا لها من جانية ! أحب النساء كما أحب
السكر ، لكن ما أكثر الخطايا معهن ، آه ! . . . لا نهاية
لها ؟ . . .

ستار

الفصل الثاني

يُحْتَلُّ المسرحُ الشارعَ وبيت بطرس الخشبي . إلى اليسار ، البيت الخشبي ولاء مصطبة ودرج في الوسط. إلى اليمين باب العربات وزاوية من النخاء . في هذه الزاوية ، آيسيا تَمْنُشُ القنب . بين الفمصل الأول والفمصل الثاني ستة أشهر .

المشهد - ١ -

« آيسيا ، وحدها »

آيسيا ، تتوقف وتصفي : هناك شيء آخر يظن ؟ لا بد أنه نزل عن الموقد .

المشهد - ٢ -

« آيسيا ، آكولينا »

« تدخل آكولينا حاملةً سطلين معلقين بقضيب خشبي » .

آيسيا : هو ينادي . اذهبي وانظري ماذا يريد . ها هوذا يزعم .

آكولينا : وأنتِ ؟

آيسيا : قالتُ لكِ : اذهبي !

« تدخل آكولينا البيت »

المشهد - ٣ -

« أنيسيا وحدها »

أنهكني . . . لا يريد أن يقول أين وضع ماله . أمس بالذات ،
كان في الرواق ، لعنه خبأه فيه ؛ أما اليوم فلا أعرف
أين . . . ومن حسن الحظ أنه لم يجرؤ على الانفصال عنه
وأن المال ما يزال في البيت . آه ! ليتني أجده ! أمس كان
المال معه ؛ واليوم لا أعرف أين هو ! . . آه ! لقد
أرهمتي .

المشهد - ٤ -

« أنيسيا ، آكولينا » .

« آكولينا تخرج من البيت الخشبي وهي تربط أطراف شالها »

أنيسيا : إلى أين تذهبين :

آكولينا : إلى أين أذهب ؟ يريد أن أذهب لأُحضر العمة مارفا .
قال لي : « اذهبي وأحضري أختي ، سأموت ! عندي لها
كلمة ! » .

أنيسيا ، بينها وبين نفسها : يرسلها لتحضر أختي ! اوه ! يا رأسي .
اوه ! يتنوّي أن يرسلها ماله . ما العمل ؟ (لآكولينا) .
لا تخرجي ! إلى أين تذهبين ؟

آكولينا : أُلحِضُ العمة .

أنيسيا : قلتُ لك : لا تذهبي إليها . سأذهب بنفسني . الأصح

أن تذهبي إلى النهر لتنظيف الغسيل ، وإلا فلن يتسنى لك
أن تنتهي قبل الليل .

آكولينا : لكنه أمرني بذلك . . .

آنيسيا : انهي إلى حيث أرسلأك . أكرّر عليك أنني سأذهب بنفسني
لإحضار مارفا . لا تنسي أن تأخذي أن القمصان المنشقة
على السياج .

آكولينا : القمصان ؟ أنت لن تذهبي إليها وهو قد أمر بذلك .

آنيسيا : قات لك : إنني سأذهب . أين آتيوتكا ؟

آكولينا : آتيوتكا ؟ إنها تحرس المجول .

آنيسيا : أرسلها إلي . فلن تخرج المجول .

(آكولينا تلمّ الغسيل وتخرج)

المشهد - ٥ -

« آنيسيا ، وحدها » .

إن لم أذهب إليها فسوف يفضب ؛ وإن ذهبتُ سوف يُسلّمها
المال . وستضيع جهودي سدى . لا أدري ماذا أفعل . سيتفجّر
رأسي !

(تتابع عملها) .

المشهد - ٦ -

« آنيسيا ، ماتريونا »

« تدخل ماتريونا ومعها قضيب ، تحمل سقطة صغيرة » .

ماتريونا : كائن الله في عوثك ، يا فراولتي !

(تاتفت آنيسيا ، وترمي بشغلها ، وتصفق بيديها فرحاً)

آنيسيا : ما كنتُ انتظر مجيئكَ ، يا خالة ! الرب هو الذي أرسلكَ في الوقت المناسب !

ماتريونا : ولمَ ذاك ؟

آنيسيا : طار صوابي . . . يا للمصيبة !

ماتريونا : ما بك ؟ ما يزال حيّاً على ما يُقال ؟

آنيسيا : آه ! اسكبي ، إنه لا يجيا ولا يموت !

ماتريونا : والمال ؟ ألم يسلمه الى أحد ؟

آنيسيا : قبل قليل ، بعثَ يُحضّر أخاه مارفا لا بد أن يكون قد بصدده المال .

ماتريونا : بالطبع . ألا يكون قد سلّمه الى أحد ؟

آنيسيا : لا ، لا يوجد أحد . . أنا أراقبه كالعقاب . . .

ماتريونا : وأين المالُ إذن ؟

آنيسيا : لا يقول أين ، ولم ألاح في معرفة ذلك . إنه يغيّر مخابثه

دائماً . أنا متضايقة بسبب آكولينا . . . هي غبية ، لكنها

ترصدني ، أيضاً ، وتقوم بالحراسة ! يا لرأسي المسكين !

أنا منهكة !

ماتريونا : إيه ! يا فراولتي ، سيسحبُ المالَ من تحت أنفك ، ثم

تبيكين عليه بقيةَ عمرك . سيطر هوئلك . . . دون أن

تحصلي على شيء . وتكونين قد قضيتَ حياتك ، يا

عزيزتي ، تكدين حول هذا الشحيح ، حتى إذا صيرت
أرملةً وجب عليك أن تتسولي .

آيسيا : اسكتي ، يا خالة ! قلبي يتمزق . لا أدري كيف أعمل .
بل لا أدري من أستشير . حدثت نيكيتا عن ذلك ، لكنه
لا يهسر على التدخل في هذه القضية . قال لي أمس فقط :
إن المال تحت الأرض .

ماتريونا : حسناً ! وهل فتشت عنه ؟

آيسيا : غير ممكن . فهو دائماً هنا . وعلى حسب ما استطعت
أن أرى ، إنه يحمل المال مرةً معه ، ومرةً أخرى يخبئه .

ماتريونا : تذكرني جيداً ، يا بنتي ، أئله ، إذا أخطأت الهدف هذه
المرة ، فلا سبيل إلى إصلاح الخطأ طوال حياتك .
(بصوت منخفض) . هل أعطيته شيئاً ثقيلاً ؟

آيسيا : أوه !
(تريد أن تتكلم ، لكنها تسكت عندما ترى جارتها) .

المشهد - ٧ -

« المراتان ، غرابة مرت أمام البيت الخشبي وسمعت صراخاً » .

الغرابة ، لآيسيا : آيسيا ! يا آيسيا ! أليس رجلك هو الذي ينادي ؟

آيسيا : إنه يسعل دائماً هكذا ؛ فكأنه يصرخ . حالته سيئة
الغرابة ، تتقدم نحو ماتريونا : صباح الخير ، أيتها الجدة العزيزة ،
من أين جئت ؟

ماتريونا : من منزلي ، يا عزيزتي . جئتُ أَسْتَخْبِرُ عن ابني . وقد حملتُ إليه تمصاناً . تعالين ، الناس يفكّرون كثيراً في أبنائهم .

العراة : طبعي . (لآنيسا) : أردتُ ، يا اشبييتي ، أن أغسل الأغطية . لكنني أعتقد أن الأوان لم يحن بعد . فلم يبدأ أحدٌ .

آنيسا : أمّ العجلة ؟

ماتريونا : هل اعترف ؟

آنيسا : نعم ، جاء الكاهن أمس .

العراة ، لماتريونا : وأنا أيضاً ، أَلقيتُ عليه نظرة خاطفة أمس . لا أدري كيف يعيش . فكّم نخل جسمه ! أمس ، كان يُحتنم حقاً . . . فوضعه تحت الأيقونة المقدسة ، وبكياته ، وتبيّأنا لغسائه . . .

آنيسا : ثم عاش ! نهض وأخذ يتجول .

ماتريونا : هل مُسّح المسحة الأخيرة ؟

آنيسا : نُمِصِحْنَا بذلك . إن ظلّ حياً فسوف نرسلُ غداً مَنْ يُحنّم الكاهن .

العراة : لا شك أن ذلك مزعجٌ لكِ ، يا صغيرتي آنيسا . صدّق قولهم : المريضُ حقاً ليس من يلزم السرير بل الذي حول السرير .

آنيسا : يجب أن ينتهي ذلك ، على كل حال ، بشكل أو بآخر .

العراة : بالتأكيد ! فيها هو ذا يحتنم منذ سنة ! إنه يقين يدريك :

ماتريونا : وليس مبهجاً أيضاً أن تصبح المرأة أرملة . هذا حسن عندما تكون شابة ، أما عندما تكبر فهي لا تجد من يرثي لها . ليست المنيخوخة فرحاً . انظروا إليّ مثلاً ، لستُ كبيرة وأنا منهكة . لستُ أحسنُ بساقي . أين ابني ؟

آنيسيا : إنه يحرق . ادخلي ، سنسخن السماور . وسنستعملين قواك بفنجان من الشاي .

ماتريونا ، جالسة : حقاً ، يا عزيزتي ، إني متعبة . أما المسحة الأخيرة فهي ضرورية حتماً . يُقال إنها نافعة للنفس .

آنيسيا : نعم ، سنرسل غداً . . .

ماتريونا : الأمور أفضل هكذا . وعقدنا عرساً ، يابنتي .

العراة : وكيف ؟ في الربيع ؟

ماتريونا : صدق المثل : « عندما يتزوج الفقير ، يقصُر ليله » . سيمون ماتفتيش سيتزوج مارنيا .

آنيسيا : وجدت سعادتها على كل حال .

العراة : أعتقد أنه أرملة . وتزوجها من أجل أولاده .

ماتريونا : له أربعة . أية فتاة شريفة ، ولو قليلاً ، تقبل بذلك ؟ تزوجته ، وهي مسرورة . يا غفراء ! كانوا يشربون الخمر ويبدو أن في المسألة شبهة . . . كانت الكأس مثقوبة . . .

العرابة : نعم ، في الواقع ، كان الناس يتحدثون عن ذلك !
والزوج أهو في بحبوحة .

ماتريونا : هم يعيشون عيشةً مقبولةً حتى الآن .

العرابة : قليلاتُ الفتياتُ اللواتي يقبلن الأولاد ؛ عندنا مثلاً ميشيل ،
هو فلاحٌ ، يا أمي . . .

صوتُ فلاح : ايه ! ما فرا ، أين انقلعتِ ؟ أرجعي البقرة !
(تنصرف الجارة) .

المشهد - ٨ -

« آنيسيا ، ماتريونا »

ماتريونا : تتكلم بلهجة ثابتة ، أثناء انصراف الجارة : لقد زوجوها ،
يابنتي . وهي الآن بعيدةٌ عن الخلطة ، على الأقل ، ولن
تساور الشكوكُ زوجي الغبي حول نيكيثا (ثم تقول فجأةً ،
وبصوت خافت) . ها هي ذي انصرفت ! قولي لي !
هل سَقَيْتَهُ الشاي ؟

آنيسيا : لا تذكريني بذلك . الأفضل أن يموت وحده . إنه لا
يموت مع ذلك ، وكل ما فعلتهُ أني أثقلتُ ضميري ،
بخطيئة . اوه ! يا لرأسي ! لم أعطيتني هذه المساحيق ؟
ماتريونا : هذه المساحيق ، يابنتي ، منومةٌ ، فلماذا لا تعطينه منها ؟
لا ضرر في ذلك .

آنيسيا : لا أتكلم عن التي تنوم ، بل عن الأخرى ، البيضاء . . .

ماتريونا : والبيضاء ، يا فراولتي ، مساحيق طيبة .

آنيسيا ، متنهدة : أعلم ، لكنني خائفة مع ذلك . اوه ! لو تعلمين كم أجهدني . . .

ماتريونا : وهل وضعت له كثيراً منها ؟

آنيسيا : اعطيتهُ مرتين ؟

ماتريونا : ألم تلاحظي شيئاً ؟

آنيسيا : غمستُ فيها طرف لساني . فأحسستُ بمرارةٍ خفيفة . أما هو فأخذها في الشاي وقال : « حتى الشاي عفتهُ ! فقلتُ له أنا : « كل شيء مر في فم المرضى » أوه ! يا خالتي ! كم شعرتُ بالضيق !

ماتريونا : لا تفكّري في ذلك ! فعندما تفكّر في ذلك ، يزدادُ ضيقنا !

آنيسيا : كان الأفضل ألا تُعطيني إياها وألاً تدفعيني إلى الخطيئة . عندما أتذكر ذلك يتفتّت قلبي . لم أعطيني إياها ؟

ماتريونا : مهلاً ، مهلاً ، مهلاً . حفظك الله ، يا فراولتي ! لم تُلقين التبعة كلها علي؟ لا تجعل من افكارك افكاراً لي . إذا ما حدث شيءٌ أياً كان ، فسأغسل يديّ منه . وسأقول : إني لا أعرف شيئاً على الإطلاق . سأقبل الصليب وسأحافُ أني لم أر المساحيق المذكورة ، بل لم أسمع بها . فكّري في ذلك جيداً ، يابنتي ! كنّا نتحدّثُ عنك مؤخراً : « كم تتألم ، المسكينة ! بنت الزوج غبيّة ، والرجلُ

عَفِينٌ ، لَزْزَقَةُ حَقِيقَةٍ ! ما الشيءُ الحسن الذي يطلع من
مثل هذه الحياة ! »

آنيسيا : أما أنا فان أتراجع ! فليس في هذه الحياة التي أحياها
ما يستوجب التورط في مثل هذه المغامرة فقط ، بل ما
يستوجب أن أشنق نفسي أو أخنقها ! وهل هذه حياة ؟

ماتريونا : ممتاز ! ليس لديك وقتٌ تضيعينه الآن ! يجب أن تعثري
على المال بطريقة أو بأخرى ويجب أن تسقيه شايًا .

آنيسيا : أوه ! يا لرأسي المسكين ! لا أحري ما أفعل . أحسُّ
بالضيق . آه ! ليته يموتُ من ذاته ! لأنني أخاف أن أثقل
ضميري .

ماتريونا ، بخبث : لماذا لا يقول أين المال ؟ أَيْبَغِي أن يحمله معه
حتى لا يستفيد منه الآخرون ؟ أعدِّلْ هذا ؟ حَفِظْنَا
اللهُ ! الكثير من المال سيضيع وسيفقده الجميع ! أليس
هذا خطيئةً ؟ ماذا يفعل إذن !

آنيسيا : لم أعد أعرفُ شيئاً أنا نفسي . نَقَدْتُ قواي !

ماتريونا : ما الذي لا تعرفينه ! المسألة واضحة ! إن أخطأتِ الهدفَ
هذه المرة ، ندمتِ على ذلك طوال حياتك . سيسأم
المال إلى أخته ، وستظللين على الأرض .

آنيسيا : لقد أرسل يُحضرها . يجب أن أذهب إليها .

ماتريونا : انتظري قبل أن تذهبي . سخني السماور ، قبل كل شيء ؛

سَنَسْقِيهِ شَايَاً ، وَسَنَبْحَثُ عَنِ الْمَالِ مَعاً . رَبِّمَا أَفْزَحْنَا فِي
الْعَثُورِ عَلَيْهِ .

آنيسيا : وَإِنْ وَقَعَ لَنَا سُوءٌ ؟

ماتريونا : وَمَاذَا تَنْوِينُ أَنْ تَفْعَلِي إِذَنْ ؟ لَا يَكُنْكَ أَنْ تَظْلِي مَكْتُوفَةً
الْيَدَيْنِ . أَتَقْنَعِينَ بِالنَّظَرِ إِلَى الْمَالِ دُونَ أَنْ تَمْسِيَهُ . تَصَرِّفِي !

آنيسيا : سَأَذْهَبُ إِذَنْ لِأَغْلِي السَّمَاوِرَ .

ماتريونا : اذْهَبِي ، يَا فِرَاوَلْتِي ، وَافْعَلِي مَا يَجِبُ فَعَلُهُ حَتَّى لَا تَأْسَفِي
عَلَى شَيْءٍ . (تَذْهَبُ آنيسيا . تَتَادِيهَا مَاتريونا) . وَإِيَّاكَ
أَنْ تَقُولِي شَيْئاً عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ لِنِيكِيتَا . تَعْرِفِينَ كَمْ هُوَ بَسِيطٌ ،
فَعَسَى أَلَّا يَعْلَمَ شَيْئاً عَنْ مَوْضُوعِ الْمَسَاحِقِ ، لِأَنِّي لَا أُدْرِي مَا
الَّذِي يُقَدِّمُ عَلَيْهِ لَوْ عَرَفَ . . إِنَّهُ حَسَّاسٌ جَدّاً ، وَلَمْ يَكُنْ
يَجْرُؤُ عَلَى ذَبْحِ دَجَاجَةٍ . لَا تُخْبِرِيهِ . فَإِنْ يَفْهَمُ شَيْئاً . . .
(تَتَوَقَّفُ ، رَتْعَةً وَهِيَ تَرَى بِطَرَسَ يَظْهَرُ عَلَى الْعَتَبَةِ) .

المشهد - ٩ -

« الْمِرْأَتَانِ ، بِطَرَسَ » .

بطرس ، يَتَشَبَّثُ بِإِطَارِ الْبَابِ ، وَبَصَوْتٍ ضَعِيفٍ : أَلَا سَبِيلَ إِلَيْكَ ،
اوه ! آنيسيا ، مَنْ هُنَا ؟
(يَسْقُطُ عَلَى مَقْعَدٍ) .

آنيسيا ، خَارِجَةً مِنْ رُكْنِهَا : لَمْ خَرَجْتَ ؟ كَانَ مِنَ الْأَفْضَلِ لَكَ
أَنْ تَظَلَّ حَيْثُ كُنْتَ .

بطرس : هل ذهبت البنتُ لإحضار مارفا ؟ . . . إني أتألم . . .
اوه ! وإذا جاء الموت ! . . .

آيسيا : لا وقتَ عند البنت . أرسلاتها إلى النهر . انتظرُ قليلاً .
إذا ما انتهيتُ ذهبتُ بنفسِي .

بطرس : أرسلني آنيوتكا ! . . . أين هي ! اوه ! إني أتألم ! اوه !
هذه هي منيتي ! . . .

آيسيا : أرسلاتُ مَنْ يُحضرها .

بطرس : اوه ! وأين هي ؟

آيسيا : أين هي ؟ ليُحطّم الشالُ عظامها !

بطرس : اوه ! تلاشتُ قواي ! . . . واحترقت أحشائي . . .
كأنني أُنقَبُ بهُ خرز ! لم تتركوني وحدي ، كالكاب ؟ . . .
ولستُ أجد مَنْ يَسْقيني . . . اوه ! . . . أرسلني آنيوتكا . . .

آيسيا : ها هي ذي ! آنيوتكا ، اذهبي إلى أبيك .

المشهد - ١٠ -

« الأشخاص أنفسهم ، انيوتكا تدخل على عجل ، تذهب آيسيا إلى
الركن » .

بطرس : اذهبي . . . اوه ! . . . أحضري . . . العمة مارفا . . .
قولي لها . . . أبي يدعوك . . . ليتأت . . . أنا بحاجة
إليها . . .

آنيوتكا : حسناً ! . . .

بطرس : انتظري ! . . . قولي لها : أن تستعجل . . . قولي لها :
لأنني أموت . . . اوه ! . . .

آنيوتكا : سأخذ شالي وسأركض إليها !
(تخرج راكضة) .

المشهد - ١١ -

« بطرس ، آنيسيا ، ماتريونا » .

ماتريونا ، غامزةً بعينها : « يا ! يابنتي ! لا تنسي شغاكِ : إذهبي
إلى البيت وابحثي في كل مكان . . . افعلي كما تفعل الكلاب
عندما تفلتي نفسها من البراغيث . نقبي في كل مكان ،
وأنا سأفتش البيت بعد قليل .

آنيسيا : أحسنُ معاكِ بشجاعةٍ أكبر . (تتقدم نحو مطاع الدرج ،
لبطرس) هل أغلي السماور ؟ الخالة ماتريونا جاءت
لترى ابنها ، فتناولا الشاي معا أنتَ وهي .

بطرس : حسناً ! افعلي ! . . .

(تدخل آنيسيا البيت الخشبي) .

المشهد - ١٢ -

« ، بطرس ، ماتريونا ، ماتريونا تتقدم نحو مطاع الدرج »

بطرس : طاب يومك !

ماتريونا : طاب يومك ، يا وليَّ نعمتي ! طاب يومك ، يا عزيزي !

أرى أنك ما تزال مريضاً . كم يرثي لك عجوزي . قال لي : « اذهبي واستخبري عنه » . وهو يسلم عايك .

(تنحني مرة أخرى) .

بطرس : أنا أموت . . .

ماتريونا : نعم ، فعندما أنظر إليك ، يتضح لي أن المرض لا يهيم في أواسط الغابات ، بل بين الناس . لقد نحمت ، نحمت حقاً ، يا عزيزي ! والمرضُ لا يُزيّن صاحبه . يا عذراء !

بطرس : موتي قد حان . . .

ماتريونا : هذه مشيئة الرب ، يا بطرس اغنايتش ! لقد مُنحت الأسرار ، بعون الله ، وستُمسح المسحة الأخيرة . . . وامرأتك ، لحسن الحظ ، ذكية . . . ستدفن وستقام لك وليمة الموتى ، كل ذلك بشكل لائق ، وسيدبر البيت ابني ، في هذه الأثناء .

بطرس : لكن من سيأمر ؟ . . . فزوجتي لا تعرفُ الجِدَّ ... إنها مشغولةٌ بالحماقات . . . ذلك أني أعرفُ كل شيء ، أنا . . . أعرفُ كل شيء . . . البنتُ بسيطةٌ قليلاً . . . وهي شابةٌ أيضاً . . . أدتُ بيتي . . . شيئاً فشيئاً . . . ولن يكون هناك من يُديره . . . هذا يؤلّني !

(يبكي)

ماتريونا : إن كان ذلك بسبب المال ، فأنت تستطيع أن تتصرف . . .

بطرس ، لآيسيا التي في البيت الخشبي : وآنيوتكا ! هل ذهبت ؟

ماتريونا ، مخاطبة نفسها : ما يزال يتذكّر .

آيسيا ، من داخل البيت الخشي : ستذهب في الحال . ادخل إلى البيت . سأساعدك .

بطرس : دعيني هنا . . . لآخر مرة . . . الهواءُ ثَقِيلٌ في الداخل . . .
لني أتألم . . . اوه ! أحرق لي ذلك قلبي . . . أودّ لو
أموت . . .

ماتريونا : إذا لم يَسْتَلِّ اللهُ الروحَ فهي لا تخرجُ من ذاتها . الحياةُ
والموت بيد الله ، يا بطرس اغناتيتش ، ولا نستطيع أن
نتنبأ بموتنا . فقد نشفى . وهكذا كان عندنا فلاح يُحتضر ...

بطرس : لا ! أحسّ أنني سأموتُ اليوم . . . أحسّ بذلك !
(يستند إلى الجدار ويغمض عينيه) .

المشهد - ١٣ -

« بطرس ، ماتريونا ، آيسيا » .

آيسيا : ماذا ؟ أتدخل أم لا تدخل ؟ طال انتظاري لك ، يا بطرس !
إيه ! بطرس !

ماتريونا : تنسحب قليلا ، وتنادي آيسيا باصبعها : وجدتِ ؟

آيسيا ، نازلة الدرج ، لماتريونا : لاشيء !

ماتريونا : هل فتشتِ جيداً ؟ تحت الأرض الخشبية ؟

آيسيا : لم أجده هناك أيضاً . لعله في مخزن الغلال . لقد صعد
إليه أمس .

ماتريونا : فتشّي ، فتشّي في كل مكان ! . . . في جميع الزوايا . . .
أظنّه سيموت اليوم . . . وحده . أظافره زرقاء ولونه
غدا كالون الأرض . هل السماور جاهز ؟
آنيسيا : سيغلي .

المشهد - ١٤ -

« الأشخاص أنفسهم ، يصل نيكيتا من الجانب ، وعلى حصان
إن أمكن ، يقترب من باب العربات » .
نيكيتا : لأمه ، طاب يومك ، يا أمي . هل الجميع بخير في
البيت ؟

ماتريونا : نعم ، الحمد لله !
نيكيتا : والمعلم ، كيف حاله ؟
ماتريونا : تكلم بصوت خافت ، ها هو ذا !
(تشير إلى مطلع الدرج) .

نيكيتا : حسناً ! ليبّق ! ماذا يهمني من ذلك ؟
بطرس ، يفتح عينيه : نيكيتا ! ايه ! نيكيتا ، تعال إلى هنا !
(يقترب نيكيتا ، وتتحدث آنيسيا هي وماتريونا بصوت خافت) .
لم عدت مبكراً ؟

نيكيتا : انتهيت من الحراثة .
بطرس : هل حرثت الأرض التي وراء الجسر ؟

نيكيتا : هذه بعيدة جداً الآن على الذهاب إليها .

بطرس : بعيدة ! نعم ، من هنا ، هي أبعد ، بالفعل . يجب أن
تذهب إليها الآن خصيصاً . بما أنك كنت فيها . . .

(أنيسيا تصغي ولا تظهر نفسها) .

ماتريونا ، تتقدّم : آه ! يا بني ، لماذا لم تعدّ مخاصماً لمعلمك ! المعلم
عاجزٌ . وهو يثقُ بك ، فيجب أن تخدمه كما تخدم أباك .
ابذلْ جهدك كله ، اخدمه أحسن خدمة ! هذا ما قلتُ
لك أن تفعله .

بطرس : طيب ! اذهب وأخرج البطاطا من القبو . . . والنساء ،
اوه ! . . . سيفقرزنها . . .

آنيسيا ، لنفسها : انتظر قليلاً قبل أن أذهب . يُريد أيضاً أن يُرسل
الناس جميعاً . . . ذلك لأن المال معه الآن . . . يريد أن
يخبثه .

بطرس : إذا جاء موعدُ زرعها تكون قد تعفّنت . اوه ! . . . لم
أعدّ أحتمل ! . . .

(ينهض)

ماتريونا ، تصعد الدرج على عجل وتسند بطرس : أتريد أن أساعدك
على الدخول .

بطرس : نعم ! (يقف) . نيكيتا !

نيكيتا : بخشونة : ماذا تريد أيضاً ؟

بطرس : لن أراك بعد الآن . . . سأموتُ اليوم . . . سامحني ،
بجاه الله ، سامحني لأن كنتُ قد أسأتُ إليك في يوم ما ،
بالقول . . . أو بالفعل . . . وقد أسأتُ بهما ! سامحني !
نيكيثا : ليس لي أن أسامحك . نحن جميعاً خطّاة .

ماتريونا : آه ! يا بني ، اصغِ جيّداً إلى ما يقوله لك !
بطرس : سامحني ، بجاه الله !

(يبكي)

نيكيثا ، بانفعال شديد: سامحك الله ، يا جم بطرس ! ليس لي أن
أحقد عليك ، فأنت لم تُسئْ إليّ . سامحني ، أنت .
فاعلي مُذنبٌ بحَقِّكَ .

(يبكي . يخرج بطرس وهو ينتحب . تسندهُ ماتريونا) .

المشهد - ١٥ -

آيسيا : اوه ! يا لرأسَي المسكين ! إنه لم يتكلّم لوجه الله . لا شك
أن في رأسه شيئاً . (تتقدّم نحو نيكيثا) . ولمَ قلتَ إن
المال تحت الأرض الخشبية ؟ لم أجده فيها

نيكيثا ، باكياً ، بعد استراحة : لم يُسئْ إليّ ، على العكس ، لم
يفعل معي سوى الخير . وأنا ، انظري إلى ما فعاثه !

آيسيا : كفى ! أين المال ؟

نيكيثا ، مغضباً : ما أدُراني ، أنا ؟ فتّشي عنه .

آيسيا : ماذا جرى لك حتى صرتَ حسّاساً إلى هذا الحدّ ؟

نيكيثا : رِقْ قلبي له . كيف أخذ يكي !

آنيسيا : من حقك أن يرقّ قلبك له ، وقد عاملك دائماً كما يُعاملُ الكلبُ ! قبل قليل ، كان يأمرُ بطردك من البيت . لي أنا يجب أن يرقّ قلبك .

نيكيثا : ولم لك أنتِ ؟

آنيسيا : سيموتُ وماله مخبوءٌ .

نيكيثا : لا تخافي . فلن يُخبئه .

آنيسيا : اوه ! يا صغيري نيكيثا ! لقد أرسل مَنْ يُحضر أخته . هو يريد أن يسألمها إياه . يا لمصيبتنا ! كيف سنعيش إن أعطاها المال ؟ سيطردوننا . اعمل جهلك . قاتِ البارحة إنه ذهب إلى مخزن الغلال .

نيكيثا : نعم ، رأيته يخرج منه ، لكنني لا أعلم أين يكون قد وضعه .

آنيسيا : اوه ! يا لرأسي المسكين ! هل ينبغي أن أذهب إلى المخزن لأرى !

(نيكيثا ينصرف) .

المشهد - ١٦ -

ماتريونا : تخرج من البيت الخشبي ، تنزل مطلع الدرج وتُكلمُ آنيسيا بصوت منخفض : لا تَبْحَثِي بعد الآن ، المالُ معه ! جَسَسْتُهُ أنا . المالُ معلق في عنقه بحبل صغيرة .

آيسيا : اوه ! يا لرأسي المسكين !

ماتريونا : وإذا لم تضمي يدك عليه فوراً فإن تجديده إلا على جناح
النسر . ستأتي أختُهُ ، وحينئذ ، السلامُ على المال !

آيسيا : صحيح ! ستأتي وسيسامها إياه . . . ما العمل إذن ؟ .

ماتريونا : ما العمل ؟ انظري ، السماور أخذَ يَغلي . اصنعي شيئاً
وصبّي له ! (بصوت خفيض) . وأفرغي كلّ ما في
الورقة ... ثم اسقيه إياه . . . فاذا شرب فنجاناً فتشي ...
ولا تخشني شيئاً . . . لن يَروِي ذلك لأحد !

آيسيا : أنا خائفة !

ماتريونا : لا تنطقي بالحماقات ! أسرع . وأنا سأنتظر الأختَ إن
كان لا بدّ من ذلك . وقبل كل شيء فتّحي عينيك !
وانترعي المال واحمله إلى هنا . سيخبّئته نيكيتا .

آيسيا : آه ! يا رأسي ! لا أدري أين أبدأ :

ماتريونا : لا تفكّري ! افعلي ما أقوله لك ! نيكيتا !

نيكيتا : ماذا ؟

ماتريونا : انتظرُ هنا ، على المقعد ، تحسباً لما قد نحتاج إليه . . .

نيكيتا ، بحركة تضجّر : اوه ! من هؤلاء النساء ! انهن يخترعن
دائماً أشياء جديدة ، سيفُقلدني رشدي . آه ! دعيني
وشأني ، الأفضل أن أذهب لأُخرج البطاطا من القبو .

ماتريونا : توقفه من ذراعه : قلتُ لك ، انتظرُ .

المشهد - ١٧ -

« الأشخاص أنفسهم ، تدخل آنيوتكا) .

آنيسيا : هل رأيتهَا ؟

آنيوتكا : كانت في بستان ابنتها . وستأتي .

آنيسيا : ستأتي . . ماذا سَنفعل ؟

ماتريونا ، الآنيسيا : معكِ وقتٌ ، افعلِي ما أقوله لك .

آنيسيا : لا أعلم . . . لم أعدُ أعلمُ شيئاً . . . تشوّشتُ أفكارِي ...

آنيوتكا ، يابنتي العزيزة ، اذهبي وانظري إلى العجول !

... لا بد أنها فلتتُ . . . أوه ! لستُ أجسر على ذلك ! ...

ماتريونا : اذهبي ! أراهنُ أن السماور فار .

آنيسيا ، ذاهبةٌ : آه ! يا لرأسي المسكين !

(تخرج)

المشهد - ١٨ -

« ماتريونا ، نيكيتا » .

ماتريونا ، تتقدّم نحو ابنتها : هكذا يابني ! (تجلس قربه على المقعد) .

يجب أن نفكّر في قضيتك وألا نتصرف بلا ترو .

نيكيتا : وأية قضية هذه ؟

ماتريونا : أن نُحسن تدبير حياتك في هذه الدنيا .

نيكيتا : تدبير حياتي ! كل الناس يعيشون ، وسأعيش كما يعيش

سائرُ الناس .

ماتريونا : أظنّ العجوز سيموت اليوم .

نيكيئا : إن مات فليذهب إلى السماء ! ماذا يهمني من ذلك ؟

ماتريونا ، لا ترفعْ نظرها عن مطلع الدرج وهي تتكلم : آه ! يا بني ، الأحياء يجب أن يفكّروا في شؤون هذه الدنيا . وهم بحاجة إلى كثير من الذكاء . فبسبب أفكارك السخيفة أراني مضطّرةً لتدخل في كل شيء ، ولأرهق نفسي وأنا أهتم بك . تذكرْ ذلك جيداً ولا تنسّه فيما بعد .

نيكيئا : وبم اهتممت ، أخبريني ؟

ماتريونا : بم اهتممت ؟ بمصيرك ، بمستقبلك . إن لم نفكّر في ذلك مسبقاً فلن نصل إلى شيء . تعرّف ايفان موسيتش ، أليس كذلك ؟ أنا على علاقة حسنة به . وقد دخلتُ عليه مؤخّراً لأمر من أموري . . . جلستُ وأخذنا نتبادل شتيّ الأحاديث ، وأثناء ذلك سألتُه : « كيف يمكننا ، يا ايفان موسيتش أن ندبّر قضيةً من هذا النوع ؟ لنفرض أن لدينا رجلاً أرملًا وأنه تزوج امرأة ثانية بعد موت الأولى ، وليس له من الأولى مثلاً سوى بنت ، ومن الثانية سوى بنت . ولنفرض أنه مات ، فهل يحق لأرملته أن تدخل إلى البيت زوجاً ثانياً ؟ » فقال لي : « نعم ، هذا ممكن » . لكن لا بد لذلك من البراعة . وبالمال يمكن تدبير هذه القضية ، أما بلمون المال فيجب ألا تفكّر فيها » .

نيكيئا ، ضاحكاً : بلا ريب ! ما عليك إلا أن تُعطي المال . كل الناس محتاجون إلى المال .

ماتريونا : إذن ، يا عزيزي ، حدثتُه عن كل شيء . فقال لي :
« أولاً : يجب أن يُسجَّل ابنُك في هذه الناحية . ولا بدّ
لذلك من المال . . . لِيَسْقِيَ الكبار ... حينئذ يوقعون .
يجب أن تفعل كل شيء بدكاء » . خذْ ، انظرْ (تأخذ
ورقةً من شالها) . هذه هي الورقة التي عملها لي . اقرأها ،
أنتَ عالمٌ ، أنتَ !

« يَقرأ نيكيثا بصوت خفيض وماتريونا تصغي » .

نيكيثا : هذه ورقة كسائر الأوراق . هي شهادة تسجيل . وهي لا
تحتاج إلى كل هذا الذكاء .

ماتريونا : واسمعْ إلى ما قاله ايفان موسيتش أيضاً . « ولتحرصْ
يا خالة ، ألا يفلت المالُ منها » . فاذا لم تضع يدها عليه
ضاع الزوجُ منها . المالُ عصبُ كل شيء . فانتبهْ ،
يابني ، لأن اللحظة المناسبة قد حانت .

نيكيثا : ماذا يهمني من ذلك ؟ المال لها . ولتُدبِرْ أمرها !

ماتريونا : ايه ! يابني ، كيف تفكّر ! أنحسنُ المرأةَ تدبِرَ أمرها ؟
حتى لو أخذت المال فهي لا تُحسن التصرفَ به . المرأة ،
معروفة ! أما أنتَ فرجل ، وتستطيع أن تحبسه . وأنتَ
أقدر على تدبِرِ أموركَ إذا ما حدث شيء .

نيكيثا : مشاريعكن ، أنتن النساءُ ، غير معقولةٍ على الإطلاق .

ماتريونا : ولمَ ، غير معقولة ؟ ضَعْ يدك على المال تملك المرأة ،
فاذا خطر لها أن تبجح كانت لديك الوسيلةُ لكبحها !

نيكيثا : دعيني وشأني ، سأصرفك !

المشهد - ١٩ -

« نيكيثا ، ماتريونا ، آنيسيا » .

« تخرج آنيسيا على عجل من البيت الخشبي وهي شاحبة » .

آنيسيا ، للماتريونا : حتماً ، كان المال معه ! وها هو ذا !

(تشير إلى ما تحت مئزرها) .

ماتريونا : أعطني نيكيثا هذا المال وسيخبرته ! خذهُ وخبرته ، يا نيكيثا ، في مكان ما ..

نيكيثا : حسناً ! هاتيه !

آنيسيا : آه ! يا رأسي ! أهذا أنا حتماً ؟ ...

(تمضي نحو باب العربات) .

ماتريونا ، توقفها من ذراعها : إلى أين تذهبين ؟ سيلاحظُ غيابك .
وستأتي أخبثه ... أعطيه إياه ... إنه يعلم ... أوه !
يا المجنونة !

آنيسيا ، مترددة : أوه ! يا رأسي !

نيكيثا : هاتيه ، إن شئت ! سأخبرته في مكان ما .

آنيسيا : وأين ستُخبرته ؟

نيكيثا : لعلك تخافين ؟

(يضحك)

المشهد - ٢٠ -

« الأشخاص أنفسهم ، آكولينا ، راجعةً مع الغسيل » .

آنيسيا : اوه ! يا لرأسي المسكين ! «تسلّمه المال» . حافظٌ عليه ،
يا نيكيتا !

نيكيتا : ممّ تخافين ؟ سأخبطّه في مخبأ آمن بحيث لا أعثر عليه أنا
نفسي .

(يخرج)

المشهد - ٢١ -

« ماتريونا ، آنيسيا ، آكولينا » .

آنيسيا : مرتعةً اوه ! ليتّه . . .

ماتريونا : وهل مات ؟

آنيسيا : أعتقد أنه مات . نزعنا الكيسَ من عنقه ، ولم يُحس
بشيء . . .

ماتريونا : هيا ، اذهبي إلى البيت الخشبي . ها هي ذي آكولينا .

آنيسيا : أنا التي ارتكبت الإثم . . . وإذا استولى على المال ؟

ماتريونا : كفى ! ادخلي البيت . ها إن « مرفا » جاءت .

آنيسيا : وثقتُ به ! . . . سترى .

(ترجع إلى البيت) .

المشهد - ٢٢ -

« مارفا ، آكولينا ، ماتريونا » .

« تدخل مارفا من جهة ، وآكولينا من الأخرى » .

مارفا ، لآكولينا: كنتُ سأتِي في وقت أبكر ، لكنني كنت عند ابنتي . ما الخبر ؟ أيريد العجوز أن يموت ؟

آكولينا ، تضع غسيلها : لا أحري . أنا آتيةٌ من النهر .

مارفا ، مشيرة إلى ماتريونا : مَنْ هذه المرأة ؟

ماتريونا : أنا مِنْ زويفو ! أم نيكيتا ، من زويفو ، يا عز يزتي !

طاب يومك ! كم سَتَمِمْ ، كم سَتَمِمْ أخوك ! لقد خرج هو نفسه وقال : أحضروا لي أختي لأن . . . لأن . . . «
اوه ! أياكون قد مات ؟ . . .

المشهد - ٢٣ -

« الأشخاصُ أنفسهم وأنيسيا التي تخرج راكضةً من البيت الخشبي .

تضم أعمدة مطاع الدرج وهي تزعق » .

آنيسيا : اوه ! اوه ! ... لماذا تركتني ... وحيدةً ... أرملةً ...
تعةً ... إلى الأبد ... إلى الأبد ... لنند أغمض عينيه ...
عينيه الصافيتين . . .

المشهد - ٢٤ -

« الأشخاصُ أنفسهم . العرابة . العرابة . ماتريونا تسندان آنيسب

من تحت ذراعيها . تدخل آكوليتا؛ ومارفلدا إلى البيت الخشبي . يُهرعُ
العجيران » .

صوت : يجب دعوةُ العجلتزر لغسل الميت .

ماتريونا ، مشمّرةٌ كحيّتها : هل في القدر ماءٌ ! آه ! ما زال في
السماور ماء . سأشرع في العمل .

ستأ.

الفصل الثالث

« يُمثّل المسرحُ بيتَ بطرس الخشبي أثناء الشتاء . بين الفصائلين الثاني والثالث - تصرّمتُ تسعة شهور . آنيسيا في ثياب البيت . ، فنسج أمام نول . آنيوتكا مستاقية على الموقد . ميترتش عامل ريفي عجوز » .

المشهد - ١ -

« آنيسيا . آنيوتكا ، ميترتش » .

ميترتش : ، يدخل ببطء ، ويخلع معطفه المصنوع من بجلد الحمل :
آه ، يا إلهي ! ألم يعد المعلمُ بعدُ ؟

آنيسيا : كيف ؟

ميترتش : ألم يعد نيكيتا بعدُ من المدينة ؟

آنيسيا : لا .

ميترتش : لعله يَمْجُنْ هتاك . آه ! إلهي !

آنيسيا : هل انتهيتَ من درس القمح ؟

ميترتش : طبعاً ! ورتبتُ القشَّ . لست أحبُّ أن أفعل الأشياء إلى

فصلها اوه ! إلهي ! يا قديس نيكولا ! (يحلك جسديّته

بيديه) . ينبغي ، مع ذلك ، أن يكون قد عاد .

آيسيا : لا حاجة به إلى العجلة . فمعه مال . . . وهو يتسلّى مع
البنّت

ميتريتش : يا عنراء ! إن كان معه مالٌ ، فلماذا لا يتسلّى ؟ ولماذا
ذهبت آكولينّا إلى المدينة ؟

آيسيا : أسألكم هي لماذا حملها الشيطان إلى المدينة ؟

ميتريتش : يا عنراء ! فمع النقود ، في المدينة ، نحصل على كل
شيء . يا إلهي !

آنيوتكا : ماما ، أنا سمعته . . . بأذنيّ ، يقول لها : « سأشتري لك
شالاً تختارينه أنت بنفسك » . وقد لبست أحسن ثيابها .
ارتدت قبعها الفخامض المخملي وشالاً فرنسياً .

آيسيا : الحقّ مع من قال : إن حياء البنات لا يتجاوز حتبة الباب .
فما أن تجأزه حتى تندهاوه ! الرقعة ! . . .

ميتريتش : باه ! الحياء ، وما نفعله ؟ إذا توفّر المالُ لنا تسلّينا .
اوه ! إلهي ! ألم تأت ساعة العشاء ؟ (آيسيا تلزم الصمت) .
سأندفأ ريشما يحين الوقتُ . (يتسلّق إلى المدفأة) . اوه !
يا إلهي ! يا عنراء ! يا قديس نيكولا !

المشهد - ٢ -

« الأشخاص أنفسهم . العرّابة » .

العرّابة ، داخلةً : ورَجُلُك ؟ يبدو أنه لم يعد بعد ؟

آيسيا : لا .

العراة : آن له أن يعود . لعله توقّف في النزّل ؟ قالت لي أختي
فيولكا : إن أمامه الكثير من العربات ؟

آنيسيا : آنيوتكا ! أيه ! آنيوتكا !

آنيوتكا : ماذا ؟

آنيسيا : اذهبي وانظري في النزّل . انظري إن كان نيكيتا قد
توقّف ، لأنه سكران .

آنيوتكا ، تقنّز إلى أدنّ الموقد ، وتضع شالا : أنا ذاهبة إلى هناك .

العراة : وهل أخذ معه آكولينا ؟

آنيسيا : لولاها لما ذهب إلى المدينة . هي سبب كل هذه المشاكل .
قال : عليّ أن أتسلّم مالاً من المصرف » . هي التي تعتدّ
كل شيء .

العراة ، هازة رأسها : بديهي .

آنيوتكا ، على العربة : إذا كان هناك ، فماذا أقول له ؟

آنيسيا : انظري فقط إن كان هناك .

(تخرج)

المشهد - ٣ -

« آنيسيا ، ميتريش ، العراة . صمت طويل » .

ميتريش : متأوهاً ، اوه ! إلهي ! نيكولا الرؤوف !

العراة ، جافلةً : اوه ! كم خوّفني ! منّ هذا ؟

أنيسيا : هذا مثير تش ، عاملنا .

العراة : اوه ! كم أرعيني ! يقال إن آكولينا تطلب للزواج ؟

أنيسيا : ترك نولها وتجلس أمام الطاولة : نعم ، ناس من ديديدوفو تقدموا للطلب ، لكن يبدو أنهم علموا أنك أيضاً بشيء ما . تقدموا بالطلب ثم لزموا الصمت . وماتت القضية . من يرضى بها ؟

العراة : وآل ليزوتوف من زوينو ؟

أنيسيا : هؤلاء أرسلوا أيضاً . . . ولم تنجح القضية . بل إنه أبقى استقبالهم .

العراة : لا بدّ مع ذلك من تزويجها .

أنيسيا : آه ! نعم ! لا بدّ من ذلك حقاً ! عيل صبري ، يا اشيبنتي ، لكي اخرجها ، لكن لا حظ لي ! لا هو ولا هي يريدان ذلك . لم يشبع بعد من حسناؤه ، فهمت !

العراة : اوه ! يا للخطيئة ! لا يُصدّق هذا ! وهو زوج خاليتها مع ذلك ؟

أنيسيا : ايه ! خُدعتُ ، يا اشيبنتي . . . وبإراعة . لا جدال في ذلك . كنت غبية إذ لم أَرَ . . . عندما تزوجتُ ، لم أكتشف شيئاً ، وكانا مع ذلك متفاهمين .

العراة : يا لها من قصة !

أنيسيا : وما بدأت أرى بوضوح إلا فيما بعد . كانا يُخدعنيان معاً

يفعلانه عني ! آه ! يا اشبينتي ! لمو معلمين كم تلني فلك !
لمو لم أكن أحبه !

العرابة : هذا بلدي !

آنيسيا : اوه ! كم كان مؤلماً لي أن أرى نفسي مهانة !

العرابة : ويبدو أنه بدأ يصبح سريع الضرب .

آنيسيا : لا تسألني ! لم يكن ، فيما مضى ، شريراً عندما يسكر .
وكان يسرف في الشرب قديماً ، لكنني كنت أوافقه ؛
أما الآن فما أن يسكر حتى يهجم عليّ ليسحقني تحت قدميه .
وفي آخر مرة أنشبت يديه في شعوري وقد قهزبت كثيراً حتى
خلصته منه . وأما البنت فهي أنجبت من حيلة ! قلما
تنتج الأرض مثل هذه المذالة !

للعرابة : ليه ! يا اشبينتي ، أنت بائسة ؛ أرى ذلك بوضوح .
الوضع لا شك ، مؤلمٌ لك . آويت في بيتك صعلوكاً ،
وهو يسبيء معاملتك اليوم . لم لا تمسكين بزمامه ؟

آنيسيا : آه ! يا عزيزتي ، ماذا تريدن أن أفعل بقلبي ؟ كان المرحوم
زوجي أقبى ، ومع ذلك كنت أحماه على تغيير رأيه
بسهولة . أما الآن فلم أعد قادرةً على ذلك . يكفي أن
أراه ليخمد غف بي كله . لا أشعر أمامه بأية شجاعة .
أنا أمامه كالذئابة للمبلولة .

العرابة : ايه ! لقد سحروك . يُقال إن ماتريونا هي التي تُلقِي
أذى السحر . هي التي سحرتك .

آيسيا : هذا ما خَطَرَ لي . كثيراً ما أحتد عليه .. ويُخَيِّلُ إليّ
أني سأمرِّقُه . وما ان يظهر حتى تتلاشى شجاعتي !

العرابة : من الواضح أنك مسحورة . من السهل اكتشاف ذلك .
فعندما أنظر إليك أجدُ أنك لم تعودِ أنتِ نفسك .

آيسيا : ساقاي لا تطاوعانني ، وانظري إلى هذه البهيمة آكوليا .
تلك المتبدّلة الشعثاء ، انظري إلى التخيّر الذي طرأ عليها
الآن ! لقد كساها أحسنَ لباس ، فسمّنتُ ، وملاّتُ
رأسها بالأوهام . إنها تقول : « أنا ربة البيت ، البيت لي ،
وكان والدي ينوي تزويجي به » . وكم هي خبيثة ، يا ربي !
إذا غضبتُ أصبحتُ قادرة على هدم كل شيء .

العرابة : ما أغربَ حياتك ! وتصوّرني أن الكثيرات يغرّنَ منك !
يقلن إنكم أغنياء ، لكن الذهب ، فيما أرى ، لا يمنع
الدموع من أن تسيل .

آيسيا : هناك حقاً ما يستوجب الغيرة ! لقد ذهبت تلك الثروة
هباءً ! لا يُصدّق إلى أي حدّ ببذر .

العرابة : ولم تتركه يفعل ذلك ؟ المالُ مالُك .

آيسيا : آه ! ليتني تنبأت بذلك ! لقد ارتكبتُ حماقةً كبيرة .

العرابة : أنا ، لو كنتُ مكانك لاشتكيْتُ إلى كبير القرية . المال
مالُك . فكيف يجرؤ على إنفاقه ؟ مثل هذه الأخلاق غير
جائزة .

آنيسيا : في مثل هذه الأيام ، كل شيء بجائز .

العرابة : أوه ! كم أنت متهاونة !

آنيسيا : نعم ، أنا متهاونة ، يا عزيزتي ، تماماً . دار رأسي ! ولم أعد أعرف شيئاً . أوه ! يا رأسي المسكين !

العرابة : هذا شخص "آت" .

(تصغي ، يفتح الباب ، ويدخل آكيم) .

المشهد - ٤ -

« المرأتان ، آكيم » .

آكيم ، يرسم علامة الصليب أمام الأيقونة المقدسة ، ينظف
حذاءه ويخلع معطفه : السلام لهذا البيت ! هل أنتم بخير ؟
طاب يومك ، يابنتي !

آنيسيا : طاب يومك ، يا أبي ، هل جئت من بيتك ؟

آكيم : خطَرَ بيالي ، نعم . . . أن أصل إلى بيت ابني . . . لم
أخرج مبكراً ... تغديتُ ... ثم مضيتُ ... الطقسُ
ثُلجي ... والمشيُّ صعبٌ فيه ... ولذلك تأخرتُ ... وهل
ابني هنا ؟

آنيسيا : لا ، هو في المدينة .

آكيم ، يجلس على مقعد : ذلك لأن عندي قضية صغيرة ... وقد
حدثته عنها مؤخراً ... نعم قضية صغيرة ... حدثته
عن ضائقتي ... فالحصان لم يعد يقوى على الوقوف ،

الحصان ... إذن يجب أن نتدبّر أمرنا ... لنحصل على
جواد آخر . من أجل هذا جئتُ .

آنيسيا : نعم ، حدثني نيكيتا عن ذلك . سيصل قريباً ، وستحدثه
عن ذلك . (تتجه إلى الموقد) . تعال إلى العشاء ، ريثما
يصل . ميريّتش ! يا ميريّتش ! تعال إلى العشاء !

ميريّتش : اوه ! يا ربي ! يا قديس نيكولا الرؤوف !

آنيسيا : تعال إلى العشاء .

العرابة : سأصرف . إلى اللقاء .

(تخرج)

المشهد - ٥ -

« أكيم ، آنيسيا ، ميريّتش » .

ميريّتش : نازلاً من الموقد : نمتُ دون انتباه . اوه ! يا إلهي !
يا قديس نيكولا ! طاب يومك ، عم أكيم .

أكيم : ايه ! ميريّتش ! ... أنتِ إذن ؟ ... إذن أنتِ ... هكذا ...

ميريّتش : نعم ! أنا عاملٌ عند نيكيتا ، عند ابنك .

أكيم : ايه ! إذن ... أنتِ ... هكذا ... عملت ... عند ابننا ،
ايه !

ميريّتش : كنت مستخدماً ، في الآونة الأخيرة ، عند تاجرٍ في
المدينة . لكنني أنفقتُ كل ما جمعتُه على الشراب ، وها

أنا ذاك أعود إلى القرية . وبما أتى لم أعرف أين أستقر ،
اشتغلتُ أجيراً . (يتعجب) أوه ! يا إلهي !

أكيم : هل نيكيتا ... إذن ... نعم ... هو إذن مشغولٌ جداً ؟ ...
هل له أشغالٌ خارج البيت حتى استأجر ... عاملاً ...
هكذا ... عاملاً ؟

أنيسيا : أية أشغال تريد أن يكون له . كان وحده كافياً للعمل ، من
قبل . أما الآن فإن في رأسه شيئاً آخر . ولذلك استأجر
عاملاً .

ميتريتش : ما الضرر من ذلك إنه كان يملك فلوماً ؟

أكيم : هو مخطيءٌ في هذا ... في هذا هو مخطيءٌ ... هو مخطيءٌ ،
إنه يترك أعماله كثيراً ...

أنيسيا : يتركها كثيراً حتى إنني ... يا إلهي .

أكيم : يفكر المرءُ فيما هو أفضل ... وينتج ما هو أسوأ ...
في الغنى ... يفسدُ الإنسانُ ... في الغنى ...

ميتريتش : حتى الكلاب المرفهة تغدو مسعورة ، فكيف لا نفسدُ
نحن ؟ خطئني أنا مثلاً لقد عربتُ وأنا في البحبوحة ، ولم
أصبح من سكرتي طوال ثلاثة أسابيع . شربت حتى آخر
فلوسي . فإلى لم يَبْقَ معي شيءٌ توقفتُ . والآن أقسمتُ .
... لا زدتُ الله الخمرة !

أكيم : وعجوزك أين هي ؟

ميتريتش : العجوز ؟ إنها في عملها ، هي في المدينة . . . تطوف
الحانات ، وتبخر بعينها المقاوعة وعينها الأخرى السوداء
من الضرب ، وفمها الأَلْوَق . وهي لا تصحو من سكرها ،
حفظها الله ! .

أكيم : اوه ! اوه ! ما هذا ؟ . . .

ميتريتش : وأين تريد أن تعمل امرأةُ جندي ! هي في عملها ! . . .

(صمت)

أكيم ، لآينسيا : هل حمل معه نيكيتا . . . كذلك . . . شيئاً إلى
المدينة ؟ هل ذهب لبيع شيئاً ؟

آينسيا ، واضعةً الصحن والملاعق ومقدمةً طعام العشاء : لا ،
ذهب فارغاً . ذهب ليسحب مالاً من المصرف .

أكيم : اتريدون ... كذلك . . . أن تضعوا مالكم . . . في موضع
آخر ؟

آينسيا : لا ، نحن لا نأمنه . لن يسحب سوى عشرين أو ثلاثين
روبلًا نحتاج إليها . لا بد من الذهاب لسحبها .

أكيم : لسحبها ... ولمَ ذاك ... الذهاب لسحب المال ... نسحب
منه اليوم ... ونسحب منه غداً ... وننتهي بسحبه كاه .

آينسيا : لا ، هذا منفصل . رأس المال يظل كاملاً .

أكيم : كاملاً ؟ ... وكيف ذلك ... كيف يظل كاملاً . تأخذين
منه ويظل كاملاً ؟ صبيّ الطحين في المعجن أو ضعيه في

مخزن المؤن ... وخذي منه ... هل يَظَلّ كاملاً ؟ غير صحيح ، لا ! هم يخدعون الناس . . . أوضحي ذلك ، وإلاّ خدعوكم . كاملاً ! . . . تأخذين منه باستمرار وتريدن أن يظلّ كاملاً .

آيسيا : لا أستطيع أن أشرح لك ذلك . ايفان موسيتش هو الذي نصحنّا بذلك . قال لنا : « ضعوا مالهكم في المصرف . سيكون المالُ في مأمن وتناولون الفوائد » .

ميتريتش ، الذي انتهى من عشاءه : الحقّ معه . كنتُ أشتغلُ عند التاجر . الأمور تجري هكذا عندهم . يضع المرءُ ماله ولا يبقى عاياه إلا أن يتمدد على الموقد . المال يأتي وحده .

أكيم : سخيفٌ ... ما تقوله ... كيف تأخذ ... أنت تأخذ وهم ... ممّن يأخذون ؟

آيسيا : هم يعطونك مال المصرف .

ميتريتش : المرأةُ لا تعرفُ حقيقةَ الأشياء . خُذْ ، سأشرح لك ذلك كله . . افهم جيداً . أنت ، مثلاً ، معاك مالٌ ، وأنا ، من جهتي ، ليس عندي ، في الربيع ، ما أبذرُ به أو ما أدفعُ به الضرائب . حينئذ آتي إليك وأقول لك : « أكيم ، اقرضني عشرة روبلات ، وأنا سأعيدُها إليك عندما أنتهي من أشغالي ، وسأحصد لك قطعة من الأرض ، لقاء الخدمة التي أدّيتها لي » . وأنت تعام أن لديّ ما يكفل الدين . كالحصان ... أو البقرة ... فتقول لي : « أعطني

لثلاثة الخطة روبلين أو ثلاثة . فأدقيل لأن الحبل في عنقي . وفي الخريف التالي أبيع محصولي وأجمل إليك المال . وتبتر مني ثلاثة روبلات . هذه منفصلة .

آكيم : لكن ... لكن ... هكذا ... الفلاحون الذين يقيمون ذلك ... لا يتصرفون تصرفاً عادلاً ... ذلك أنهم نسوا الله ... غير صحيح ... لا .

ميريتش : انتظر ، سترى . افهم جيداً محاسنتي ... إذن أنت فعلت ما قلت قبل قليل . جردتني من نقودي لكن آيسيا . من جهة أخرى ، تملك ملأً حراً ، ولا تدري ماذا تفعل به . إنها امرأة . . . ولا تدري كيف تضعه . حينئذ تأتي لتفكك ولتقول لك : « ألا تستطيع أن تستثمر مالي ؟ » فتجيب : « بلى ، هذا ممكن » . وتنتظر أنت . فأعود في الصيف وأقول لك : « اقرضني أيضاً عشرة روبلات ، وسأكون شاكرآ » . عند ذاك تفحص حالتي ، فأخذه لم أكن مفلساً وإذا كان ممكناً أن تبتر مني شيئاً ، تعطيني ملك آيسيا ، وإذ كنت ، على العكس ، لا أملك فجلبت ، ولا ما أسلف به الزمق ، تغاق يابك في وجهي ، قائلاً لي : « ليكن الله معك ! » وتبحث عن غيري لتعطيه ملك ومال آيسيا ، وهذا بدوره يستمتع به . هذا هو المصروف . وهو يسير سيراً نشطاً ، كملقاتك . الأمر سهلاً جداً .

آكيم : محتلاً : نعم ، كيف ؟ . . . كذلك . . . لكن هذا ... عار ؟

هناك فلاحون يفعّاون فلّلك . . . لكن هؤلاء الفلاحين يعملون
جيداً أنهم يرتكبون إثماً . . . ليس هذا بحسب القانون . . .
نعم . هذا عارٌ . فكيف يحقّ للناس المتعاطمين . . .

ميتريتش : هذه الصفقة بالنسبة إليهم ، يا عزيزي ، جدٌ مفرحة .
افهم جيداً . عندما يعجزُ رجلٌ غبي أو امرأةٌ عن استغلال
المال ، يحملانه إلى المصرف ، وهم — حفظهم الله —
يضعون هذا المال في جيوبهم ويسأخون به الشعب . هذا
سهل .

أكيم متنهداً : ايه ! أرى أننا بائسون بلا مال . . . لكننا أشدّ
بؤساً مع المال . . . كيف ، الله أمرنا بالعمل . . . وأنت
تضع مالك في المصرف . . . وتنام . . . المال يُطعمك دون
أن تُشغل أصابعك العشر . . . هذا عارٌ . . . ليس هذا
بحسب القانون !

ميتريتش : القانون ! لا يكثرُ أحدٌ له الآن ! إنهم يسأخون الناس
حقيقةً ، هذا كل ما في الأمر !

أكيم ، متنهداً : اوه ! ما أسوأ هذا الزمن ! فقد رأيتُ أخيراً . . .
في المدينة مراحيض . . . أية اختراعات ! مامعة متقنة
الصنع كالنزل ، ينفقون المال هدرًا . . . أما الله فقد
نسوه . . . نسوه ، نسوه . . . نسيناه . . . الله ! (لأنيسيا) . . .
شكراً ، يا عزيزي ، شيعتُ ، وأنا مسرورٌ .

(ينهض عن المائدة ، يصعد ميتريتش إلى الموقد .)

آنيسيا ، ترفع الطعام عن المائدة وتأكل : على الأقل كان أبوه يوبّخه ! وأنا أنجبلُ من أن أحدثه عنه .

آكيم : ماذا ؟

آنيسيا : لا شيء .

المشهد - ٦ -

« الأشخاص أنفسهم ، تدخل آنيوتكا » .

آكيم : آه ! يا صغيرتي ! أنتِ تحركين دائماً ! برّدتِ ، أليس كذلك ؟

آنيوتكا : آوه ! نعم ، كثيراً ! طاب يومك ، يا جدي .

آنيسيا : ماذا ؟ هل هو هناك ؟

آنيوتكا : لا . لكن أدريان الذي رجعَ من المدينة قال إنه رآهما في نزل ، وأن أبي كان ثملاً حتى الموت » .

آنيسيا : أتريدن أن تأكلي ، خذي !

آنيوتكا ، مقتربة من المدفأة : آه ! أيّ برد هذا ! تبيّستُ يداي .

(ينزع آكيم حذاءه ، آنيسيا تغسل الأواني) .

آنيسيا : يا أبي العزيز !

آكيم : ماذا ؟

آنيسيا : ومارينا ؟ هل تحيا حياة سعيدة ؟

آكيم : لا بأس بحياتها . هي امرأة لطيفة ... وذكية ... وديعة ...

إنها تمشي ... وتبذل جهدها ... لا بأس بتلك المرأة اللطيفة
... متقنة عملها ، نشطة ثم هي كذلك ... متواضعة ...
لا بأس بها ، تلك المرأة اللطيفة .

آنيسيا : يُقال إن شخصاً من قريبكم ، قريبٌ لزوج مارينا ،
يَتَنَوَّى أن يطلب آكولينا ؟ هل سمعتَ بهذا ؟

آكيم : من آل ميرونوف ! نعم . . . النساءُ تحدثنَ عن ذلك ...
لكنّ ... لا أعلم ... النساءُ كنّ يتحدثنَ عن ذلك ...
ذاكرتي ليست قوية ... على الإطلاق ... أما آل ميرونوف
... فهم فلاحون كذلك ... لا بأس ...

آنيسيا : كم سأكون مسرورة في تزويجها بأسرع وقت !

آكيم : لماذا ؟

آنيوتكا ، تصيحُ السمع : ها هو قد وصل .

آنيسيا : ماذا ؟

(تتابع غسل الملاعق دون أن تانتفت) .

المشهد - ٧ -

« الأشخاص أنفسهم ، نيكيتا » .

نيكيتا : آنيسيا ! ايه ! يا امرأة ! مَنْ الداخلُ ؟

(آنيسيا تنظر إليه وتتأوي رأسها بصمت) .

نيكيتا : ، بقسوة : مَنْ الداخلُ ؟ هل نسيتِ ؟

آيسيا : كفى تبجحاً هكذا ! ادخل !

نيكيئا : بقسوة أكبر ، مَنْ الداخر ؟

آيسيا ، تتقدم وتمسكه بيده : حسناً ! هو الزوج ! هلاّ دخلت !

نيكيئا ، مقاوماً : آه ! فهمت ! الزوج ! وما اسمه ، الزوج ؟
تكالّمي بلطف .

آيسيا : طيّب ! نيكيئا .

نيكيئا : آه ! ... يا جاهلة . قولي اسم أبي .

آيسيا : حسناً ! أكيميئش .

نيكيئا ، على عتبة الباب : آه ! ... واسم العائلة ؟ ما هو ؟

آيسيا ، تضحك وتشدّه من يده : تشيايكيين . اوه ! كم هو سكران !

نيكيئا : آه ! ... (يتمسكُ باطار الباب) . وقولي لي بأية قدم
يدخل تشيايكيين بيته الخشبي ؟

آيسيا : كفى ! ستبرّد الغرفة .

نيكيئا : لا ، قولي لي بأية قدم يدخل . هذا إجباري .

آيسيا ، بينها وبين نفسها : سوف يضايقني الآن . (بصوت عالٍ)
حسناً ! باليسرى . هلاّ دخلت الآن .

نيكيئا : آه !

آيسيا : انظر مَنْ يَسْتَظِلُّكَ في البيت .

نيكيئا : أبي ! وماذا في ذلك ! أنا لأحقر أبي بل أمتطع أن

أبدي له احترامي ! طاب يومك ، يا أبي العزيز ! (ينحني
ويمدّ يده إلى أكيم) .. احترامي .

أكيم : دون أن يجيب : الخمر ... هذا ما تفعله ... العار ...
نيكيتا : الخمر ؟ ... كم شربت ؟ قطعاً ، لقد أخطأتُ ، شربتُ
مع صديق لي ... على صحته .

أنيسيا : امضِ إلى النوم .

نيكيتا : يا امرأة ، أين أنا ؟

المشهد - ٨ -

« الأشخاص أنفسهم ، آكولينا » .

آكولينا ، بثياب الأحد ، تتقدّم نحو نيكيتا ومعها سفت : لم
رُميت كلُّ شيء إلى اليمين وإلى اليسار . أين الخيط ؟
نيكيتا : الخيط ؟ ايه ! ميتريتش ، أين أنت ؟ أنت نائم ؟ اذهب
وفكّ الحصان .

أكيم ، ينظر إلى ابنه دون أن يرى آكولينا : ما هذا ؟ العجوز ...
متعبٌ . . . لأنه درس القمح . . . أما هو فقد سكر ...
ثم يرسله ليفكّ الحصان ... يا للعار !

ميتريتش ، ينزل عن الموقد ، ويحتدي جزمته المصنوعة من اللبد :
أيها الرب الرحيم ! وأين الحصان ؟ في الفناء ؟ لا ريب
أنه أنهكه . ليخنقه الطاعون ! كم شرب ... لم يبق موضعٌ
للشراب ! يا إلهي ! يا قديس نيكولا !

(يرتدي معطفه ويخرج) .

نيكيثا ، جالساً : سامحني ، يا أبي العزيز . لقد شربتُ ، هذا صحيح . وماذا في ذلك . الدجاجات يشربن كثيراً ، أليس هذا صحيحاً ؟ سامحني إذن . ان يشعر مبيريتش بالإهانة ، وسيفك الجواد .

آنيسيا : هل ينبغي حقاً تسخين السماور .

نيكيثا : نعم ، فعندي أبي هنا . سأحدث معه وسنتناول الشاي . (لآكولينا) . هل حمات المشتريات كلها ؟

آكولينا : المشتريات ؟ أخذتُ أغراضني . والباقي في الزلاجة . عجباً ، هذا ليس لي .

(ترمي بسفط على الطاولة وتنظّم الباقي في الصوان . تنظر إليها أنيوتكا . آكيم لا ينظر إلى ابنه . يضعُ حذاءه ولفافتيه قرب المدفأة لتنشف) .

آنيسيا ، خارجةً بالسماور : الصوان ملآن ! وما يزال يرى من الواجب أن يشترى .

المشهد - ٩ -

« آكيم ، آكولينا ، أنيوتكا ، نيكيثا » .

نيكيثا ، متظاهراً بأنه صحا من سكره : لا تغضب ، يا والدي العزيز . أنت تظنّ أنني سكران . في حقيقة الأمر ، إن عقلي لا يفارقني أبداً . وأنا أعرفُ المثل : « اشرب لكن لا تفقد رشداً » . استطيعُ أن أحدثك ، يا أبي ، في هذه اللحظة بالذات . . . لم أنسَ شيئاً . حدثتني عن المال

حصانك لا يتقوى على الوقوف ، أتذكر ذلك جيداً .
هذا ممكن ! ... كل ذلك يتوقف عليّ . لو كان المبالغ
ضحكاً لرجوتك أن تنتظر ، لكن بالنسبة إلى ما تطالبه فأنا
أستطيع كل شيء ... خذ !

آكيم ، يتابع تصنيف لفافيته : ايه ! يا صغيري ، ليس هذا وقت
الحديث ... كما ترى .

نيكيثا : لم أقول لي هذا ؟ تقصد أنه لا يجوز أن تجادل مكثيراً ؟
لست سكران . لا ترتب في ذلك ... سنشرب الشاي .
وبالنسبة إليّ فأنا قادر على كل شيء ، في حقيقة الأمر ،
قادر على تدبير كل شيء ...

آكيم ، هازأ رأسه : ايه ! ايه ! ايه ! ايه !

نيكيثا : المال ! ها هو ذا .. (يبحث في جيبه ، ويسحب من
حفظة مدعوكّة رزمة من الأوراق المالية ، يختار من بينها
ورقة بعشرة روبلات) . امسك ! هذا للحصان . خذ
للحصان . لست ممّن ينسون أهلهم . هذا إجباري !
أنت أبي ، ولا أستطيع أن أتركك . خذ ! امسك !
الأمر بسيط . لست بخيلاً ! (يتقدّم نحو أبيه وينوي
أن يدسّ الورقة بيده . لا يأخذها آكيم . يمسك نيكيثا أباه
من ذراع) . قلت لك ، خذ ، فإستأسف عليها عندما
أعطيك إياها .

آكيم : لا أستطيع ... أن آخذها ... ولا أريد ... أن أكّاهك ...
لأنك ... نعم ... لا تملك عقلك .

نيكيثا : لن أرخيأك ! خذ !

(يمسك الورقة في يده) .

المشهد - ١٠ -

«الأشخاص أنفسهم ، أنيسيا »

أنيسيا ، تدخل وتقف : خذها إذن ، وإلا فإن يرخيأك .

كيم ، يأخذ الورقة وهو يهز رأسه : اوه ! الخمر ! لا يعود الإنسان إنساناً ...

نيكيثا : حسناً ! الأمور أفضل هكذا . إن أعدتها فذلك حسن ، وإن لم تعدها ، فيحفظ الله ! كذلك أنا ! (يشاهد آكولينا) . آكولينا ، أري الهدايا .

آكولينا : ماذا ؟

نيكيثا : أري الهدايا .

آكولينا : لا داعي لذلك ، لقد لففتها .

نيكيثا : أزيهم إياها ، قات لك . ستسرق أنيوتكا برؤيتها . دعي أنيوتكا ترها . افتحي الشال وأعطيني إياه .

آكيم : يؤلمني قايي من مجرد النظر إليه .

(يصعد إلى الموقد) .

آكولينا ، تخرج عدة أسفاط من الصندوق وتضعها على الطاولة :
ما الفائدة من مشاهدتهم لها ؟

آنيوتكا : اوه ! ما أجمله ! حلوٌ مثل شال ستيانيدا !
آكولينا : شال ستيانيدا ؟ لا مجال للمقارنة (تحتدّ وتفتحها) .
انظري إلى نوعه . هذا شالٌ فرنسي .

آنيوتكا : والكريتون ؟ ما أجمله ! فستان ماشوتكا شبيهٌ به ، لكنه
افتحُ وأرضيته زرقاء .
نيكيئا : آه ! . . .

(تذهب آيسيا ، وهي بإدية الغضب ، إلى غرفة المهملات . ثم
تعود منها ومعها أنبوب سماور وغطاء طاولة ، وتنتدّم إلى العنّالة) .
آيسيا : يا لها من بضائع معروضة !
نيكيئا : انظري إليها .

آيسيا : ماذا أنظرُ ؟ ألم آرَ ؟ ارفعوا هذا من وجهي !
(ترمي بشال آكولينا أرضاً) .
آكولينا : لمَ تَرمينه ؟ ارمي ما يخصّك .
(تلمّ شالها) .

نيكيئا : حذار ، آيسيا !
آيسيا : مم ؟

نيكيئا : أظنّين أنني نسيتهُ ؟ انظري هنا . (يريها سفتاً ويجلس
عليه) . هادّيةٌ لك ، لكن يجب أن تستحقّيها . يا امرأة ،
أين أنا هنا ؟

آنيسيا : كفى تبجحاً !- لستُ أخافُك . بأي مال عريدت واشتريت الهدايا لتلك المدحّحة ؟ بمالي .

أكولينا : اود ! بمالك ! أردت أن تسرقه لكنك لم تقدرى اطلعي من هذا الباب !

(تدفعها بتموة لتمرّ) .

آنيسيا : لم تدفعينني ؟ أنا التي ستدفعك .

أكولينا : تدفعينني ، أنا ! تعالي لحظة !

(تمشي لملاقاتها) .

نيكيئا : ايه ! اسكتا ! كفى !

(يقف بينهما) .

أكولينا : يا اللواقحة ! أفضلُ لك أن تسكتي ، إن كنت تعتقدين أننا لا نعرف شيئاً !

آنيسيا : قولي ، ماذا تعرفين ؟

أكولينا : أعرف شيئاً يخصّك .

آنيسيا : أنت عاهرة ! تعاشرين رجلاً متزوّجاً !

أكولينا : وأنت التي موتت زوجها !

آنيسيا : تهجم على أكولينا : أنت تكذابين !

نيكيئا ، يحجزها : آنيسيا ، هل نسيت ؟

آنيسيا : لا آبه لتهديداتك . ولستُ أخافُك .

نيكيئا : اخرجني !

(يدفع آئيسيا بكففيها إلى الخارج) .

آئيسيا : أين تريد أن أذهب ؟ أنا في بيتي هنا .

نيكيئا : قلتُ لك : اخرجني . وإياك أن تعودني !

آئيسيا : لن أخرج ! (نيكيئا يدفعها . آئيسيا تبكي وتصرخ وهي تثبتُ بالباب) . كيف ! أطردُ من بيتي ! ماذا تفعل ، يا مجرم ؟ آه ! أظنُّ أنك قادرٌ على فعل ما تشاء دون عتاب !

نيكيئا : هيا ! هيا !

آئيسيا : سأذهب إلى كبير القرية ، وإلى الدركي !

نيكيئا : قلتُ لك : اخرجني !

(يُخرجها)

آئيسيا ، وراء الباب : سأخنقُ نفسي !

المشهد - ١١ -

« نيكيئا ، آكولينا ، آيووتكا ، آكيم » .

نيكيئا : كفى !

آيووتكا ، باكية : اوه ! يا أمي العزيزة !

نيكيئا : تظنُّ أنها تخوفني ! لماذا تبكين ! لا تخشي شيئاً ، ستعود . اذهبي وانظري إلى السماور هل غلا .

(تخرج آيووتكا) .

المشهد - ١٢ -

« نيكيتا ، أكيم ، آكولينا » .

آكولينا : تلمّ الأشياء المبعثرة على الطاولة وتعلّوئها : اوه ! المذلة !
تريد أن تخلق المشاكل ! انتظري . سأمزق لك قميصك .
سأمزقه ، بلاريب !

نيكيتا : لقد طُردت ، فماذا تريد من أكثر من ذلك ؟

آكولينا : لطّخت شالي الجديد ! الكلبة ! الحتمية ! لو لم تخرج
لألمعت عينها !

نيكيتا : لا تغضبي ! لماذا تغضبين ؟ ... فيما أنني لا أحبها !

آكولينا : تحبّها ! أيمن أن يُحبّ إنسانٌ مشاكسٌ مثلها ؟ لو
كنتَ تخلّيتَ عنها مرة واحدة لما وقع هذا كله . اطردها
بعيداً ! على كل حال ، البيتُ بيتي والمال مالي . يا لها من
عشيقة ! عشيقة ، هي ، قاتلة ! هكلنا هي ، وستفعل معك
مثلما فعلتَ معه !

نيكيتا : لا سبيل إلى سدّ أفواه النساء ! أنتِ تهذرين دون أن تعلمي
ماذا تقولين .

آكولينا : بلى ، أعلم ما أقول . لا أريد أن أعيشَ معها ، وسأطردها !
لا ينبغي أن تظلّ معي ! هي ، العشيقة ! بل إنها ليست
عشيقة ، وإنما هي بغيةُ المحكومين بالأشغال الشاقة !

نيكيتا : كفى ! ليس لك شيء تقسمينه معها . انظري إليّ .

أنا السيد ! وأنا أفعل ما أريد . لم أعد أحبّها ، وأنت
 التي أحبّها الآن ، أحبُّ مَنْ أشاءُ . هذه هي إرادتي .
 أما هي فإلى الحجّز . . . (يرفع قدمه دليلاً على
 الاحتتار) . آه ! من المؤسف أن الآكورديون . ليس
 عندنا :

(يغني)

في الثمن فطائرُ حاوى

وعلى الدرّج برغل

ونحن ، نحن نعيش

ونمرخ .

وعندما يأتي الموت

سنموت .

في القرن فطائرُ حاوى

وعلى الدرّج برغل .

المشهد - ١٣ -

« نيكيتا ، أكيم ، ميتريش »

« يدخل ميتريش وينزع حذاءه ومعلمته ويصعد إلى الموقد » .

ميتريش : يبدو أن المراتين تشاجرتا أيضاً . لا بد أن تشاجرا أبداً .

يا إلهي ! وإنيكولا الرؤوف !

أكيم ، على حافة الموقد ، يأخذ لفافتيه ويلفهما ويحتدي حذاءه :

مرّاً إلى الداخل ، مرّاً !

ميتريش ، ماراً : لن تنوصلاً إلى اتفانق على التسممة . يا إلهي !
نيكيتا ، لآكولينا : هاتي الشراب ، سنشرب منه مع الشاي .

المشهد - ١٤ -

« الأشخاص أنفسهم ، آنيوتكا » .

آنيوتكا ، داخلة : لآكولينا : ايه ! سيغلي السماور .

نيكيتا : وأملئ ؟ أين هي ؟

آنيوتكا : هي في البهو . تبكي .

نيكيتا : آه . . . آه ! . . . ناديا ، قولي لها أن تأتي بالسماور .
وأنت يا آكولينا ، هاتي الفناجين .

آكولينا : الفناجين ؟ طيب .

(تحضّر الفناجين)

نيكيتا ، يأخذ الشراب والبسكويت وسمك الرنكة : هذا لي وهذه
الخيوط لامرأتي ، وزيت الكاز في البهو ، والمال ، هذا
هو . انتظر ! (يأخذ الآلة الحاسبة) . يجب أن نتحقق من
الحساب : طحين القمح الأبيض . . . ثمانون كونيكا ،
زيت القنب . . . يد أبي ، عشرة روبلات ! ... تعال ،
يا أبي ، لتناول الشاي !

(صمت ، آكيم بجانب الموقد يربط لفافتيه)

المشهد - ١٥ -

« الأصدقاء أنفسهم ، آنيسيا » .

آنيسيا ، حاملة السماور : أين يجب أن أضعه ؟

نيكيئا : ضعيه على الطاولة . ماذا ؟ هل ذهبت لتقابل كبير القرية ؟
لأننا . . . يجب أن نفكر قبل أن نتكلم . كفى خصاماً .
اجلسي واشربي (يصب لها كأساً صغيرة) . وهذه هي
هدية تلك .

(يُعطيهما السفط الذي كان جالساً عليه . آنيسيا تهز رأسها .
وتأخذه دون أن تقول شيئاً) .

آكيم ، ينزل من الموقد ويضع معطفه ، ويتقدم نحو الطاولة ويضع
عليها ورقة الروبلات العشرة : هذه نقودك ، فخذها !

نيكيئا ، دون أن يرى الورقة : أراك لست ؟ أين تذهب ؟

آكيم : سأصرف ، أنا . . . كما ترى . . . ليحفظك الله !
(يأخذ قبعة وزناره) .

نيكيئا : هذا شيء جديد ! لماذا ترجع هكذا ، في الليل ؟

آكيم : لا أستطيع . . . أن أبقى . . . في بيتك ، لا أستطيع ، كما ترى
. . . أن أبقى . . . وداعاً !

نيكيئا : كيف تذهب والشاي على الطاولة ؟

آكيم ، يلف زناره حول جسمه : سأرجع . . . لأن . . . الأمور

ليست حسنة ... في بيتك ، ليست حسنة ، نيكيتا ! أنت ،
حالتك سيئة ، سيئة ! سأصرف !

نيكيتا : كفى مشاكل ! اجلس ، وتناول الشاي .
أنيسيا : مالك ، أيها الأب ؟ سنخجل أمام الناس . مَنْ الذي
أساء إليك ؟

أكيم : لم يسيء لي أحد ، لا أحد ! لكنني أرى ... أن ابني
يجري إلى هلاكه ... يجري إلى هلاكه ...

نيكيتا : أي هلاك ؟ هات براهينك !
أكيم : هلاكك ، هلاكك ! أنت على طريق هلاكك ! ماذا قلت
لك في الصيف الماضي ؟

نيكيتا : حدثتني عن أشياء كثيرة .
نيكيتا : حدثتك عن اليتيمة التي أسأت إليها . . . اليتيمة مارينا . . .
التي أسأت إليها . . .

نيكيتا : اوه ! ما زال يتذكّر ! لقد ذهبت هذه القضية مع اللوچ
القديم ! قضية منتهية !

أكيم : محمداً : منتهية ! لا ، يا صديقي ، هي لم تنته . . . الخطيئة
تستدعي أخسها ، وأنت متورط ، يانيكيتا ، في الخطيئة !
متورط في الخطيئة ! أنت متورط ، غارق . . .

نيكيتا : هيا ! تناول الشاي . . . هذه هي القصة كلها .
أكيم : لا أستطيع . . . أن أتناول الشاي . . . لأن محسنتك . . .
توجع قلبي . لا أستطيع . . . أذاً أتناول الشاي معك !

- نيكيثا :** آه ! ما هذه الثروة المكرورة ! هيا اجلس ! إلى الطاولة !
- أكيم :** أنت عالق في خيوط خفاك كالعالق في خيوط الشباك ، كالعالق في خيوط الشباك ! يجب أن يكون لك ضمير !
- نيكيثا :** من أين لك هذه السلطة المطلقة لتأتي إلى بيتي وتُنحي علي باللائمة ؟ لماذا تزعج نفسك ؟ أنا صهي حتى تتكلم لي أفني ؟ لم يعد أحد يستعمل هذه الطرق .
- أكيم :** صحيح . . . سمعتُ هذا أيضاً . . . أن الناس يسحبون الآباء من لحاهم . . . لكن هذا هو هلاك النفس . . . هو الهلاك .
- نيكيثا ، مغضباً :** نحن نعيش مُستغنين عنك . أنت جئت تطلب معونتنا .
- أكيم :** مالك ؟ هذا هو مالك . . . سأتسول . . . أتري . . . لكنني لن آخذه !
- نيكيثا :** كفى أرجوك ، لم تغضب ؟ (يمسكه بيده) أنت تكذب اجتماعنا .
- أكيم ، مرسلًا صرخة الغضب :** آه ! ... دعني ! ... لن أبقى ، أفضل أن أنام على الطريق . . . على أن أنام وسط قذارتك ! أوه ! سامحني الله !

(يخرج)

المشهد - ١٦ -

« نيكيتا ، آكولينا ، آنيسيا ، ميترتش » .

نيكيتا : حسنأ ! كفى !

المشهد - ١٧ -

« الأشخاص أنفسهم وآكيم » .

آكيم ، فأنحأ الباب : أفقْ ، يا نيكيتا ! وفي نفسك إنما يجب أن تفكر .

(يخرج)

المشهد - ١٨ -

« نيكيتا ، آكولينا ، آنيسيا ، ميترتش » .

آكولينا ، ممسكة بالفناجين : وهل ينبغي أن أصبّ الشاي !

ميترتش ، يصرخ من على الموقد : آه ! يا ربي ، ارحمني ، أنا
الخطيء !

(الجميع يخلون مرعوبين) .

نيكيتا ، متهاكأ على المقعد : اوه ! ضجرتُ ، ضجرتُ ! آكولينا ،
أين الآكورديون ؟

آكولينا : الآكورديون ؟ الآن تذكرته ؟ أعطيتُهُ للتصليح . سكبتُ
لك ، اشربْ .

نيكيتا : لا أريدُ شيئأ ! أطفئوا الأنوار ! اوه ! ما أشدّ ضجري !
آوه ! ما أشدّ ضجري !

(يبكي)

ستار

الفصل الرابع

إحدى أمسيات الخريف . ضوء القمر . داخل الفناء . في الوسط بهو . إلى اليمين بيتُ الشتاء الخشبي وباب العربات . وإلى اليسار بيت الصيف الخشبي وقبو . تُسمعُ أصواتٌ مخمورةٌ تخرج من البيت الخشبي . تخرج الجارةُ من البهو مع عرّابة آيسيا .

المشهد - ١ -

« العرّابة ، الجارة »

الجارة : ولمَ لم تخرجِ آكولينا ؟

العرّابة : لمَ ؟ هي لا تريد ، وتحتجّ بأنّ لا فراغ لديها . جاء أهلُ الخطيب ليتعرّفوا إليها ، لكنها ظلتْ مستلقية في البيت الخشبي ولم تطلّ بوجهها ، يا عزيزتي .

الجارة : ولمَ ذاك ؟

العرّابة : لعلها قد أُصيبتُ بأذى السحر . فهي تحس بالمتغص في بطنها .

الجارة : أممكّن هذا ؟

العرّابة : لكن . .

(تهمس إليها بشيء في أذنها) .

الجاراة : اوه ! يا لها من خطيئة ! وهل علمَ بذلك أهلُ الخطيب ؟
العراة : وكيف يعلمون ؟ كلهم سكارى . ثم إن ما يبحثون عنه
خاصة هو المهر ؛ ليس بالشئ القليل ما سيُعطونه لهذه
البتة ، يا أمي : معطفان من الفرو ، ستة فساتين ، شال
فرنسي ، وكمية من قطع القماش والفضة ، وورقتان
من فوات المِثَّة ، على ما يقال . . .
الجاراة : في مثل هذه الظروف ، ليس في تسلّم المال كبيرُ لذّة .
يا للعار ! صه ! هذا أبو الخطيب !
(تسكتان وتدخلان البهو) .

المشهد - ٢ -

« أبو الخطيب . يخرج من البهو وبه حازوقة » .
الأب ، وحده : احترقتُ ! ما هذا الحرُّ ! يجب أن أتبرّد قليلاً !
(يتنفس بقوة) - الله آخري بما هو كلئن ! لكن هناك
شيئاً لم يرق لي . سنرى ما يستقوله المعجوز .

المشهد - ٣ -

« الأب ، ماتريونا »

ماتريونا ، خارجة من البهو : آه ! وأنا التي كانت تبحث عنك في
كل مكان ! ها أنت ذا ، يا عزيزي . وبعد ! كل شيء
على ما يُرام ، بحمد الله . عندما يكون القصدُ تزويج أحد
الأولاد فلا مجال للمباهاة ، ثم إن هذا ليس من طبعي . لكن

بما أنك جئتَ بِنِيَّاتٍ حَسَنَةٍ ، فاني آملُ ، بعونِ الله ،
أن تعترفوا لنا بالجميلِ الأبدي ، لأن الخطيئة بنتٌ نادرة .
تستطيع أن تبحث في الناحية كلها فلا تجد أختاً لها .

الأب : نعم ، بالتأكيد ، لكن يجب مع ذلك التَحَفُّظُ بصدد المال .

ماتريونا : بصدد المال ، اطمئن . كل ما انتقل إليها من أبويها سيذهب
معها . وفي مثل هذه الأيام ، ليس بالشيء القليل ثلاث
ورقات من ذوات الخمسين .

الأب : لسنا نقولُ العكس . الولد هو الولد . رتبتي هذا أحسن
ترتيب .

ماتريونا : أنا ، يا عزيزي ، أقول لك الحقيقة الخالصة . بدوني ،
ما كنت لتعثر على مثل هذه الفتاة . وقد طابها آل كورميان
للزواج ، لكنني عارضتُ ذلك . وبالنسبة إلى المال قلتُ
لك الحقيقة . فالمرحوم (تَقِيَّاهُ اللهُ في مذكوته السماوي)
كان يموت وأمرَ الأرملة أن تتزوج نيكيتا . وأنا أعرفُ
كلَّ شيء ، عن طريق ابني . وأمرَ بتسليم المال إلى آكولينا .
ولو كان غير نيكيتا لاستغلَّ ذلك ، لكن نيكيتا ردَّ لها كل
شيء . وبالله من مبلغ !

الأب : الناس يزعمون أنه ترك لها أكثر من ذلك . ابنك نيكيتا ،
شابٌ بارع .

ماتريون : ايه ! يا حمامتي البيضاء ، قطعة الخبز في يد الجار تبدو
دائماً أكبر . ستُعْطَى ما هو موجود . فاترك حساباتك
وأنه القضية . يا لها من بنت جميلة كالصورة

الأب : لا أقولُ : لا ، لكننا تساءلنا ، أنا والعجوز ، لمَ لم تخرج . وإن كان بها عاهة ؟

ماتريونا : هي ؟ لكنك لن تجد مثلها في الناحية كلها . وهي صابة ، قاسية كالحديد ! وأنتَ تعرفُها ، مالأك ؟ أمّا من جهة العمل فاطمن . هي صماء قايلا ، لا أنكر ، لكن في أحسن التفاح دودة . وإذا كنتَ تريد أن تعام لمَ لم تخرج كذلك لأنّ بها أذى السحر ، نعم . وأنا أعرف اليد التي فعات ذلك ، والتي أحسّت بالخطبة فألقت أذى السحر . اكنني شاطرة ، وأنا أعرف الكلمة التي تُبطلُ السحر . وستقوم غداً . فلا تخش شيئاً بالنسبة إليها .

الأب : حسناً ! اتفقنا إذن .

ماتريونا : لكن لا تراجع عن كلامك ، ولا تنسني .

صوت امرأة ، في البهو : حان وقت العودة ، إيفان .

الأب : أنا ذاهب .

(يخرجان)

المشهد — ٤ —

« أنيسيا ، أنيوتكا »

أنيوتكا ، خارجة من البهو ومنادية أنيسيا باصبعها : يا أمي !

أنيسيا : مالأك ؟

أنيوتكا : اقتربي مني ، يا أمي ، لكي لا يسمعنا أحد .

(تتّجه إلى مخزن الغلال) .

آنيسيا : ماذا ؟ أين آكولينا ؟

آنيوتكا : هي في مخزن الغلال . ليتني تربتها ، شيء رهيب .
وهي تقول : « ليتني أموت ، لم تَبْقَ فيّ قوة ! سأخذ
في الصراخ بكل قواي ، ليتني أموت ! »

آنيسيا : ستصبر . يجب أولاً أن نصرف ضيوفنا .

آنيوتكا : اوه ! كم تتألم ، يا ماما ! ثم إنها غاضبة ! وهي تقول :
« هم يضيعون وقتهم إذا شاؤوا أن يبيعوني ، لأنني لا أريد
أن أتزوج . سأموت ! » اوه ، ماما ، بشرط ألا تموت !
أنا خائفة جداً من ذلك .

آنيسيا : لا تخافي شيئاً ، فان تموت ! لا تذهبي لرؤيتها . انصرفي !
(تخرج آنيسيا وآنيوتكا) .

المشهد - ٥ -

ميتريتش ، وحده ، يدخل من باب العربات ويأخذ في لمّ القش
المتناثر على الأرض : اوه ! إلهي ! يا قديس نيكولا الرؤوف !
كم شربوا من ماء الحياة ! وأية رائحة تفوح منهم !
الرائحة تصل إلى هنا . . . كلا . . . لن أعود إلى شرب
ماء الحياة ! لن أعود ! وانظروا إلى هذا القش الذي
بعثروه ! القليل هنا ، والقليل هناك ، هذا يعمل حزمة
في نهاية الأمر . أية رائحة هذه ! كأنّ تحت أنفي كأساً

من ماء الحياة ! آه ! لاردّ الله مله الحياة ! (يتألم) .
حان وقتُ النوم . لا أَسْتَهَيِّ لل دخول إلى المنزل . الرائحة
تَمِيقُ في أنفي معطرةً ، العاهرةُ ! (يسمع هديرَ العربة التي
تبتعد) ها هم قد سافروا ! اوه ! إلهي ! نيكولا الرؤوف !
كلهم يحاولون أن يخدع بعضهم بعضاً ! حماقاتُ ، كل
هذا !

المشهد - ٦ -

« ميتريش نيكيتا » .

نيكيتا ، داخلاً : ميتريش ، اذهب ونَمْ ، سَأَلُمُ القشَّ .
ميتريش : طيب ! أطعم النعاجَ منه . سافروا ، أليس كذلك ؟
نيكيتا : نعم ، لكن الأمور ليست حسنة ، ولا أدري ماذا أفعل .
ميتريش : يا لها من قضية ! ما أهمية ذلك ؟ هناك بيوت اللقطاء .
وهي تُؤوي اللقطاء مهما يكن عددهم ، خُذْ إليها
ماتشاء منهم ، فلن يطاب القائمون عليها منك حساباً ؛
بل ! إنهم يدفعون للأم أجرتها إذا شاءت أن تعمل مرضعاً .
آه ! الأمرُ بسيطٌ جداً اليوم !

نيكيتا : ميتريش ، أرجوك ألا تثرثر كثيراً إذا ما حدث شيء .
ميتريش : ماذا يهمني من ذلك ؟ أَخْشَى جميع الآثار كما يَحْاو
لك . اوه ! رائحةُ ماء الحياة تفوح منك ! سأذهب إلى
النوم . (يمضي متثاقباً) . اوه ! يا ربي !

المشهد - ٧ -

نيكيثا ، يصمت طويلا . يجالس على زحافة : يا لها من ورطة !

المشهد - ٨ -

« نيكيثا ، آنيسيا » .

آنيسيا ، داخلة : نيكيثا ، أين أنت ؟

نيكيثا : هنا .

آنيسيا : ماذا تفعل وأنت جالس ؟ ليس لدينا وقت نضيعه . يجب أن تحماه على الفور .

نيكيثا : وماذا سنفعل إذن ؟

آنيسيا : كما قات لك . اعمل ما أمرك به !

نيكيثا : الأفضل أن نضعه في بيوت اللقطاء .

آنيسيا : حسناً ! احماه إذا شئت . أنت قويٌّ على ارتكاب القذارات ، لكننا لا نجدك عندما يُراد إصلاحها .

نيكيثا : وماذا يجب أن نفعل ؟

آنيسيا : كما قات لك . اذهب إلى القبو . واحفر حفرة !

نيكيثا : أليس من سبيل إلى تدبير الأمور بشكل آخر ؟

آنيسيا ، تقالده : بشكل آخر ! يبدو أنه لا سبيل إلى شكل آخر . كان يجب أن تفكر في ذلك قبل الآن . اذهب إلى حيث أرسلك .

نيكيثا : آه ! يا لها من ورطة ! يا لها من ورطة !

المشهد - ٩ -

« نيكيتا ، أنيسيا ، أنيوتكا » .

أنيوتكا : ماما ! أختي تناديك . يبدو أنها جاءت بوليد .
عسى أن أموت ! سمعته يصرخ .

أنيسيا : ماذا تختلقين ؟ حطّم الشال عظاماك ! هذه قطط صغيرة
تموء . ادخلي ونامي . وإلا عوقبت .

أنيوتكا : ماما ، يا عزيزتي ، ما أقوله صحيح ، أقسم لك .

أنيسيا : رافعة يدها : سوف أ . . . يجب ألا أراك هنا بعد الآن !
(أنيوتكا تهرب) .

أنيسيا : لنيكيتا : افعل ما قلت لك ، وإلا فحذار !

(تخرج)

المشهد - ١٠ -

(نيكيتا ، وحده ؛ يصمت طويلاً) .

نيكيتا : اوه ! يا لها من ورطة ! وبالهؤلاء النساء ! وباللمصيبة !
هي تقول : « كان يجب أن تفكّر في ذلك قبل الآن » .
أكان عندي وقتٌ للتفكير ؟ في الصيف الماضي ، أخذتُ
أنيسيا تدور حولي . وأنا لستُ راهباً ! . وعندما مات
المعلم كفّرتُ عن خطيئتي ، كما كان ينبغي عليّ أن
أفعل . ولم يكن لي يدٌ في الأمر . ألا يقع هذا كل يوم ؟ ...
ثم هناك قصةُ المساحيق . . . أنا الذي دَفَعَهَا إلى أن

تتصرّف كما تصرّفت ؟ لو كنت أعلم ذلك لقاتلتها ،
الكلبة ! لقاتلتها ، بالتأكيد ! جعالتني شريكاً في كل
قذاراتها ، الوسخة ! كم اشمأزت منها نفسي منذ
ذلك الوقت . . وعندما حدثتني أمي عن ذلك قرّرتُ
منها إلى حدّ لم أعد أستطيع معه رؤيتها . كيف يمكن أن
أعيش معها ؟ حينئذٍ بدأت مشاكلاً . ثم أخذت البنتُ
تُلاحقني . ماذا همّني من ذلك ؟ لو لم أكن أنا لكان
غيري . وهذه هي النتيجة . وليست الغاطلة أيضاً غاطتي .
اوه ! من هذه الورطة ! (يظل متفكّراً ، بعض الوقت) .
وكم هنّ جريئاتُ ، أولئك النساء ! ما الذي لم يتصورنّه ؟
لكني لن أرّضي ذلك !

المشهد - ١١ -

« نيكيتا ماتريونا » .

« ماتريونا تخرج على عجل ومعها مصباح ويدها رفش » .

ماتريونا : ها أنت مثل دجاجة على بيضها ! ماذا قالت لك زوجتك ؟
دبرّ قضيتك !

نيكيتا : ماذا ستفعلان ؟

ماتريونا : هذا يخصنا . . . افعل ما يخصك .

نيكيتا : آه ! برّمتُما لي رأسي !

ماتريونا : أقتوي أن تراجع ؟ ما إن يُطالبُ منك العملُ حتى تراجع !

نيكيتا : يا لها من ورطة ! هذا كائن بشري .

ماتريونا : كائن بشري حاو ! لا يكاد يتنفس . ثم ماذا تريد أن
نفعل به ؟ حاول أن نحمله إلى بيت اللقطاء ، فسيموت مع
ذلك ، وسيحدث الناس صفا جوى ، وسينادرون بالحادثة
في أرجاء القرية ، ثم ستظل البنت على صلبونا .

نيكيئا : وكيف نستطيع أن نفعل ذلك ؟

ماتريونا : ألا نستطيع تدبير مثل هذه القضية في منزلنا ؟ سنحمل بحيث
لا يبقى أي أثر ! افعل فقط ما أقوله لك ، لأننا ، نحن
النساء ، لا نستطيع أن نفعل ذلك وحدنا . خذ الرفش
الصغير وانزله واشغله . سأضيء لك .

نيكيئا : فيم أشغل ؟

ماتريونا ، بصوت خافت : احف حفرة صغيرة . ثم نحمله إليك
وسنرتب كل شيء ، هناك . ها هم ينادونني ! هيتا ،
اذهب ، يجب أن أسرع إليهم .

نيكيئا : لكن .. هل مات ؟

ماتريونا : بالتأكيد . لكن يجب أن تسرع . لم ينم الناس كأنهم بعد .
قد يرون وقد يسمعون . . . هؤلاء الأوغاد يريدون أن
يعرفوا كل شيء . لقد مرّ الدركي هذا المساء . خذ إذن
(تناوله الرفش) . انزل إلى القبو . . . وهناك ، في الزاوية ،
احفر حفرة صغيرة . . . الأرض طرية هناك . . . وبعد
ذلك ، سوّ الأرض جيداً . لن تتحدث الأرض . . .
امض ، يا عزيزي ، امض !

نيكىتا : برمتما لي رأيي ! آه ! دعيني ، سأصرف ! افعل
وحدكما ما تشاءان .

المشهد - ١٢ -

« ماتريونا ، نيكيتا ، آنيسيا » .

آنيسيا : شاقة الباب ، ماذا ؟ هل حفر الحفرة ؟

ماتريونا : لماذا انصرفت ؟ أين دستته ؟

آنيسيا : غطيتته بغطاء سميكة . لن يسمعه أحد . وهل حفر
الحفرة ؟

ماتريونا : هو لا يريد .

آنيسيا ، واثبة ، نائرة : لا يريد ؟ يريد ، من دون شك ، أن تأكله
حشرات السجن ؟ سأروي لك شيء للدركي . لا أبالي
إن انتهت من مرة ؛ سأحكي كل شيء !

نيكىتا ، منزعجاً : ماذا ستحكي ؟

آنيسيا : ماذا ؟ كل شيء ! من أخذ المال ؟ أنت . (نيكيتا يازم
الصمت) والسم ، من حسه ؟ أنا ، لكنك كنت تعلم
ذلك ، كنت تعلم ذلك ، كنت تعلم ذلك ! كنت
شريكه .

ماتريونا : يكفي ! لا تشاكس ، نيكيتا . ملغا بقي علينا أن نفعله ؟
أن تبذل شيئاً من الجهد ، امض ، فاحزيري !

آنيسيا : يا الله من رجل رقيق ! لا يريد ! كفاني ما تفعله من سوء

معاملتك ! كنت السيدَ زمنًا طويلًا ، والآن جاء دوري !
امضِ ، قلتُ لك . . . وإلا . . . خُذْ ، دونك الرفش !
امضِ !

نيكيثا : لا داعي لهذا الصراخ (يتناول الرفش دون أن يتحرك) .
إن لم أشأ فلن أذهب !

آنيسيا : لن تذهب ! (تبدأ بالصراخ) . النجدة ! ايه !
ماتريونا ، تسدّ فمها : مهلاً ! أنتِ مجنونة ؟ سيذهب اذهب يابني ،
اذهب ، يا عزيزي !

آنيسيا : إن لم يذهب صرختُ مستنجدةً !
نيكيثا : كفى ! آه ! يا هؤلاء الناس ! ها ، أسرع ! يجب أن
ننتهي من ذلك بأسرع وقت .
(يذهب إلى القبو) .

ماتريونا : هذا هو الصحيح ، يا عزيزي ، أنت تسليّت ، وعليك
أن تمحو الآثار .

آنيسيا ، منفعة : طالما ازدراني هو وعاهرته ! وهكذا ، لن أكون
وحددي ، هو سيكون قاتلاً أيضاً ! سيعلم ما ذلك !
ماتريونا : مهلاً ، مهلاً ! ها هي ذي ثور ! لا تغضبي ، يابنتي ،
رويدك ، رويدك ! لنعمل جهدنا . ابجي عن آكوليننا .
أما هو فسيشرع في العمل .

(يهبط نيكيثا إلى القبو . تتبعه بمصباحها حتى مدخل القبو) .

آيسيا : وسأعمل على خنق شخصه الكريه ! (منفعلة) . تعبتُ
من تحريك عظام بطرس في قبره ! ليعلمَ أيضاً ماذا يعنني
ذلك ! لن أراعي نفسي ، أوكد لك أني لن أراعي نفسي !
نيكيثا : في القبو اضيئي لي .

آيسيا : ابقني معه . وإلاّ فقد ينصرفُ ، الجبانُ . وأنا سأتي به .
ماتريونا : لا تنسَي أن تعمّديه ! وإلا عمّده أنا . أمعلك صليب ؟
آيسيا : سأعثرُ على صليب . وأعرف كيف يتم ذلك .

(تنصرف)

المشهد - ١٣ -

« ماتريونا وحدها ، ونيكيثا في القبو » .

ماتريونا : اوه ! كيف استشاطتُ غضباً ! صحيح أن في الأمر ما
يُغضبُ ، لكننا سنُنهي هذه القضية ونُزيل آثارها ،
بفضل الله . وسيكون سهلاً بعد ذلك أن نتخلص من
البنات . وسيستطيع ابني أن يعيش قرير العين . والبيتُ ،
بحمد الله ، حسنُ التجهيز ، ولن ينسوني . ماذا كان
بوسعهم أن يفعلوا بدون ماتريونا ! ما كانوا ليحسنوا
التخلص من المأزق ! (تنحني نحو القبو) . هل الحفرةُ
جاهزة ، يا بني ؟

نيكيثا ، مخرجاً رأسه من القبو : وماذا تفعاين ؟ هاتيه ! مالكِ
تترخين ؟ إذا بدأنا شيئاً فيجب أن نُنهيهِ .

« نيكيتا ، آنيسيا ، ماتريونا تنعجه تنعجو البهو ملائكة آنيسيا التي تخرج
ومعها المولود متفوقاً بالصفات » .

ماتريونا : هل عمدته ؟

آنيسيا : طبعاً . تعبتُ في انتزاعه منها . لم تكن تريد أن تُرخيه .
(عمدّ الوليد إلى نيكيتا) .

نيكيتا ، يرفض أخذه : أنزليه بنفسك .

آنيسيا : خذْ ! قاتُ لك : أمسكْ .

(ترمي عليه الوليد) .

نيكيتا ، آخذاً الوليد ، إنه حي ! يا أمي العزيزة ، إنه يتحرك ! إنه
يحيا ! ماذا أفعل به ؟

آنيسيا ، خمنتزع الوليد وترميه في القبو : اخنقه بسرعة ، فإن
يعيش ! (تدفع نيكيتا إلى القبو) . هذا عملك ، فأنهه !

ماتريونا ، تجلس على أول درجة : قلبه رقيق ! يصعبُ ذلك عليه ،
المسكين ! لا بد من ذلك ، وهذه غلطته ، أيضاً !

(لآنيسيا تظل واقفة وتنظر إلى القبو . تظل ماتريونا جالسة على الدرج ،
تلقى بين الحين والحين بنظراتها عابها وتفكر) . . .

آه ! كم هو خائف ! يا عنراء ! مع أن ذلك قاسٍ فلا
سبيل إلى غير ذلك . يا للعجب . كم من الناس يتمنون أن
يكون لهم أولاد ! فلا يريتهم الله . ولا يأتهم إلا الدين

يولدون أمواتاً . نخذي زوجة الكاهن مثلاً . . . وفي
أحيان أخرى ، يولد الأطفال أقوياء عند من لا يحتاج
إليهم . (تنظر إلى القبو) . لا بد أنه انتهى . (لآنيسيا)
ماذا ؟

آنيسيا ، ناظرة في القبو : وضعه تحت لوح من الخشب . . . وجلس
على اللوح . . . أعتقد أنه انتهى .

ماتريونا : اوه ! اوه ! نتمنى ألا تقع في الإثم ، لكن كيف يمكن
أن نتصرف بطريقة أخرى ؟

نيكيثا ، خارجاً من القبو ، مرتجفاً بكل جسمه : إنه ما يزال حياً !
لا أستطيع . . . إنه حي !

آنيسيا : وإذا كان حياً فإلى أين تذهب ؟
(تريد أن توقفه)

نيكيثا ، يرتمي عليها : اذهبي وإلا قتلثاك !

(يمسكها من ذراعها ، فتتخلص ، يتبعها بالرفش . تقي ماتريونا
بنفسها في وجهه وتوقفه . تهرب آنيسيا إلى مطاع الدرج . تحاول ماتريونا
أن تشرع الرفش من نيكيثا) .

نيكيثا ، لأمه : سأقتلك أنت أيضاً ، انصرفي ! (ماتريونا تهرب إلى
مطلع الدرج قرب آنيسيا . نيكيثا يقف) . سأقتلكم ،
سأقتلكم جميعاً .

ماتريونا : هذا من الخوف الذي أحس به . لا أهمية لذلك . نسيرول عنه .

نيكىتا : ماذا فعلنَ بي ؟ ماذا فعلنَ بي ؟ كيف كان يصنّى !
وكيف كان يُطهّ قُطُقُ تحتى ! ماذا فعلنَ بي ؟ إنه حى ! إنه
ما يزال حياً (يصيخ السمع) . إنه يصنّى . هاهو ذا .
يصنّى !

(يركض إلى القبو) .

ماتريونا ، لآيسيا : عاد إلى القبو . . . أظنُّ أنه سيدفنه . نيكيتا يجب
أن تأخذ المصباح .

نيكىتا ، دون أن يجيب ، مصيخاً السمعَ أبداً : لا نَسْمَعُ . . . لقد
حلمتُ (بخطو بضع خطوات ثم يقف مرة أخرى) . كيف
كانت عظامه تطلق ! . . . ماذا فعلنَ بي ؟ (يصيخ
السمع) . ما يزال يصنّى ! نعم ، إنه يصنّى ! يا أمي !
اوه ! ! يا أمي !

(يتقدّم نحو ماتريونا)

ماتريونا : ما بك ، يا صغيري !

نيكىتا : يا أمي العزيزة ، لم أعد أقوى على الاحتمال ! يا أمي
العزيزة ، ارحميني !

ماتريونا : اوه ! أيّ خوفٍ أصابك ، يا عزيزي ! اذهب واشرب
قليلًا من الخمر لتعودَ إليك قواك !

نيكىتا : اوه ! يا أمي العزيزة ، جاء دوري الآن ! أنا مُنْهَك !

ماذا فعلتَ بي ؟ كيف كانت عظامه تُطَقِّقُ ! وكيف
أخذ يصّاي ! اوه ! يا أمي ، ماذا فعلتَ بي ؟

(يجلس على الزحافة) .

ماتريونا : اذهب ، يا عزيزي ، واشرب جرعة ! صحيح ، في الظلمة
نحسّ بالضيق ، لكن انتظر حتى يدخل النور . . .
سيمرّ يوم ... ثم يوم آخر ، ثم تكفّ عن التفكير في
ذلك . انتظر قليلا ، سنزوّج البنت وستنتهي القضية .
اذهب واشرب جرعة ، اذهب ! سأرتّب كل شيء
في القبو .

نيكيتا ، ينتفض : وهل بقي خمر ؟ سأحاول أن أنسى وأنا أشرب !
(يخرج ، آيسيا التي لم تفارق مطلع الدرج ، تنتحى لتدعه يمرّ ،
دون أن تقول كلمة) .

المشهد - ١٥ -

(ماتريونا ، آيسيا) .

ماتريونا : اذهبي ، اذهبي ، يا فراولتي ! سأشرع في العمل ، . .
سأنزل وأدفنه . أين رمى بالرفش ؟ (تأخذ الرفش وتهبط
إلى القبو حيث تتوارى نصفياً) . آيسيا ، تعالي إلى هنا ،
أضيئي لي !

آيسيا : وهو ، ماله ؟

ماتريونا : هزّه الخوف ... أنتِ عاماتِه بخشونة شديدة . دعيه ،

سيثوب إلى رسله ، حفظه الله ! سأقوم بالعمل وحدي .

ضعي المصباح هنا كي أرى بوضوح . . .

(تختفي ماتريونا في القبو) .

آنيسيا ، تلتفت إلى الباب الذي خرج منه نيكيتا : لقد هوت ! وانتهى

اللهو الآن ! كنت متعجرفاً ، انتظروا ، ستعلم ما معنى ذلك !

سوف تكفكف من غرورك .

المشهد - ١٦ -

« ماتريونا نيكيتا » .

نيكيتا ، واثباً نحو القبو : أمي العزيزة ، يا أمي العزيزة !

ماتريونا ، مُخرجة رأسها من القبو : ما بك يا صغيري ؟

نيكيتا ، مصيحاً : لا تافنيه ! إنه حي ! ألا تسمعين ! إنه حي !

ها هو ذا يَصْأى ! ها هو ذا . . . ها هو ذا . . . بوضوح !

ماتريونا : وكيف يمكنه أن يَصْأى ، لقد رقتنته كالقطيرة . وسحقت

رأسه الصغير .

نيكيتا : وما هذا إذن ؟ (يسد أذنيه) . إنه يَصْأى أبداً . فقدتُ

حياتي ! فقدتها ! ماذا فعلت بي ؟ وإلى أين أفر ؟

(يتهالك على درج القبو) .

ستار

الفصل الخامس

اللوحة الأولى

« مَرَجٌ . في المقدمة مكان خال يُقام عليه الكدسُ ؛ إلى اليسار
البيدر ؛ إلى اليمين مخزن الغلال . أبواب مخزن الغلال مفتوحة ومغطاة
بالقش . في الصدر فناءٌ . تُسمع الأغنياتُ والجلجل . فتاتان تسلكان
الدرب المحاذي للمخزن والذي يؤدي إلى البيت الخشبي » .

المشهد - ١ -

بتتان وميرتيش نائماً على القش

البت الأولى : أنتِ تَرَيْنِ أننا أحسنّا صنعاً بالمرور من هنا . بل
إن حذاءينا لم يَتَوَّثَا بالطين ، بينما لو مررنا بالقرية ...
أيّ وحل ! (تقفان وتنشّفان اقدامهما بالقش . تنظر الفتاة
الأولى إلى الداخل وتشاهد شيئاً) . عجباً ! ما هذا ؟

البت الثانية : هذا ميرتيش ، عاماهم . كم هو سكران !

البت الأولى : كنتُ أظنّ أنه لا يشرب .

البت الثانية : نعم ، ما دامت الكأسُ بعيدة عنه .

البت الأولى : انظري ! جاء يطلب القشّ ، وما يزال حباه بيده ،
فنام !

البت الثانية : تصيح السمع : ما يزالون يغتوون مدائح العرس وكأن العريسين لم يُباركا بعد . يُقال إن آكولينا لم تبك .

البت الأولى : ماما تقول : إنها لا تتزوج برضاها . وأن زوج خالتها هدّدها ، ولولا ذلك لما قبات أبداً . وتعلمين جيداً ما كان يُقال عنها .

المشهد - ٢ -

« الأشخاص أنفسهم ، مارينا تنضم إلى الفتاتين » .

مارينا : طاب يومكما ، يا بنتي .

البتان : طاب يومك ، يا خالة .

مارينا : أنتما ذاهبتان إلى العرس ، يا عزيزتي ؟

البت الأولى : العرسُ انتهى . ما جئنا إلا للتفرّج .

مارينا : نادي لي زوجي ، « سيميون » الذي من زويفو . أنتما تعرفانه ، فيما أظن ؟

البت الأولى : بالتأكيد ! وأظن أنه قريبُ العريس .

مارينا : نعم ، العريس ابن أخي زوجي .

البت الثانية : ولم لا تذهبين أنتِ نفسك إلى هناك ؟

كيف لا تذهبين إلى العرس ؟ . .

مارينا : لا أشتهي ذلك ، يا بنتي ، وليس الوقت مناسباً أيضاً . يجب أن نسافر ، ولم نأت إلى هنا من أجل العرس ، وإنما

نحن ذاهبان إلى المدينة لنبيع الشوفان . وتوقفنا هنا لنلعم
الجياد ، فاعنوا زوجي .

البنـت الأولى : وأين توقفتما ؟ عند فيدوريتش ؟

مارينا : نعم ، عنده . سأنتظر هنا ، وأنتِ ، نادي لي زوجي .
أخرجيه ، يا صديقتي ، وقولي له : « إن زوجتك مارينا
تريد منك أن تأتي ، وأن الجياد تُربطُ » .

البنـت الأولى : طيب ، بما أذكِ لن تذهبي بنفسك إلى هناك .

(تسلك الفتاتان الدرب . تُسمع الأغنيات والجلجل) .

المشهد - ٣ -

مارينا ، وحدها : أأذهب إلى هناك . لمَ لا ؟ لكني لا أشتهي ذلك .
لم أره منذ اليوم الذي تنكّر لي فيه . مضى عامٌ على ذلك .
أودّ ، مع ذلك ، أن أعلم كيف يعيش مع آنيسيا . الناسُ
يزعمون أن لا اتفاق بينهما . فهي امرأة قاسية ، مشاكسة ،
لا بدّ أنه تذكّرني غيرَ مرة ؛ كان يتوق إلى هذه الحياة
الميسورة ، وتركني للحياة الصعبة . ليحفظه الله !
لستُ حاقدةً عليه ، لكنّ ، كم أَلَمني ذلك ! وقد هدأ
كلُّ شيء الآن ، ونسيْتُ كل شيء . ومع ذلك فأودّ
لو أراه . (تنظر من جهة الفناء وتبصر نيكيتا) . اوه !
لماذا جاء ؟ هل البنّتين أخبرتاها ؟ . . . فترك مدعوّيه هكلما !
. . . يجب أن أنصرف .

المشهد - ٤ -

« مارينا ، نيكيتا » .

« يدخل ، خافض الرأس ، مهمماً بين أسنانه » .

مارينا : اوه ! كم هو متجهم !

نيكيتا ، يعرف مارينا : مارينا ، يا صديقتي العزيزة ، يا صغيرتي
مارينا ، ماذا تفعلين هنا ؟

مارينا : جئتُ أبحثُ عن زوجي .

نيكيتا : ولمَ لمَ تأتي إلى العرس ؟ كنتِ ستفترجين ، وكنتِ
ستهزئين مني .

مارينا : ولمَ أهرأ منك . جئتُ أبحثُ عن زوجي .

نيكيتا : آه ! يا صغيرتي مارينا !

(ينوى تقبيلها)

مارينا ، تراجع بادية الغضب : إياك وهذه الأساليب ، يا نيكيتا !
مضى ما مضى . جئتُ أبحثُ عن زوجي . أهو عندكم ؟

نيكيتا : إذن يجب ألا نتذكر الماضي ؟ وأنت لا تريد ذلك ؟

مارينا : لا مجال لتذكره . ما مضى فات .

نيكيتا : ولا نستطيع إرجاعه ؟

مارينا : لا ، لا نستطيع . لمَ خرجتَ ؟ ما أعجباك من رب منزل
ترك عرسه .

فيكيما ، جالسا على القش : لم خرجتُ ؟ آه ! لو كنتِ تعلمين !
أنا حزين . مارينا ! اوه ! كم أنا حزين . اود لو أني
لا أرى شيئا . قمتُ عن الطاولة وذهبتُ لكي لا أرى أحدا .

مارينا : مقربة منه : ما بك إذن ؟

نيكيما : ما بي ! . . . أنني آكل وأشرب وأنام ، ولا أستطيع
أن أنسى أبدا . آه ! ما أتعسني ! ما أتعسني ! وما أتعسني ،
يا مارينا ، لأنني وحدي ، ولأنني لا أجد من يُقاسمني
عذابي .

مارينا : لا يمكننا أن نُمضي حياتنا ، يا نيكيما ، دون مشقات .
لقد بكيتُ كثيرا أنا ، ثم زال كل شيء .

نيكيما : نتحدثين عن تلك القصة القديمة . . . عما مضى . آه !
يا صديقتي ، أنتِ أغرقتِ حزنك في الدموع ، بينما
أنا نَحْنَقُني الألم !

مارينا : ما بك إذن ؟

نيكيما : ما بي أن الحياة تثير اشترازي ، وأنني أشتتُ من نفسي !
اوه ! مارينا ، لم تستطعي أن تحتفظي بي ، فأضعتني
وأضعت نفسيك في آن واحد ! أهذه حياة ؟

مارينا : مستندة إلى مخزن الغلال ، محاولة حبس نحيبها : أنا ،
لا أشكو من حياتي ، يا نيكيما . أتمنى مثلها لكل الناس .
لا أشكو أبدا . قلتُ لزوجي ، فيما مضى ، كل شيء ،
ففقّر لي . وهو لا يؤمنني على شيء . لستُ مستاءة

من حظي ، فزوجي وديع . وهو لطيفٌ معي وأنا ألبس
أولاده ، وأغسلُ لهم ، وهو ممتنٌ لي على ذلك ولم
أشكو ؟ الله أراد لي ذلك . وحياتك ؟ أنت غني . . .

نيكيثا : حياتي ؟ لا أريد أن أعكرَ العرس ، ولولا ذلك لأخلفتُ
حبلًا ، هذا (يتناول حبلًا عن القش) . ولألقيته فوق
هذا الجسر ، ثم لعمات أنشودةً محكمةً ، ولصعدتُ على
العارضة ولأقفزتُ الحبل على عنقي . هذه هي حياتي !

مارينا : مهلاً ! حفظك الله !

نيكيثا : تظنين أنني أمزح ، تظنين أنني سكران ، لم تعد الخمرُ
تُسكرنِي ، الآن ! أكلتني الغمُ ! حتى لم يبق شيءٌ
يشدتي ! آه ! مارينا ! كلُّ وقتي الحاو كان معك ! .
أتذكرين لياليَنا عندما كنتُ في السكة الحديدية ؟

مارينا : لا تَنكأَ جرحاً قديماً . قِبتُ بالقانون وأنت أيضاً .
وغفِرَ لي ذنبي . لا تُنقَبْ في الماضي .

نيكيثا : لكن ماذا أفعلُ بقلبي ؟ وإلى أين أذهب ؟

مارينا : ما تفعلُ به ؟ لك امرأة فلا تشته نساء الآخرين . حافظْ
عابها . كنت تحب أنيسيا ، حسناً ! أحبها !

نيكيثا : آه ! مَنْ أنيسيا هذه ! إني أكرهها كما أكره عشبَةً
سامةً ! لقطنتني بساقِي كما تَنقطننا خيوط النباتات

المائية !

مارينا : لكنها امرأتك . . . على كل حال لا فائدة من متابعة الحديث ، عُدْ إلى ضيوفك وأرسل لي زوجي .

نيكيئا : آه ! لو كنت تعلمين كل شيء ! . . . لكن ما جدوى ذلك ؟

المشهد - ٥ -

« نيكيئا ، مارينا ، زوجها وأنيوتكا » .

زوج مارينا : خارجاً من البيت الخشبي ، سكران وشديد الاحمرار :
مارينا ! يا امرأتي ! أين أنت ؟

نيكيئا : هذا زوجك يناديك ، اذهبي إليه !

مارينا : وأنت ؟

نيكيئا : أنا باق هنا !

(يضطجع على القش)

زوج مارينا : وأين هي ؟

أنيوتكا : هي هناك ، يا عم ، قرب المخزن .

زوج مارينا : وماذا تفعلين هنا؟ تعالي إلى العرس . أصحاب الدار يزجونك أن تشرّفيهم . ستسافر العروسُ بعد قليل ، وستسافر نحن .

مارينا ، تلاقي زوجها : لا أشتهي ذلك .

زوج مارينا : قات لك : تعالي ، تتناولين كأساً صغيرة ، وتُهْنئين .

هنا القصر « بيثروفكا » ! سيستاء أصحاب المدار إن لم
تذهبي ، ومعنا الوقت الكافي !
(يقبّانها ويخرج معها وهو يرتج) .

المشهد - ٦ -

« نيكيتا ، آنيوتكا » .

نيكيتا ، يجلس : أنا أشدّ حزناً الآن ، بعد أن رأيتها ! لم أسعد
حقاً إلا معها . ومن أجل لا شيء ، لا شيء على الإطلاق ،
أضعت نفسي ، وحطمت حياتي ! (يعود إلى الاضطجاع) .
إلى أين أذهب ! آه ! ليت الأرض تفتح تحتني !

آنيوتكا ، ترى نيكيتا ، وتسرع إليه : يا أبي ، يا أبي العزيز !
لهم يبحثن عنك . الجميع ، حتى الاشيين ، باركوهما ،
نعم ، عسى أن أموت ، باركوهما ! غضبوا لغيابك .

نيكيتا ، بينه وبين نفسه : إلى أين أذهب ؟

آنيوتكا : ماذا ؟ ماذا تقول ؟

نيكيتا : لا أقول شيئاً . ماذا تريد مني ؟

آنيوتكا : يا أبي ، هيا ! (مسكت نيكيتا ، تهدئه آنيوتكا من يده) .
الذهب وباركوهما ، يا أبي . لقد غضبوا حقاً ! وأخذوا
يحدّفون !

نيكيتا ، ساحباً يده : دعيني !

آنيوتكا : مالك !

نيكىتا ، يهددها برسم الحصان : انصرفي ! أقول لك ! ولا
ضربتك . . .

آنيونكا : سأرسل أمي ، إذن !

المشهد - ٧ -

نيكىتا ، وحده ، ناهضاً : كيف أذهب ؟ وكيف يمكن أن أمسك
بالأيقونة المقدسة (١) ؟ كيف أستطيع أن أنظر إليها في
وجهها ! (يعود إلى الاضطجاع) . اوه ! لو أن هوة
انفتحت أمامي لرميت نفسي فيها . . . لن يراني بعدها
أحدٌ ولن أرى أحداً ! (ينهض مرة أخرى) . اوه ! لا ،
لن أذهب ! ليغربوا عني ، لن أذهب ! (يتزعج جزئته
ويأخذ الحبل ويعمل أنشودة ويلفّه حول عنقه) . سيكون
الأمر هكذا .

المشهد - ٨ -

« نيكيتا ، ماتريونا »

« نيكيتا يرى أمه ، فيرفع الحبل من رقبته ويعود إلى الاضطجاع » .

ماتريونا ، لاهة : نيكيتا ! ايه ! نيكيتا ! لا يُجيب ؟ نيكيتا ، العلك
سكران ؟ اذهب ، يا نيكيتا ، اذهب ، يا غراولتي ،
الجميع ينتظرونك .

نيكىتا : آه ! ماذا فعلتن بي ؟ لم أجد إنساناً .

(١) أمسك بالايقونة المحققة : ليبارك العروسين باعتبارهم رئيس العائلة .

ماتريونا : ما بك ! هيا ، يا صديقي ، اذهب وبارك بصورة لائقة ،
ثم انصرف . الناس ينتظرونك .

نيكيئا : وكيف أستطيع مباركتها ؟

ماتريونا : بكل بساطة . ألا تعرف كيف تتمّ المباركة ؟

نيكيئا : أعرف ، أعرف ! لكن كيف أبارك بعدما فعّلتها بها .

ماتريونا : ما فعلتة ؟ القصة القديمة ! لا أحد يعرفها ! ولا هرّ
يتوهمها . وقد تزوّجت البنتُ برضاها التام .

نيكيئا : نعم ، لكن كيف تزوّجت ؟

ماتريونا : لا شك أننا أجبرناها قايلا ، لكنها كانت موافقة مع هذا .

وماذا تريد أن تفعل ؟ كان يجب أن تفكّر في ذلك من
قبل . أما الآن فلا مجال للتراجع . أما أهل العريس فلم
نغشّهم ؛ رأوا البنت مرتين ، ثم إن مالها معها : سوّي إذن
كل شيء .

نيكيئا : والقبو ، ألم يمرّ ببالك ؟

ماتريونا : القبو ؟ وما في القبو ؟ في القبو ما قوف وبطاطا وفطور .
لمّ التذكير بالماضي ؟

نيكيئا : أودّ ألا أتذكره ، فلا أستطيع . ما ان أتذكر الماضي حتى
اسمعه ، اسمعه أبدأ ! اوه ! ماذا فعلتنّ بي ؟

ماتريونا : هيا ، اقبل مني ولا تتدلّل .

نيكىتا ، ينكفىء ويغطى وجهه بيديه : اوه ! شكرآ ، لا تعذبيني !
لم أعد أحتمل !

ماتريونا : لا بد من ذلك . أخذ الناس يثرثرون . وها إن الأب ينصرف ،
ويأبى أن يعود . إنه لا يجرؤ أن يبارك ! سيجمل ذلك
الناس على التفكير . فما إن يروك خائفاً حتى يبدؤوا
بالتخمين . امشِ ورأسك مرفوعاً فينحني لك الناس
جميعاً . إذا هربت من الذئب ، وقعت على الدب . لا تمكن
أحداً من نفسك . لا تخف ، يا فتاي ! وإلا ساءت الأمور .

نيكىتا : آه ! لقد فتئت لي رأسي .

ماتريونا : كفى ! هيباً ! اذهب وبارك ، بصورة لائقة ، ثم ينتهي
كل شيء .

نيكىتا ، محافظاً على وضعه : لا أستطيع .

ماتريونا ، بينها وبين نفسها : ماذا جرى له ؟ كان يبدو حتى الآن
وكأنه نسي كل شيء ، وها إن ذلك يعود إليه . لا بد أنه
مسحور . (بصوت عال) . نيكيتا ! انهض ! انظر ،
ها قد جاءت آنيسيا ، تاركة ضيوفها .

المشهد - ٩ -

« نيكيتا ، ماتريونا ، آنيسيا » .

آنيسيا ، في ثياب الأحد ، محمرة ، وثملة قايلآ : كل شيء يجري
على أحسن ما يرام ، يا أمي ... على أحسن ما يرام ، وبشكل
لائق جداً . وما أعظم سرور الناس ... وهو ، أين هو ؟

ماتريونا ، هو هنا ، يافراولتي ، هنا . فلم علي القش ولا يريد أن يذهب .

نيكيئا : ناظراً إلى زوجته : حوها هي خذي أيضاً ثملة ! أنظر إليها فأنقزز . هل يمكن العيش معها ؟ (يعود إلى الاضطجاع على بطنه) . سأقتلها ذات يوم ! وسيكون ذلك أسوأ !

آيسيا : آه ! ما هو ذا مضطجع على القش ! (تصحاك) . هل دارت الخمرة برأسك ؟ اودّ لو أنام معك هنا ، لكن لا وقت لدي . هيّا ، سأخذك . آه ! كيف يسير كل شيء سيراً حسناً في البيت . مُمتنع أن ترى ذلك ! فهتاك أكورديون . والنساء يعزفن . . . اوه ! ما أحسن ذلك ! كلهم سكارى ! لائق جداً ، حاو جداً . .

نيكيئا : ما الحاو ؟

آيسيا : العريس ! عرس بهيج جداً . كل الناس قتلوا : مثل هذا العرس ، فاهور ! أكل شيء يجري بشكل لائق ، حسن ! هيّا ! لنذهب معاً ! . . . أنا شربت ، لكنني أستطيع أن آخذك .

(تمسك به من يده) .

نيكيئا ، صاحباً يده باشمزاز : اذهبي وحطك ! سأبعثك .

آيسيا : لقبل مني ولا تعدل . . . كل مصائبنا انتهت . . . المناغسة صفيت ، ولم يبق لنا الآن إلا أن نحيا بونتهج ... بيوي بكل شيء بشكل مناسب ، وبحسب القانون . . .

أنا جدّ مسرورة ! لا أقدر على التعبير ! . . . كأني أتزوج
مرة ثلثية ! آه ! كل الناس كلّفوا راضين أعظم الرضا !
الجميع شكرونا ! والمُدعوون جميعاً من الناس المحترمين :
ابن مونسيس ، السيد المدركي . الجميع هتفوا العروسين .

نيكيّا : ابقِي إذن معهم ! لَمْ مَجْتِ ؟
آيسيا : يجب أن أعود ، هذا صحيح ! ليس هذا مناسباً . . .
أصحاب الدار ينصرفون ويتركون مدعوّهم . . . وجميع
مدعوّينا أناس محترمون جداً !
نيكيّا ، ينهض وينفضّ القشّ العالق بشيابه : اذهبي ، وسأذهب في
الحال !

ماتريونا : يبدو أن طائر الليل أحسن غناءً من طائر النهار ! لم يُصنغ
إلى ولحق بامرأته على الفور .

(ماتريونا وآيسيا تتجهان إلى البيت الخشبي) .

ماتريونا ، ملتفتة : هل أنت آت ؟
نيكيّا : سأذهب إلى هناك في الحال . اذهبا ، سألحق بكما . سأذهب
. . . وسأبارك . (تقف المراتان) . اذهبا ! سألحق بكما ،
اذهبا !

(تذهب المراتان . يتبعهما نيكيّا بعينيّه ، متفكّراً) .

المشهد - ١٠ -

« نيكيّا وحده ، ثم ميتريتش » .

نيكيّا ، يعود إلى الجلوس ، وينزع حذاءه : تستطيعون أن تتنظروني !

آه ! لا ! ستجدونني . . . على الجسر إن لم أكن هنا ...
 إذا ما أُحْكِمَتِ الأَنْشُوطَةُ ، فاذهبوا ، بعد ذلك ،
 وفتشوا ! من حسن الحظ ، أن الزسنَ ما يزال هنا !
 (يظلّ متفكراً) . . كل عذاب غير هذا العذاب ، يمكن
 التخلّص منه . . . أمّا هذا فهو هنا . . . في قلبي ! ...
 مثل هذا العذاب لا يُنْتَزَعُ ! (ينظر إلى جانب الفناء) .
 وهي تعودُ فوق ذلك ! (مقلداً أنيسيا) . « آه ! ما أجمل
 ذلك ! وكما هو لائق ! سأنام بقربك ! » آه ! يا لك من
 عاهرة قلرة ! حسناً ! خذي ! قبايني عندما يُنْزَلُونِي !
 سينتهي كلُّ شيء ، مِنْ مَرَّةٍ !

(يمسك الحبل فجأةً ويسحبه إليه) .

ميترليش ، ينهض دون أن يُرخي الحبل ، وهو سكران : لن أعطيك
 إياه ! لن أعطيه أحداً ! سأحمل القشّ بنفسِي . إذا قاتُ :
 لأنني سأحمل القشّ فسأحمّله . أهذا أنتَ ، نيكيتا !
 (يضحك) . آه ! يا للشيطان ! جثتَ تطاب القشّ ؟

نيكيتا : أعطني الحبل !

ميترليش : آه ! لا، انتظر ! الفلاحون ينتظرونني . . . سألمُ ...
 (ينهض ليأمّ القش ، لكنه يترنّح ويقاوم وينتهي بأن
 يقع) . هذا ماءُ الحياة الذي هو أقوى ! انتصر ماءُ
 الحياة !

نيكيتا : أعطني الرسنَ .

ميتريش : قاتُ لكَ لا . . . آه ! نيكيئا ، أنتَ غيبي كلوزة !
 (يضحك) أنا أحبّك ! . . . لكنك غيبي . . . لستَ
 مسروراً . . . لأنني عدتُ إلى الشرب ! آه ! طيب ! لا
 أبالي بك ! تظنُّ أنني بحاجة إليّك ؟ . . . انظرُ إليّ جيداً !
 أنا ضابط صفٍّ ! يا غيبي ، ألا تعرف كيف تقول :
 ضابط صفٍّ في سرية رماة صاحبة الجلالة الامبراطورة ! «
 خدمتُ القيصر ووطني بأمانة وشرف . ومنَ أنا ؟ أتظنّني
 محارباً ، لستُ محارباً ، أنا ! أنا أسوأ الرجال ، أنا يتيم ،
 أنا خليع ! أقسمتُ ألا أشرب ، وها أنا سكران ! . . .
 أتظنُّ أنني أخافك ؟ أبداً ، لا . أنا لا أخاف أحداً !
 بدأتُ أشرب ! بدأتُ ! هذا كل ما في الأمر ! . . .
 ولن انقطع عن الشرب الآن إلا بعد أسبوعين على الأقل . . .
 سأدبر نفسي . . . وسأشرب بكل شيء حتى بصايبي !
 وسأشرب حتى بقبعتي ! سأرهنُ أوراقي الشخصية !
 لستُ أخاف أحداً ! . . . جلدوني بالسياط في السرية
 كي لا أشرب . . . جلدوني ، جلدوني ! . . . وهم يقولون
 لي : « هل ستتابعُ الشرب ؟ » . وكنتُ أجيب : « نعم ! »
 ولمَ الخوف ؟ كذلك أنا ! أنا كما خلقتني الله . كنتُ
 قد أقسمتُ ألا أشرب ، ولم أكن أشرب ! والآن بدأتُ
 أشرب ، وأنا أشرب . . . لستُ أخافُ أحداً . لستُ
 أكذب . لمَ أخافهم ، هؤلاء الجمال ؟ انظروا ! ها
 أنا ذا ! كان الكاهنُ يقول لي : « الشيطان أكبرُ متبجّح
 على الأرض ، وحالما تبدأ بالتبجّح تفقدُ طاقتك ، وإذا

ما فقدت. شجاعته أمام الناس تسلط عليك وحملك إلى
حيث يشاء» لكن بما أنني لا أخاف أحداً ، وأن ضميري
نقي ، فلقد مطمئن ! ولا أبالي به ! لن يفعل بي شيئاً !

٣٨٨

نيكيتا ، راسماً علامة الصايب : وأنا ، ماذا أفعل ؟

(يرخي الحبل) .

ميتزلتش : ماذا ؟

نيكيتا ، ينهض : قلت إننا لا يجب أن نخاف الناس ؟

ميتزلتش : لا يجب أن نخاف هذه الطائفة من الجمال ! انظر إليهم
وهم يستحمون . كأنهم مصنوعون من الطينة نفسها :
بعضهم أكبر بطناً ، وبعضهم الآخر أصغر بطناً . هذا
هو الفرق كله . أو نخاف منهم !

المشهد - ١١ -

« نيكيتا ، ميتزلتش ، ماتريونا » .

ماتريونا ، خارجة من البيت الخشبي : ماذا ، ألا تبجيء ؟

نيكيتا : نعم ! هذا أفضل . سأذهب !

(يتجه إلى البيت الخشبي) .

ستار

اللوحة الثانية

« يتغير المنظر . داخل البيت الخشبي في الفصل الأول . البيت مليء
بالتلس جلوساً ووقوفاً . في صدر المجالس آكوليند وعويسها . على المائدة

الأيقونات المقدسة والخبز . بين المدعوين « ملوينا ، وزوجها ،
والدركي . النساء يفتنن . آنيسيا تسكب الشراب . يتوقف الغناء » .

المشهد - ١ -

« آنيسيا ، مارينا ، زوجها ، آكولينا ، وعزيسها ، حوذي ،
الدوكي ، الخطابون ، وصيف العريس ، ماتريونا ، المدعوون » .
الحوذي : لا بدّ من الذهاب ! فالكنيسة بعيدة من هنا .
الوصيف : انتظر قليلاً ! سيأتي ربّ الدار لميلوكها . لكن أين
هو ؟

آنيسيا : سيأتي في الحال ، يا أعزائي . زيدوا كأساً ... لا ترفضوا
طالبي .

الخطابة : لماذا لا يأتي ؟ طال انتظارنا له .

آنيسيا : سيأتي ، سيأتي بعد قليل . سيكون هنا في وقت أقلّ مما
يأزم للمرأة الصاعدة لأنّ تمتشط . (مقدّم الخمر) .
أشربوا ، يا أعزائي . سيأتي في الحال غنّين ، يا حلفاء ،
شيئاً ، ريشماً يحضر .

الحوذي : غنّيننا كل ما نعرفه .

(تغني النساء . يدخل نيكيتا وأكيم) .

المشهد - ٢ -

« الأشخاص أنفسهم ، نيكيتا وأكيم » .

نيكيتا : يحسبك أكيم بيده ويدفقه أمامه : هيا ، يا أبي ! لا أستطيع
أن أستغني عنك .

آكيم : لا أحبّ هذا

نيكيّتا ، للنساء : كفى ، اسكُتُنْ (ينظر إلى الجميع) . مارينا ، أنتِ هنا .

الخطّابة : هيّا ، خذ الأيقونة وبارك .

نيكيّتا : انتظري قليلاً : (ينظر مرةً أخرى) . آكولينا ، أنتِ هنا ؟

الخطّابة : أنتِ تفقّد الحضور ؟ وأين يمكن أن تكون ؟ هذا مضحك .

آنيسيا : آه ! يا أصدقائي ، لكنه حافي القدمين !

نيكيّتا : أنتِ هنا ، يا أبي ، انظرْ إليّ . أيها المسيحيون ، يا إخوتي ! أنتم جميعاً هنا ، وأما أنا فها أنا ذا !

(يمشو على ركبتيه) .

آنيسيا : مالِكْ ، يا نيكيّتا ؟ يا رأسي !

الخطّابة : ما هذه الحماقات !

ماتريونا : قالتُ لكنّ ذلك . لقد أسرفَ في شرب الخمرّة الفرنسية ! اصحُ . ماذا تفعل ؟

(تنثوي أن تُشهّضه ، لكنه لا يَسْتَبْهُ إلى أحد ويشخص بنظره أمامه) .

نيكيّتا : أيها المسيحيون ، يا إخوتي ، أنا مذنبٌ ! وأريدُ أن أعترف ! ماتريونا ، تسحبُه من كتفه : أنتِ مجنون ؟ يا أعزائي ، عقله مختلٌ ، ويجب اقتياده .

نيكىتا ، ينحنيها بدفعة من كتفه : دعيني ! وأنت ، يا أبى ، اصغر !
وأنتِ أولاً ، يا مارينا ، انظري إلي ! (يسجد أمامها
وينهض) . أنا مذنب بحقك ! وعدتكِ بالزواج وغررتُ
بك ! خدعتكِ وتخلّيتُ عنكِ ! سامحيني ، بجاه المسيح !
(ينحني مرةً أخرى) .

آنيسيا : ما هذه القصص كلها ؟ هذا لا يُناسبكِ على الإطلاق .
لم يطالب أحدٌ منك شيئاً . انهض ! وكفاكِ تهريجاً !
ماتريونا : اوه ! إنه مسحور ! ماذا جرى له ! خربوا له عقاه !
انهض ! ولا تنطق بهذه الحماقات !
(تشده)

نيكىتا ، يهز رأسه : لا تَلمسيني ، سامحيني يا مارينا ! لقد أذنبتُ
بحقّك ، سامحيني ، بجاه المسيح !
(تخفي مارينا وجهها بيديها ولا تجيب) .

آنيسيا : قالتُ لك : انهض ! ولا تحتاقِ المشاكل ! ها قد بدأ
يتذكّر الآن . . . أنا بحاجة ! يا لرأسى ! أهو مجنون ؟

نيكىتا ، منحياً زوجته ، وملتفتاً إلى آكولينا : إنما أكاتمكِ أنتِ
الآن ، يا آكولينا ! اصغوا أيها المسيحيون ، يا إخوتي !
أنا مالك ! آكولينا ، أنا مذنبٌ بحقّك ! فأبوك لم يمت
موتاً طبيعياً ، وإنما مات بالسم .

آنيسيا ، مطاقة صرخةً : يا لرأسى ! ماذا يفعل !
ماتريونا : فقدَ عقله ! خذوه !

(يقرب بعضهم لا قتياده) .

آكيم ، مبعداً الناس عنه : انتظروا ! أنتم ، أيها الطيبون . . .
انتظروا ! . . .

نيكيئا : آكولينا ، أنا حسستُ السمَّ له ! سامحيني ، بجاه المسيح !
آكولينا ، تتقدّم : أنت تكذبُ ، وأنا أعرف المذنب .
الخطّابة : مالك ! ابقِ جالسةً !

آكيم : اوه ! يا إلهي ، أية خطيئة هذه ، أية خطيئة !
الدركي : اقبضوا عليه ! أرسلوا في طلب كبير القرية ! سأحرّر
محضراً . انهض ، وتعال إلى هنا !

آكيم ، للدركي : ايه ! ياذا الأضرار الفضية . . . انتظر ! سيتكلم . . .
الدركي : وأنت ، لا تتدخل في شيء . يجب أن أحرّر محضراً .
آكيم : آه ! ما هذا الرجل ! . . . قلتُ لك انتظروا ! ودّعك
من المحضر . . . هذه قضية تخصّ الله هنا ! رجلٌ يعترف !
وأنت تأتي لتحدّثنا عن المحضر !

الدركي : كبير القرية !

آكيم : دع قضية الله تنته ! . . . وبعد ذلك أفعَلْ واجبك !
نيكيئا : وفي ذمتي أيضاً ما أعترفُ به ، يا آكولينا ، ذنبي الأكبر
بحقك . لقد غوّرتُ بك . . . سامحيني بجاه المسيح !

(ينحني)

آكولينا ، ناهضة : دعوني ! لا أريد أن أتزوج بعد الآن ! هو أمرني بذلك ! وأنا الآن أرفض الزواج .

البركي : كبرر ما قلت .

نيكيئا : انتظر ، يا سيدي البركي ، دعني أتمم كلامي !
أكيم ، متحسناً : قل ، يا بني . قل كبل شيء ؟ ... ستخفف ...
اعترف أمام الله ! لا تخف الله ! الله ! الله ! هو ذا !
نيكيئا : سميتُ الأب . وغررتُ بالبنات ، أنا ذلك الشقي .
كانت لي سيطرة عليها ، وقد فعلتُ ابنها !

آكولينا : هذه هي الحقيقة !

نيكيئا : في القبو ، سحقته تحت لوح خشبي . كان تحتي ...
سحقته وكانت عظامه تُططق . (يبكي) . ودفنته في
الأرض ! أنا فعلت ذلك . . . أنا وحدي !

آكولينا : إنه يكذب ! أنا أمرته بذلك !

نيكيئا : لا تدفعني عني ! أنا لا أخشى أحداً الآن ! أيها المسيحيون ،
يا إخوتي ، سامحوني !

(يسجد . وقفة قصيرة) .

البركي : قتيده ! انتهى عرسكم ، أيها الأكارم !

(يدنون من نيكيئا ويربطونه بزناير) .

نيكيئا : انتظروا ! فني الوقت متسع ! (يسجد أمام أبيه) . يا
أبي الحبيب ، سامحني ، أنا الهالك ! طالما حلفرتني .
عندما بدأتُ مجوني ، طالما قلت لي : « إذا كانت قدام
الطائر مذبذبة فسرعان ما يُمسَد » . وأنا : ذلك الشقي .

لم أصغ إلى صوتك ، وما تنبأت به قد وقع ! سأخني ،
نجاه المسيح .

أكيم ، متشياً : سامحك الله ، يا بني الحبيب ! (يقبله) . لم تُراعِ
نفسك ! الله يُراعيك ! الله ! هو ذا !

المشهد - ٣ -

« الأشخاص أنفسهم ، كبير القرية » .

كبير القرية ، داخلاً : الشهود ، كثيرون .

الدركي : سنستجوبه بعد قليل .

(يُربطُ نيكيتا) .

آكولينا ، تتقدم إلى قرب نيكيتا : وسأقول الحقيقة كلها ،
استجوبوني أنا أيضاً .

نيكيتا ، مربوطاً : لا داعي لاستجوابها . أنا الذي فعل كل شيء .
كانت الفكرة فكرتي ونفذتها . خذوني إلى حيث
تشاءون .

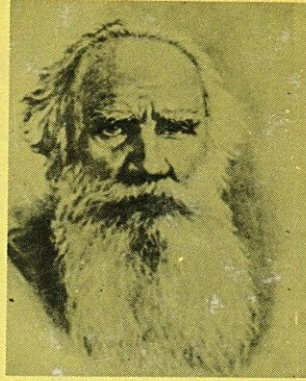
فلن أقول شيئاً بعد الآن .

ستار

الفهرس

٥	المقدّمة بقلم آ.ف. سولوفيف
٢٥	العدمي ، ماهاة في ثلاثة فصول . . .
٤٩	أسرة موبوءة ، ماهاة في خمسة فصول . . .
٢٠٣	المقطّر الأول مسرحية في ستة فصول . . .
٢٣٩	الإقطاعي الذي افتقر ، مشاهد درامية في عشر لوحات . . .
٢٦١	ساطان الظلمات ، دراما في خمسة فصول . . .

۱۹۸۹/۲/ ۱۷ ۲۰۰۰



ليون تولستوي الأعمال الأدبية الكاملة

هذا هو المجلد الرابع عشر من
مؤلفات تولستوي الادبية الكاملة ،
والجزء الأول من الأعمال المسرحية
الكاملة ، نقلها عن طبعة Rencontres
في لوزان (سويسرا) الاستاذ صياح
الجهيم بأسلوب مشرق يجمع بين
الدقة العلمية ومثانة العبارة العربية .

في الاقطار المهرية ما يبادل
٢٠٠ ل.س

سعر النسخة داخل المظهر
١١٠ ل.س

الطبع وفرز الألوان في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٨٩

علي مولا